التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية

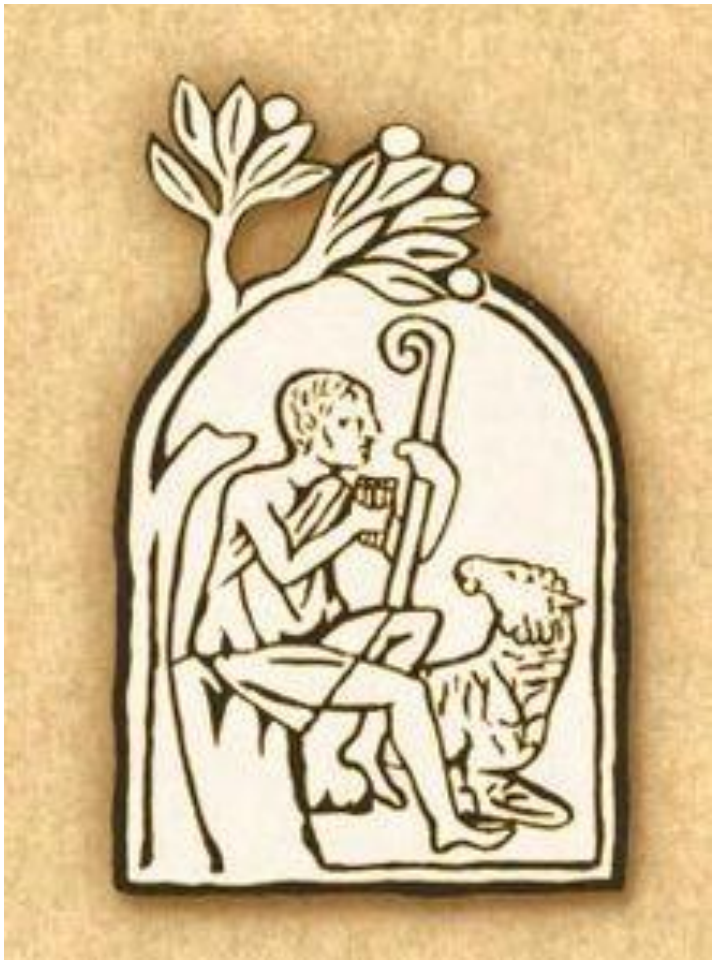

الجزء الثالث

طباعة الشماس جورج يلدا
الكنيسة الكلدانية في بريطانيا
لندن 2011
www.chaldean.org.uk

الفصل الثاني
اسرار الشفاء

1420- أسرار التنشئة المسيحية تمنح الانسان حياة المسيح الجديدة. ولكنّ هذه الحياة إنّما نحملها في "آنية من خزف" (2كو 4: 7). إنّها لا تزال الآن "مستترةً مع المسيح في الله" (كو 3: 3)، ولا نزال في مسكننا الأرضي المعرّض للعذاب والمرض والموت. هذه الحياة الجديدة التي تجعلنا أبناء الله يمكن أن تَضعُف بل أن تَتلَف بالخطيئة.

1421- إنّ الرب يسوع المسيح، طبيب نفوسنا وأجسادنا الذي غفر للمقعد خطاياه وأعاد إليه صحّة البدن، أراد لكنيسته أن تواصل، في قوّة الروح القدس، عمل الشفاء والخلاص حتى لأعضائها أنفسهم. وهذا ما يهدف إليه سرّا الشفاء " سرّ التوبة وسرّ مسحة المرضى.

المقال الرابع
سرّ التوبة والمصالحة

1422- "إنّ الذين يُقبِلون إلى سرّ التوبة يصيبون من رحمة الله مغفرة الاهانة اتي ألحقوها به، ويتصالحون في الوقت نفسه مع الكنيسة التي جرحوها بخطيئتهم، والتي تسعى بمحبّتها ومثالها وصلاتها في سبيل توبتهم".

1ً. الأسماء التي تُطلق على هذا السرّ

1423- إنه يسمّى **سرّ الهداية** لأنّه يحقّق سرّياً دعوة يسوع إلى الارتداد، أي العودة إلى الآب الذي ابتعدنا عنه بالخطيئة.

ويَسمّى **سرّ التوبة** لأنه يكرّس مسعىً شخصيّاً وكنسيّاً، مسعى اهتداء وتوبة وتكفير يقوم به المسيحي الخاطئ.

1424- ويسمّى سرّ الاعتراف، لأن الإقرار والإعتراف بالخطايا أمام الكاهن هو عنصر جوهري من عناصر هذا السر. وهذا السرّ، بمفهومه العميق، هو أيضاً "اعتراف" أي تسبيح حمد لقداسة الله وشفقته على الإنسان الخاطئ.

ويسمّى **سرّ الغفران،** لأن الله يمنّ على الخاطئ "بالغفران والسلام" بواسطة الحل السرّي الذي يمنحه الكاهن.

ويسمّى **سرّ المصالحة** لأنه يمنح الخاطئ حبّ الله إله المصالحة: "تصالحوا مع الله" (2كو 5: 20). وكلّ من يحيا بحبّ الله الرحيم، بوسعه أن يلبّي نداء الرب: "إذهب أوّلاً وصالح أخاك" (متى 5: 24).

2ً. لماذا سرّ المصالحة بعد المعمودية ؟

1425- لقد غُسِلتم بل قُدِستم، بل بُررِّتم باسم ربنا يسوع المسيح وبروح إلهنا"

(1كو 6:11). لا بدّ من أن ندرك عظمة عطية الله التي أنعم بها علينا عبر أسرار التنشئة المسيحية، لكي ندرك إلى ايّ مدى يجب على المسيحي الذي لبس المسيح أن ينفض الخطيئة عنه. ولكن الرسول القديس يوحنا يقول أيضاً: "إذا زعمنا أنّنا بلا خطيئة خدعنا أنفسنا ولم نكن على الحق" (1يو 1:8). والرب نفسه علّمنا أن نصلّي: "إغفر لنا ذنوبنا" (لو 11: 4)، وقد جعل صفح الله عن خطايانا رهناً بتبادل الصفح بيننا وبين الآخرين.

1426- الارتداد إلى المسيح والولادة الجدية بالمعمودية موهبة الروح القدس وجسد المسيح ودمه اللذان نتناولهما طعاماً، كلّ هذا قد جعلنا "قديسين وبلا عيب عنده" (اف1:4). على غرار الكنيسة نفسها، عروس المسيح "المقدسة والبريئة من العيب" (أف 5:27). بيد أن الحياة الجديدة التي تلقيناها في فترة التنشئة المسيحية لم تُلغ هشاشة الطبيعة البشرية وضعفها، ولا النزوع إلى الخطيئة الذي يسمّيه التقليد **شهوة**، والذي يلبث في المعمّدين ليؤدّوا الدليل، بمعونة نعمة المسيح، على أمانتهم في الجهاد الذي تتطلّبه الحياة المسحية. هذا الجهاد هو جهاد **الارتداد** إلى الله، بغية القداسة والحياة الأبدية التي لا ينى الربّ يدعونا إليها.

3ً. ارتداد المعمّدين

1427- يسوع يدعونا إلى الارتداد إليه. هذا النداء هو جزء جوهريّ في بشرى الملكوت: "لقد تمّ الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالانجيل" (مر 1: 15). في كرازة الكنيسة، يتوجّه هذا النداء أوّلاً إلى الذين لم يعرفوا بعد المسيح وإنجيله. ولذا فالمعمودية هي الموقع الرئيسي للارتداد الأوّل والأساسي. فبالإيمان بالبشرى السعيدة وبالمعمودية يُعرض الانسانُ عن الشرّ وينال الخلاص، إي مغفرة كل الخطايا وموهبة الحياة الجديدة.

1428- والواقع أنّ نداء المسيح إلى الارتداد لا يزال يدوّي في حياة المسيحيين. هذا **الارتداد الثاني** مهمّة مستمرّة لا تنقطع في الكنيسة كلّها التي "تضمّ خطأة في حضنها"، "وهي، في آن واحد، مقدّسة ومفتقرة دائماً إلى التطهير ولا تني عاكفة على التوبة والتجدّد". هذا السعي إلى الارتداد ليس عملاً بشريّاً وحسب، بل هو من وحي "القلب المنسحق"، تجذبه النعمة وتحرّكُه ليستجيب لحب الله الشفوق الذي أحبّنا أوّلاً.

1429- ودليل ذلك ارتداد القديس بطرس، بعد أن أنكر معلّمه ثلاثاً. لقد نظر إليه يسوع بعينٍ ملؤها الرأفة، ففاضت دموعه توبة، وبعد قيامة الرب، أكّد له حبّه ثلاثاً. هذا الارتداد الثاني يكتسي طابعاً **جماعيّاً**، يظهر في نداء الرب إلى كنيسته بأجمعها: "توبوا!" (رؤ2: 5، 16).

"في شأن هذين الارتدادين، يؤكد القديس أمبروسيوس أنّ في الكنيسة "الماء والدموع: ماء المعمودية ودموع التوبة".

4ً. التوبة الباطنة

1430- دعوة يسوع إلى الارتداد والتوبة، على غرار دعوة الانبياء، لا تتوخّى أوّلاً الأعمال الظاهرة": "المسيح والرماد"، والأصوام والتقشفات، بل **ارتداد القلب والتوبة الباطنة.** بدون هذه التوبة الباطنة، تبقى أعمال التوبة الظاهرة عقيمة زائفة، بينما الارتداد الباطن يهيب بالانسان إلى أن يعبّر عن توبته بأدلّة حسّية وأفعال توبة وأعمال.

1431- التوبة الباطنة هي إعادة توجيه جذريّة للحياة كلّها. إنّها عودة وارتداد إلى الله من صميم قلبنا، وإمساك عن الخطيئة وبغض الشرّ، وكره لما اقترفناه من أعمال ذميمة. وهي تنطوي، في

الوقت نفسه، على الرغبة والقصد في أن نجدّد حياتنا معتصمين برجاء رحمة الله، والثقة بمعونة نعمته. ارتداد القلب هذا يرافقه توجّع وحزن خلاصيّان سمّاها الاباء **غمّ الروح، وانسحاق القلب**.

1432- قلب الانسان باهض ومتصلّب، ولا بدّ للانسان من قلب جديد ينفحه به الله. والارتداد إنّما هو أولاً عمل نعمة الله الذي يردّ قلوبنا إليه: "أعدنا يا ربّ إليك فنعود" (مرا 5: 21). ويؤتينا الله قوّة لنبدأ جديداً. وعندما نكتشف عظمة محبّة الله، يتفطّر قلبنا من هول الخطيئة وثقلها، ويدبّ فيه الخوف من أن يهين الله وينفصل عنه. القلب البشري يرتدّ إلى الله عندما يشخص إلى ذاك الذي طعنته معاصينا:

"لنجعل عيوننا شاخصة إلى دم المسيح ولنفهم كم هو نفيس في نظر أبيه، لأنّه أُريقَ لأجل خلاصنا، فأسبغ على العالم كلّه نعمة التوبة".

1433- منذ الفصح، والروح القدس يُفحم العالم بشأن الخطيئة وذلك بأنَّ العالم لم يؤمن بمن أرسله الآب. ولكنّ هذا الروح عينه الذي يفضح الخطيئة هو المعزّي الذي يُلقي في قلب الانسان نعمةَ التوبة والارتداد.

5ً. مختلف أنواع التوبة في الحياة المسيحية

1434- توبة الانسان الباطنة قد تتخذ تعابير غايةً في التنوع. ويلحّ الكتاب المقدس والآباء على ثلاثة أشكال لها: **الصوم، والصلاة، والصدقة**، وهي تعبّر عن الارتداد في علاقته مع الذات، ومع الله ومع الآخرين. فإلى جانب التنقية الجذرية التي تتم بالمعمودية أو بالاستشهاد، يذكرون من بين الوسائل المعتَمدة لنيل مغفرة الخطايا: الجهود المبذولة للتصالح مع القريب، ودموع التوبة، والاهتمام بخلاص القريب، وشفاعة القديسين وممارسة المحبة التي "تستر جمّاً من الخطايا" (1 بط 4: 8).

1435- في الحياة اليومية يتمّ الارتداد عبر أفعال مصالحة، والاهتمام بالمعوزين، وممارسة العدالة والحق والدفاع عنهما، والإقرار بالذنوب أمام الآخرين، والتأديب الأخوي، ومراجعة الحياة، ومحاسبة الضمير، والإرشاد الروحي، واحتمال الأوجاع والصبر على الاضطهاد من أجل البرّ. أن نحمل الصليب كل يوم ونتبع يسوع هو الطريق الآمن إلى التوبة.

1436- الافخارستيا والتوبة: الارتداد والتوبة، كل يوم، منبعها وغذاؤهما الافخارستيا، ففيها تتجدّد ذبيحة المسيح الذي صالحنا مع الله. بالافخارستيا يتغذّى ويتقوّى الذين يحيون حياة المسيح، "وهي الترياق الذي يُعتقُنا من أخطائنا اليومية ويصوننا من الخطايا المميتة".

1437- قراءة الكتاب المقدس وليترجيا الساعات وصلاة الأبانا وكلّ عمل خالص من أعمال العبادة والتقوى ينشّط فينا روح الهداية والتوبة ويساهم في غفران خطايانا.

1438- أوقات االتوبة وايّامها على مدار السنة الليترجية (زمن الصوم وكلّ جمعة تذكاراً لموت المسيح)، كلّها أوقات مكثّفة لممارسة التوبة في الكنيسة. هذه الأوقات تناسب، بطريقة خاصة، الرياضات الروحية وليترجيات التوبة، والحج في سبيل التوبة والتضحيات الطوعية كالصوم والصدقة، والمشاركة الأخوية (والأعمال الخيرية الرسولية).

1439- حركة الارتداد والتوبة وصفها يسوع وصفاً رائعاً في المثل المعروف بمثل "الابن الشاطر"، ومحوره: "الأب الرحيم": جاذبية الحرية الزائفة، النزوح عن البيت الأبويّ، البؤس المدقع الذي آل إليه بعد أن بدّد ثروته، الخزي العميق بسبب ما أُجبر عليه من رعاية الخنازير، التأمّل في الخيرات المفقودة، التوبة وقراره الافضاء إلى أبيه بذنبه، طريق العودة، حفاوة الوالد به حفاوة سخيّة، فرح الأب: هذه كلّها ملامح ترسم مسار الارتداد. وأمّا الحفلة الفاخرة والخاتم

ووليمة العيد فهي رموز هذه الحياة الجديدة النقيّة الكريمة الزاخرة بالفرح، حياة الانسان الذي يرجع إلى الله وإلى حضن أسرته أي الكنيسة. قلب المسيح الذي يسبر وحده أعماق حبّ أبيه، استطاع أن يكشف لنا عميق رحمته، كشفاً مشبّعاً بالبساطة والروعة.

6ً. سرّ التوبة والمصالحة

1440- الخطيئة هي أوّلاً إهانة لله وقَطْعٌ للشركة معه. وهي، في الوقت نفسه، مساسٌ بالشركة مع الكنيسة، ومن ثمّ فالارتداد يستنزل عليه صفح الله، ويحقق المصالحة مع الكنيسة، في آنٍ واحد. وهذا ما يوحيه ويحقّقه، ليترجيّاً، سرّ التوبة والمصالحة.

الله وحده يغفر الخطايا

1441- الله وحده يغفر الخطايا. ولأنَّ يسوع هو ابن الله، فهو يقول عن نفسه: "إنّ ابن البشر له سلطان يغفر به الخطايا في الأرض" (مر 2: 10)، ويمارس هذا السلطان الإلهيّ: "مغفورة لك خطاياك" (مر 2: 5). وهو إلى ذلك، بفعل سلطته الإلهيّة، يفوّض إلى الناس هذا السلطان، يمارسونه باسمه.

1442- لقد أراد المسيح أن تكون كنيسته بكاملها، في حياتها وصلاتها وتصرّفها، علامةً ووسيلةً للمغفرة والمصالحة اللتين استحقّهما لنا بثمن دمه. بيد أنّه وَكَلَ إلى خلافائه في الخدمة الرسولية ممارسة سلطان الحل، وفوّض إليهم "خدمة المصالحة" (2 كو 5: 18). فالرسول مبعوث "باسم المسيح"، "والله نفسه" هو الذي، من خلاله، يحثُّ ويناشد: "صالحوا الله" (2كو 5: 20).

المصالحة مع الكنيسة

1443- إنّ يسوع، مدّة حياته العلنية، لم يغفر الخطايا وحسب، بل أظهر أيضاً مفعول هذا الغفران: لقد أعاد الخطأة الذين غفر لهم خطاياهم إلى حضن جماعة شعب الله، وكانت الخطيئة قد أقصتهم عنها بل نَفَتْهُم منها. وهناك دليل ساطع على هذا: وهو أنّ يسوع قد قَبِل الخطأة إلى مائدته، بل جلس هو نفسه إلى مائدتهم، وقد أعرب بتصرّفه هذا، بطريقة مؤثّرة وفي آنٍ واحد، عن صفح الله وعودة الخاطئ إلى حضن شعب الله.

1444- لقد أعطى الربّ الرسل ما له من سلطان خاصّ على مغفرة الخطايا، وأعطاهم أيضاً السلطة لإجراء مصالحة الخطأة مع الكنيسة. هذا الطابع الكنسي في مهمّتهم ينعكس خصوصاً في الكلمة التي وجّهها يسوع رسميّاً إلى سمعان بطرس: "سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات. فما رَبطته في الأرض رُبِط في السماوات، وما حللته في الأرض حُلَّ في السماوات" (متى 16: 19). "مهمّة الربط والحل هذه التي أُعطيت لبطرس، قد أُعطيت أيضاً لهيئة الرسل متّحدين برئيسهم" (متى 18: 18، 28: 16-20).

1445- وتعني لفظتا **الحل والربط:** أنّ من تعزلونه من شركتكم يُعزَل من شركتِه مع الله، وأنّ من تقبلونه ثانيةً في شركتكم، يقبله الله أيضاً في شركته. **فالمصالحة مع الكنيسة لا تنفصل عن المصالحة مع الله.**

سرّ الغفران

1446- لقد وضع المسيح سرّ التوبة لجميع الأعضاء الخطأة في الكنيسة، وفي طليعتهم أولئك الذين، بعد المعمودية، سقطوا في الخطيئة الثقيلة وخسروا هكذا نعمة المعموديّة، وجرحوا الشركة الكنسيّة. هؤلاء يجدون في سرّ التوبة فرصة جديدة للارتداد إلى الله واستعادة نعمة البرارة. ويرى آباء الكنيسة في هذا السرّ "خشبة (خلاص) جديدة بعد الغرق الذي يحدثه فقدان النعمة".

1447- الصيغة العمليّة التي اعتمدتها الكنيسة، عبر الأجيال، في ممارسة هذا السلطان الذي تلقّته من الربّ، قد تبدّلت كثيراً. ففي الأجيال الأولى، كانت مصالحة المسيحيين الذين اقترفوا الكبائر بعد معموديّتهم (كعبادة الوثن والقتل والزنى)، مرتبطة بنظام تاديبيّ شديد جدّاً يلزم التائبين بالتكفير العلني عن خطاياهم، وذلك، غالباً، مدة سنين طويلة قبل أن يحظوا بالمصالحة. "هيئة التائبين" هذه، (المحصورة في بعض الخطايا الثقيلة) لم يكن لينتمي إليها إلاّ قلّة من الناس، وفي بعض المناطق، مرّة واحدة في الحياة. وفي غضون القرن السابع، أدخل بعض المرسلين الايرلنديين إلى اوروبا القاريّة، بوحي من التقليد الرهباني في الشرق، الطريقة "الفردية" في ممارسة التوبة، معفاة من كلّ قيام علنيّ ولمدّة طويلة بأعمال التوبة قبل نيل المصالحة مع الكنيسة. وأمسى السرّ، منذئذٍ، يتمّ بطريقة فردية بين التائب والكاهن. هذا النمط الجديد بما بات يفترضه من إمكان التكرار، أفسح الطريق إلى ممارسة سرّ التوبة ممارسة متواترة، وأتاح للكاهن أن يمنح الصفح، في احتفال واحد، عن الخطايا الثقيلة والخطايا العرضيّة. هذه الصيغة في ممارسة سرّ التوبة هي، في خطوطها الكبرى، الصيغة المرعية حتى اليوم في الكنيسة.

1448- وإننا لنلاحظ **ذات البنية الأساسية** عبر التطورات التي تقلّب فيها هذا السرّ، في نظامه وطريقة الاحتفال به، على مرّ الأجيال. فهناك عنصران جوهريّان متساويان في الأهمية: من جهة أعمال الإنسان المرتدّ بفعل الروح القدس، وهي التوبة والإقرار بالخطايا، والكفّارة، من جهة أخرى، عمل الله بواسطة الكنيسة. فالكنيسة التي تغفر الخطايا وتحدّد طريقة التكفير عنها، بواسطة الأسقف وكهنته، وباسم يسوع المسيح، تصلّي، هي أيضاً، لأجل الخاطئ وتشترك معه في عمل التكفير. وهكذا، يحظى الخاطئ بالشفاء ويعود إلى حضن الشركة الكنسية.

1449- صيغة الحلّ المستعملة في الكنيسة اللاتينية تعبّر عن مقوّمات هذا السرّ الجوهرية: أبو المراحم هو ينبوع كلّ غفران، ويحقّق مصالحة الخطأة بفصح ابنه وموهبة روحه عبر صلاة الكنيسة وخدمتها:

"فليظهر لك الله أبونا رحمته، هو الذي صالح العالم بموت ابنه وقيامته وأرسل الروح القدس لمغفرة الخطايا. وليهب لك الصفح والسلام بواسطة الكنيسة وخَدمها. وأنا أغفر لك خطاياك كلّها باسم الآب والابن والروح القدس".

7ً. أعمال التائب

1450- "إنّ التوبة تلزم الخاطئ بأن يتقبّل بسرور هذه العناصر كلّها: الندم في قلبه، والإقرار بلسانه، وفي تصرّفه تواضعاً كاملاً أو تكفيراً مثمراً".

الندامة

1451- تتصدر الندامة أفعال التائب كلّها. والندامة هي "ألم في النفس وكره للخطيئة وعزم على ألاّ نعود إليها من بعد".

1452- عنما تصدر الندامة عن حبّ لله يفوق كلّ شيء، تسمّى "كاملة" (ندامة المحبّة). هذه الندامة تغفر الخطايا العرضية، وتحظى أيضاً بمغفرة الخطايا المميتة إذا رافقها العزم الثابت على اللجوء إلى سرّ الاعتراف في أقرب فرصة.

1453- الندامة المسماة "ناقصة" هي أيضاً عطيّة من الله وحفز من الروح القدس، يولّدها اعتبار بشاعة الخطيئة والخوف من العقاب الأبدي وسائر العواقب التي تهدّد الخاطئ (ندامة الخوف). هذه الهزّة الضميرية قد تُحدِث بدءَ تطوّر باطن يكتمل بالحلّة السرّية، بفعل الروح القدس. ولكن الندامة الناقصة، بحدّ ذاتها، لا تفوز بمغفرة الخطايا الثقيلة بل تمهّد لنيلها في سرّ التوبة.

1454- يحسن الاستعداد لقبول هذا السرّ **لمحاسبة الضمير**، نقوم بها في ضوء كلمة الله. أنسب النصوص لهذا الغرض نجده في وصايا الله العشر وفي التعليم الأخلاقي المتضمّن في الأناجيل ورسائل الرسل: عظة الجبل، والتعاليم الرسولية.

الإقرار بالخطايا

1455- الإعتراف بالخطايا (أو الإقرار)، حتى من الناحية البشرية البحتة، يحرّرنا ويسهّل مصالحتنا مع الآخرين. الإقرار يتيح للإنسان أن يواجه الأخطاء التي اقترفها، ويتحمّل مسؤوليّتها، ويعود من ثمّ ثانية إلى الله وإلى شركة الكنسيّة ليُعدَّ لذاته مستقبلاً جديداً.

1456- الإقرار بالخطايا للكاهن هو جزء جوهريّ في سرّ التوبة: "على التائبين أن يعدّدوا، في الإعتراف، كلّ الخطايا المميتة التي يتذكّرونها، بعد محاسة للنفس متقنة، حتى وإن كانت هذه الخطايا حميمة جداً، واقتصرت على مخالفة الوصيّتين الأخرتين في لائحة الوصايا العشر، فهذه الخطايا تجرح النفس أحياناً بجرح أبلغ من الخطايا التي تُرتَكب بمشهد من الجميع".

"عندما يُحاول المؤمنون بالمسيح أن يقرّوا بكلّ الذنوب التي يتذكّرونها، لا يمكن أن نشكّ بأنهم يكشفونها كلّها أمام صفح الله ورحمته. وأما الذين يتصرّفون بعكس ذلك، ويُخفون عمداً بعضاً منها، فهم لا يُقدِّمون للرحمة الإلهية شيئاً تصفح عنه بواسطة الكاهن، لأنه، إذا خجل المريض من كشف جرحه للطبيب، فالطبّ لا يداوي ما يخفى عليه".

1457- تأمر الكنيسة "كلّ مؤمن بلغ سنّ الرشد بأن يعترف، اقلّه مرّة في السنة، بالخطايا الثقيلة التي يتذكَرها". من يتذكّر خطيئة مميتة ارتكبها، عليه الاّ يتناول القربان المقدّس، قبل أن ينال الحلّة السرّية، حتى وإن أوجس ندامة كبيرة، ما لم يكن له سبب خطير للتناول، وامتنع عليه الوصول إلى كاهن معرّف. وعلى الأولاد ان يُقبلوا على سرّ التوبة قبل المناولة الأولى.

1458- الاعتراف بالخطايا اليومية (العرضية) ليس ملزماً حصراً، ولكنّ الكنيسة تحبّذه بشدّة. ولا غرو، فالاعتراف المنتظم بخطايانا العرضيّة يساعدنا في تهذيب ضميرنا، ومكافحة ميولنا الرديئة، والتماس البُرء من المسيح، والتقدّم في حياة الروح. ولا شكّ إنّنا إذا نلنا، بهذا السرّ، موهبة رحمة الآب، بطريقة متواترة، فذلك يدفعنا إلى أن نكون رحماء على مثاله.

"من يعترف بخطاياه يعمل بمعيّة الله. فالله يشكو ذنوبك. فإذا شكوتها أنت أيضاً، فإنّك تنظمّ إلى الله. الله والخاطئ هما اثنان نوعاً ما: فعندما يُحدّثونك عن الانسان، فالانسان من صنع الله. وعندما يحدّثونك عن الخاطئ، فالخطيئة من صنع الانسان نفسه. فَدمّر ما صنعتَه أنت لكي ينقذ الله ما صنعه هو. فعندما تبدأ تَمَجُّ ما صنعتَ، حينئذ تبدأ حسناتك، لأنّك تُقرّ بأعمالك السيّئة. بداية الحسنات هي الاقرار بالسيئات. تصنع الحقيقة وتُقبلُ إلى النور".

التكفير

1459- ثمة خطايا كثيرة تسيء إلى القريب، فلا بدّ من أن نبذل المستطاع للتكفير عن الاساءة

(ردّ المسروقات مثلاً، إعادة حسن الصيت لمن افترينا عليه، التعويض عن الجروح). ذاك مقتضى من أبسط مقتضيات العدل. ولكن الخطيئة، علاوة على ذلك، تجرح الخاطئ نفسُه وتُضعفه، كما تجرح وتُضعف علاقته بالله وبالقريب. إنّ الحلّة تلغي الخطيئة ولكنّها لا تداوي كل البلبلات التي أحدثتها الخطيئة. على الخاطئ، بعد أن ينهض من كبوته، أن يسعى إلى استرداد كامل عافيته الروحية. عليه إذن أن يضيف على توبته ما يعوّض به عن ذنوبه: عليه أن "يكفّر" عن ذنوبه بما يتناسب وإيّاها. هذه الكفّارة تسمّى "العقوبة".

1460- "الكفّارة" التي يفرضها المعرّف يجب أن تُراعي وضع التائب وتتوخّى مصلحته الروحيّة، وتتناسب، قدر الامكان مع خطورة الخطايا المرتكبة وطبيعتها. قد تكون الكفّارة صلاة، أو تقدمة، أو قياماً بأعمال رحمة، أو خدمة للقريب أو تقشّفات طوعية أو تضحيات. وأهمّ من ذلك كلّه الصبر في احتمال صليبنا كل يوم. هذه الكفّارات تساعدنا في التمثُّل بالمسيح الذي كفّر وحده عن خطايانا مرّة واحدة، وتتيح لنا أن نكون وارثين مع المسيح القائم من القبر "ما دمنا نتألّم معه" (رو 8: 17):

"إلاّ أنّ كفّارتنا التي نقدّمها عن خطايانا، لا تتمّ إلاّ بيسوع المسيح: فنحن، من تلقاء أنفسنا، وبحدّ ذاتنا لا نقوى على شيء. ولكن، "بمعونة من يقوّينا، نستطيع كلّ شيء". فليس للانسان ما يفاخر به، ولكنّ "فخرنا" هو المسيح الذي به نكفّر عن خطايانا "مثمرين ثمار توبة"، تستمد منها قوّتها، وبه نقرّبها إلى الآب، وبفضله يرضى الآب عنها".

8ً. خادم سرّ التوبة

1461- بما أن المسيح قد وكل إلى رسله خدمة المصالحة، فالأساقفة خلفاؤهم والكهنة، معاونو الآساقفة، يواصلون القيام بهذه الخدمة. فالأساقفة والكهنة هم الذين يملكون، بقوّة سرّ الكهنوت، سلطان مغفرة الخطايا كلّها، "باسم الآب والابن والروح القدس".

1462- مغفرة الخطايا تصالحنا مع الله، ولكنّها تصالحنا أيضاً مع الكنيسة. فالأسقف، الرأس المنظور في الكنيسة الخاصة، يُعتبر إذن بحقّ، منذ الأزمنة الغابرة، صاحب السلطان الأوّل في خدمة المصالحة، والقيّم على نظام التوبة. وأمّا الكهنة الذين يعاونوه، فيُمارسون هذا السلطان بمقدار ما ينتدبهم لهذه المهمة أسقفُهم (أو رئيس رهبنة) أو البابا، بقوّة الحقّ الكنسي.

1463- ثمّة خطايا على جانب كبير من الخطورة يقع عليها الحرم، وهو أشدّ عقوبة كنسيّة تنزل بالخاطئ وتُحرّم عليه قبول الأسرار وممارسة الأعمال الكنسيّة. ولا يحلّ من هذا الحرم، بموجب الحق الكنسي، إلاّ البابا والأسقف المحلّي، ومن ينتدبانه من الكهنة. في حال خطر الموت يجوز لكل كاهن، وإن لم يُفوّض إليه سماعُ الاعترافات، أن يحلّ من كل خطيئة ومن كلّ حرم.

1464- على الكهنة أن يحُثّوا المؤمنين على الإقبال إلى سرّ التوبة، وعليهم أن يتفرّغوا لهذا السرّ كلّ مرّة يطلبه المسيحيون بطريقة معقولة.

1465- عندما يقوم الكاهن بخدمة سرّ التوبة، إنّما يقوم بخدمة الراعي الصالح الذي يبحث عن الخروف الضال، وخدمة السامريّ الرحيم الذي يضمّد الجروح، والأب الذي ينتظر الابن الشاطر ويرحّب به عند عودته، والقاضي الذي لا يحابي أحداً، ويُصدر حكماً عادلاً ورحيماً. وقصارى القول أنّ الكاهن هو علامة محبّة الله ورأفته بالخاطئ وأداتُهما.

1466- ليس المعرّف سيّد الصفح الإلهي بل خادمه. خادم هذا السرّ يجب أن يتَحد بنيّة المسيح ومحبّته. وعليه أن يكون على معرفة وخبرة بطريقة التصرّف المسيحي، وإلمام بالشؤون الانسانية، واحترام ورِقّة في معاملة الانسان الساقط. وعليه أن يهوى الحقيقة ويتمسّك بالتعليم

الكنسي ويقود التائب برفق إلى الشفاء والنضج الكامل. وعليه أن يصلّي ويكفّر عنه ويكل أمره إلى رحمة الرب.

1467- نظراً إلى دقّة هذه الخدمة وعظمتها، وإلى الاحترام الواجب للاشخاص، تُعلن الكنيسة أنّ كلّ كاهن يسمع اعترافات ملزمٌ بحفظ السر المطلق في شأن الخطايا التي يعترف بها التائبون، وذلك تحت طائلة العقوبات الشديدة. ولا يجوز له أيضاً أن يستخدم ما يستقيه من الاعتراف من معلومات تتعلّق بحياة التائبين. هذا السر الذي لا يحتمل أيّ استثناء يسمّى "الختم السرّي" لأنّ ما يكشفه التائب للكاهن يبقى "مختوماً" بالسرّ.

9ً. مفاعيل هذا السرّ

1468- "كل مفعول سرّ التوبة أن يُعيدنا إلى نعمة الله ويضمّنا إليه في صداقة قصوى". هدف هذا السرّ ومفعوله هو إذن أن **نتصالح مع الله.** إنّ الذين يُقبلون إلى سرّ التوبة بقلب منسحق، واستعداد ورع، "يشعرون من بعده بسلام الضمير وراحته، ترافقهما تعزية روحية قويّة". وذلك بأنّ سرّ المصالحة مع الله يجلب لنا "قيامة روحيّة" حقيقيّة، واسترداداً لما يملكه أبناء الله، في حياتهم، من كرامة وخيرات أثمنها صداقتنا مع الله.

1469- هذا السر **يصالحنا مع الكنيسة.** فالخطيئة تثلم الشركة الأخوية أو تحطّمها، وسرّ التوبة يُصلحها ويُرمّمها. وهو، في هذا الصدد، لا يشفي فقط مّن أُعيد إلى الشركة الكنسية، بل يُحدِث أثراً محيياً في حياة الكنيسة التي ألَمّت بها خطيئة أحد أعضائها. فإذا ارتدّ الخاطئ إلى شركة القديسين وثبت فيها، فهو يتقوّى بتبادل الخيرات الروحية بين جميع اعضاء جسد المسيح الحيّة، سواء الذين لا يزالون في دروب هذه الحياة أم الذين سبقونا إلى الوطن السماوي.

"لا بدّ من التذكير بأنّ المصالحة مع الله تستتبع، نوعاً ما، مصالحات أخرى، تُصلح ما تؤدّي إليه الخطيئة من صدوع أخرى: فالتائب الذي شمله الصفح يصالح ذاته في عمق كيانه، حيث يستعيد حقيقته الباطنة، ويصالح اخوته الذين أهانهم، نوعاً ما، وجرحَهم، ويصالح الكنيسة، بل الخليقة كلّها".

1470- في هذا السرّ **يستبق** الخاطئ، نوعاً ما، بوضع ذاته تحت حكم الله الشفوق، **الحكم** الذي سوف يخضع له في ختام حياته الدنيوية. لأننا الآن، ونحن في قيد هذه الحياة، يُترك لنا الخيار بين الحياة والموت، وليس لنا إلاّ التوبة باباً لدخول الملكوت الذي تنفينا منه الخطيئة الثقيلة. فعندما يرتدّ الخاطئ إلى المسيح بالتوبة والإيمان، ينتقل من الموت إلى الحياة "ولا يخضع للدينونة" (يو 5: 24).

10ً. الغفرانات

1471- قضية الغفرانات في الكنيسة، عقيدة وممارسة، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسرّ التوبة.

ما هو الغفران؟

"الغفران هو أن يترك لنا الله العقاب الزمني الذي تستتبعه الخطايا المغفورة غلطتها. وترك العقاب هذا يحظى به المؤمن بشروط معيّنة، بفعل الكنيسة التي جعلها الله قيّمة على ثمار الفداء فتوزّعها بسلطانها، وتطبّق على المؤمنين استحقاقات المسيح والقديسين".

"يكون الغفران جزئيّاً أو كاملاً، حسبما يُعفى الخاطئ جزئيّاً أو كليّاً من العقاب الزمني الذي تجرّه الخطيئة".

"كلّ مؤمن باستطاعته أن يحصل على غفرانات لنفسه أو يُطبّقَها على الراقدين".

عقوبات الخطيئة

1772- لكي نفهم هذه العقيدة وهذه الممارسة في الكنيسة، لا بد من النظر إلى الخطيئة في **مفهومها المزدوج.** فالخطيئة الثقيلة تحرمنا الشركة مع الله، وتجعلنا، من ثمّ، غير أهل للحياة الأبدية، وهذا ما يسمّى "بالعقاب الأبديّ" للخطيئة. ومن جهة أخرى، كلّ خطيئة، حتى الخطيئة العرضية، تجعلنا نتعلّق تعلّقاً مريضاً بالخلائق، يحتاج إلى تنقية، سواء في هذا العالم أم بعد الموت، في الحالة المعروفة "بالمطهر". هذه التنقية تعفينا ممّا يسمّى "بالعقاب الزمني" للخطيئة. هاتان العقوبتان، يجب الاّ نعتبرهما شبه انتقام ينزله الله بنا من الخارج، بل نتيجة نابعة من طبيعة الخطيئة نفسها. التوبة الصادرة عن محبّة متّقدة قد تؤدّي بالخاطئ إلى تنقية كاملة تعفي صاحبها من كلّ عقاب.

1473- مغفرة الخطيئة واستعادة الشركة مع الله يستتبعان محو العقوبات الأبدية الناجمة عن الخطيئة. وإنّما تبقى هناك عقوبات زمنية. وعلى المسيحيّ أن يسعى إلى أن يتحمّل في الصبر عذابات الحياة ومحنها المتنوّعة، ومتى حانت الساعة، أن يواجه الموت راضياً، وبحسب هذه العقوبات الزمنيّة نعمة من الله. وعليه أن يدأب، بأعمال الرحمة والمحبّة، وكذلك بالصلاة ومختلف أعمال التوبة، في أن يخلع عنه كليّاً "الانسان القديم" ويلبس "الإنسان الجديد".

في شركة القديسين

1474- المسيحي الساعي إلى تنقية ذاته من الخطيئة وتقديس ذاته بمعونة النعمة الإلهية، ليس وحيداً في مسعاه هذا: "حياة كلّ من أبناء الله مرتبطة ارتباطاً عجيباً، في المسيح وبالمسيح، بحياة جميع إخوته المسيحين، في وحدة تفوق الطبيعة، وحدة جسد المسيح السرّي، كما في شخص سرّي".

1475- في شركة القديسن، "يقوم بين المؤمنين - الذين بلغوا الوطن السماوي والذين قُبلوا في المطهر للتكفير عن ذنوبهم، والذين لا يزالون حُجاجاً في الأرض- رباط محبّة دائم، وتبادلٌ فائضٌ لجميع الخيور". في هذا التبادل العجيب، قداسة الفرد تعود على الآخرين بفائدة تتخطّى، إلى حدّ بعيد، الأذى الذي تُلحقه بالآخرين خطيئة الفرد. وهكذا يجد الخاطئ التائب، في الركون إلى شركة القديسين، وسيلة أسرع وأفعل، ليتنقّى من عقوبات الخطيئة.

1476- هذه الخيور الروحية النابعة من شركة القديسين، نسيمّيها أيضاً **كنز الكنيسة.** "وليس هذا الكنز مجموعَ خيور، على شاكلة الثروات المادّية المكدّسة على مدّ الأجيال، بل هو الثمن اللانهائي الفيّاض الذي احرزته، عند الله، كفّارات المسيح ربنا واستحقاقاته المقرّبة لتُعتَق البشريّة من الخطيئة وتنال الشركة مع الآب. ففي المسيح فادينا تفيض كفّاراتُ فدائه واستحقاقات هذا الفداء".

1477- "وينضاف إلى هذا الكنز أيضاً صلوات الطوباوية العذراء مريم وأعمالُها الصالحة، ولها، في نظر الله، ثمنٌ دائم التجدد لا حدّ له ولا قياس، وكذلك صلوات جميع القديسين وأعمالهم، وقد تقدّسوا بنعمة المسيح، وساروا في خطاه، وأرضوا الرب بسيرتهم، وساهموا، وهم يعملون لخلاصهم، في خلاص إخوتهم أيضاً، في وحدة الجسد السرّي".

نيل الغفران من الله بواسطة الكنيسة

1478- تحظى "بالغفران" بواسطة الكنيسة التي نالت من المسيح يسوع سلطان الحلّ والرّبط. فبقوّة هذا السلطان، تتوسط الكنيسة للمسيحي، وتفتح له كنز استحقاقات المسيح والقديسين، وتنال

له، من لدن أبي المراحم، ترك العقوبات الزمنية الناجمة عن خطاياه. وهكذا، لا تبغي الكنيسة أن تغيث هذا المسيحي فحسب، بل أن تستحثّه على القيام بأعمال تقوى وتوبة ومحبّة.
1479- نظراً إلى أنّ المؤمنين الراقدين الذي لا يزالون في طور التطهر هم اعضاء أيضاً في شركة القديسين عينها، بوسعنا أن نسعفهم بطرق متنوّعة، كأن ننال لهم من الغفرانات ما يعفيهم من العقوبات الزمنيّة التي جرّتها عليهم ذنوبهم.

11ً. الاحتفال بسرّ التوبة

1480- سرّ التوبة، أسوة بباقي الاسرار، هو عمل ليترجيّ. وهذه هي عادةً عناصر الاحتفال به: تحيّة الكاهن وبركتُه، قراءة كلمة الله لإنارة الضمير وتحريك الندامة والحثّ على التوبة، الاعترافُ الذي به يُقرّ التائب بخطاياه ويكشفها للكاهن، فرضُ القصاص وقبوله، الحلّ من الخطايا على يد كاهن، الحمد والشكرُ وصرفُ التائب مُزوَّداً ببركة الكاهن.
1481- نجد في الليترجيا البيزنطية للحلّ عدّة صيغ ابتهالية تعبّر تعبيراً رائعاً عن سرّ الغفران: "الإله الذي، بواسطة ناتان النبي، غفر لداود خطاياه التي اعترف بها، ولبطرس الذي بكى بكاء مرّاً، وللزانية التي أفاضت الدموع على قدميه، وللعشار والابن الشاطر، هذا الإله عينه يصفح عنك، بواسطتي أنا الخاطئ، في هذه الحياة وفي الآخرة، ويظهرك بلا دينونة أمام منبره الرهيب، هو المبارك إلى دهر الداهرين. آمين".
1482- سرّ التوبة، يجوز إقامته أيضاً في إطار **احتفال جماعي**، نستعدّ فيه معاً للاعتراف، ونشكر الله معاً ما جاد به علينا من الصفح. في هذا الإطار يُفسح مجالٌ للاعتراف الفردي بالخطايا، وللحل الفردي، في تضاعيف ليترجيا كلمة الله، مع ما يرافق ذلك من قراءات وعظة ومحاسبة ضمير مشتركة، والتماسٌ جماعيّ للصفح وصلاة الأبانا والشكر المشترك. هذا الاحتفال الجماعي يعبّر، بطريقة أبلغ، عن التوبة في طابعها الكنسي. ولكن، أيّاً كانت طريقة الاحتفال به، فَسِرّ التوبة هو دائماً، في طبيعته ذاتها، عمل ليترجيّ وبالتالي كنسيّ وعلنيّ.
1483- في حال الضرورة الماسّة يجوز اللجوء إلى **سرّ المصالحة في احتفال جماعي يتضمّن الاعتراف العمومي والحلّ العمومي.** مثل هذه الحاجة قد يطرأ في حال خطر موت داهِم لا يتيح للكاهن أو للكهنة ما يكفي من الوقت للاستماع إلى اعتراف كل تائب بمفرده. وقد تطرأ الضرورة الماسّة أيضاً عندما لا يتوفّر عدد المعرّفين لتلبية جمهور التائبين، والاستماع، بالطريقة المفروضة، إلى اعترافاتهم الفردية في وقت معقول، فيُحرم التائبون، مدّة طويلة، عن غير ذنب منهم، نعمة السرّ أو التناول المقدس. في هذه الحال، يجب على المؤمنين، لينالوا حلاً صحيحاً لذنوبهم، أن يعقدوا العزم على الاعتراف الفردي بخطاياهم الثقيلة، في الوقت المطلوب. وإنّه لمن صلاحيّات الأسقف الأبرشي أن ينظر في الشروط المطلوبة للحل الجماعي. أمّا توافد المؤمنين في مناسبة الأعياد الكبرى أو في مناسبات الحجّ، فلا يشكّل حالة من أحوال هذا الخطر الماسّ.
1484- "الاعتراف الفرديّ الكامل والحلّ الذي يعقبه هما الطريقة العادية الوحيدة لتحقيق المصالحة مع الله والكنيسة، إلاّ إذا أعفى من مثل هذا الاعتراف مانعٌ طبيعيّ أو أدبيّ". هذه القاعدة لا تخلو من أسباب عميقة. فالمسيح يعمل من خلال كلّ من الأسرار، ويتوجّه شخصيّاً إلى كلّ من الخطأة: "يا بنيّ، مغفورة لكَ خطاياك" (مر2:5). إنّه الطبيب الحادب على كلّ من المرضى المحتاجين إليه ليبرأوا: يُقيلُهم من عثرتهم ويعيدهم إلى الشركة الأخوية. الاعتراف الفرديّ هو الصيغة الأمثل لعقد المصالحة مع الله والكنيسة.

بإيجاز

1485- *"في مساء الفصح ظهر الرب يسوع لرسله وقال لهم: "خذوا الروح القدس. فمن غفرتم خطاياهم غُفرت لهم، ومن أمسكتم أُمسكّت" (يو 20: 22-23).*

1486- *مغفرة الخطايا المقترفة بعد المعمودية تُمنح بواسطة سرّ خاص يُعرف بسرّ الارتداد، أو الاعتراف، أو التوبة، أو المصالحة.*

1487- *من يخطأ يجرح الله في كرامته ومحبّته، ويجرح كرامة الانسان الذاتيّة بصفته كائناً مدعوّاً إلى أن يكون ابن الله، ويبلبل راحة الكنيسة الروحيّة، تلك الكنيسة التي يجب على كلّ مسيحي أن يكون فيها حجراً حيّاً.*

1488- *في نظر الإيمان، لا شرَّ أعظم من شرّ الخطيئة ولا شيء يجرّ على الخطأة أنفسهم وعلى الكنيسة وعلى العالم بأسره عواقب أوخم.*

1489- *العودة إلى الشركة مع الله التي نفقدها بالخطيئة هي حركة تولّدها نعمة الله الرحيم والمعنيّ بخلاص البشر. ولا بدّ أن نلتمس هذه العطيّة النفيسة لذواتنا وللغير.*

1490- حركة العودة إلى الله تُدعى ارتداداً وتوبة تفترض توجّعاً وكرهاً للخطايا المقتَرفة والعزم الثابت على ألاّ نعود نخطأ من بعد. الارتداد يتّصل اذن بالماضي وبالمستقبل، ويتقوّى بالاتّكال على رحمة الله.

1491- *سرّ التوبة قوامه الأعمال الثلاثة التي يقوم بها التائب، والحلّ الذي يعطيه الكاهن. أعمال التائب هي التوبة والاعتراف أي كشف الخطايا للكاهن، والعزم على التكفير عنها والقيام بأعمال التكفير.*

1492- *التوبة (أو الندامة) يجب ان ترتكز على أسباب تتصل بالإيمان. فإذا صدرت التوبة عن محبة خالصة لله، فهي "التوبة الكاملة". وأمّا إذا ارتكزت على أسباب أخرى، فهي "التوبة الناقصة".*

1493- *من رام المصالحة مع الله ومع الكنيسة، عليه أن يعترف للكاهن بجميع الخطايا الثقيلة التي لم يعترف بعد بها والتي يتذكّرها بعد محاسبة دقيقة لضميره. وأمّا الاعتراف بالخطايا العرضيّة، وإن لم يكن ملزماً، فالكنيسة تحبّذه، مع ذلك، وتشدّد عليه.*

1494- *يعرض المعرّف على التائب القيام ببعض أعمال "التكفير" أو "التعويض"، لإصلاح الضرر الناتج عن الخطيئة، واستعادة الخصال التي يتميّز بها تلميذ المسيح.*

1495- *لا يجوز إلاّ للكهنة الذين تفوّض إليهم الكنيسة سلطان الحلّ، أن يغفروا الخطايا باسم المسيح.*

1496- *المفاعيل الروحية لسرّ التوبة هي:*

- *المصالحة مع الله التي بها يستعيد التائب النعمة الإلهية،*
- *المصالحة مع الكنيسة،*
- *محو العقاب الأبدي الذي تستوجبه الخطايا الثقيلة،*
- *محو العقوبات الزمنية – ولو جزئيّاً – الناجمة عن الخطايا،*
- *السلام وطمأنينة الضمير والتعزية الروحية،*
- *تنامي القوى الروحية، في سبيل الجهاد المسيحي الروحي.*

1497- *الاعتراف الفردي والكامل بالخطايا الثقيلة والحلّ الذي يعقبها هما الوسيلة العادية الوحيدة للمصالحة مع الله ومع الكنيسة.*

1498- *يستطيع المؤمنون، بواسطة الغفرانات، أن ينالوا لذواتهم وللنفوس المطهرية أيضاً محو العقوبات الزمنيّة الناجمة عن الخطايا.*

المقال الخامس
مسحة المرضى

1499- "بالمسحة المقدّسة المقرونة بصلاة الكهنة، الكنيسة كلّها تشفع بالمرضى لدى الرب الذي تألّم ليعزّيهم ويخلّصهم، وتحثّهم على أفضل من ذلك: أن يشتركوا اشتراكاً طوعياً في آلام المسيح وموته، فيؤدّوا بذلك قسطهم في ما يعود على شعب الله بالخير".

1ً. راكائزها في تدبير الخلاص
المرض في حياة البشر
1500- لقد كان المرض والعذاب دائماً من أخطر المعضلات الملمّة بالحياة البشرية. ففي المرض يختبر الانسان مدى عجزه وحدوده ومحدوديّته. وكل مرض يتراءى لنا الموت من خلاله.
1501- وقد يقود المرض إلى الجزع والانكفاء على الذات، بل إلى اليأس والثورة على الله أحياناً. ولكنّه قد يصيّر الانسان أكثر نضجاً، ويساعده في تمييز ما ليس جوهريّاً في حياته، فيرتدّ إلى ما هو جوهريّ. وقد يفضي المرض، غالباً جدّاً، إلى التماس الله والعودة إليه.

المريض تجاه الله

1502- إنسان العهد القديم عاش المرضَ في حضرة الله: يسكب أمامه شكواه من مرضه، ومنه، وهو سيّد الحياة والموت، يلتمس الشفاء. ويصبح المرض سبيلاً إلى الارتداد، وصفحُ الله بدءاً للشفاء. ويختبر اسرائيل المرض، بطريقة سرّية، مرتبطاً بالخطيئة والشر، والاخلاص لله ولشريعته طريقَ عودة إلى الحياة: "أنا الرب معافيك" (خروج 15: 26). ويتراءى للنبي أنّ العذاب قد يكسب أيضاً معنى فدائيّاً لذنوب الآخرين. ويتنبأ أشعيا أخيراً بأنّ الله سوف يؤتي صهيون زمناً ينزع فيه كلّ إثم ويشفي كلّ مرض.

المسيح الشافي

1503- شفقة المسيح على المرضى وشفاؤه كثيرين بعلل من كلّ نوع هما الدليل الساطع على أنّ "الله قد افتقد شعبه"، وأنّ ملكوت الله قد أضحى قريباً جدّاً. ولم يكن يسوع ليملك سلطان الشفاء وحسب، بل سلطان مغفرة الخطايا أيضاً. لقد جاء ليبرئ الانسان كلّه، جسداً وروحاً. إنّه الطبيب الذي يحتاجه المرضى. وقد إوغلت به شفقته على كل المعذّبين إلى حدّ التماهي وإيّاهم: "كنت مريضاً فعُدتُموني" (متى 25: 36). هذه المحبّة التي آثر بها السّقماء ما زالت توقظ لدى المسيحيين، عبر الأجيال، تنبّهاً خاصاً لجميع المعذّبين جسماً وروحاً، وهي مصدر الجهود المتواصلة للتخفيف عنهم.

1504- كثيراً ما كان يسوع يطلب الإيمان من المرضى، ويستعين بوسائل حسّية للشفاء: الريق ووضع اليدين والطين والغسل. وكان المرضى يحاولون أن يلمسوه "لأنّ قوّة كانت تخرج منه وتبرئ الجميع" (لو 6: 19). وهكذا لا يزال المسيح "يمسّنا" بواسطة الأسرار ليشفينا.

"إشفوا المرضى..."

1506- يدعو المسيح تلاميذه إلى اتّباعه حاملين، هم أيضاً، صليبهم، وباتّباعه يكتسبون نظرة جديدة إلى المرض وإلى المرضى. ويشركهم يسوع في حياته الفقيرة الخادمة، ويدعهم يساهمون في رسالة الشفقة والشفاء التي يقوم بها: "مضوا يدعون الناس إلى التوبة، وطردوا كثيراً من الشياطين ودهنوا بالزيت كثيراً من المرضى فشفوهم" (مر 6: 12-13).

1507- وينتدبهم الرب ثانية، من بعد قيامته، لهذه الرسالة: "والذين يؤمنون تصحبهم هذه الآيات: فباسمي يضعون أيديهم على المرضى فيتعافون" (مر 16: 17-18)، ويثبتها بالآيات التي تصنعها الكنيسة باستدعاء اسمه. هذه الآيات تعلن، بطريقة خاصة، أنّ يسوع هو حقّاً "الإله الذي يخلِّص".

1508- ان الروح القدس يجود على البعض بموهبة شفاء خاصة، ليعلن قوّة النعمة الصادرة عن القائم من بين الأموات. ولكنّ أحرَّ الصلوات قد لا تؤدّي أحياناً إلى شفاء كلّ الأمراض. وهكذا تَعلّمَ القديس بولس من الرب أنّ: "حسبك نعمتي، ففي الضعف يبدو كمال قدرتي" (2 كو 12: 9)، وأنّ احتمال الآلام قد يعني أنّي "أُتمُّ في جسدي ما ينقص من آلام المسيح في سبيل جسده الذي هو الكنيسة" (كو 1: 24).

1509- "اشفوا المرضى" (متى 10:8). هذه المهمّة، تلقّتها الكنيسة من الربّ وتسعى إلى تحقيقها بكلّ ما توفّره للمرضى من وسائل العناية، وما ترافقهم به من أدعية وتشفّعات. إنّها تؤمن بحضور المسيح الحيّ، طبيب النفوس والأجساد. هذا الحضور يفعل فعله بطريقة خاصة عبر الأسرار، وخصوصاً عبر الافخارستيا، وهي الخبز الذي يعطي الحياة الأبدية والذي يُلمح القديس بولس إلى علاقته بالصحة البدنيّة.

1510- إلاّ أنّ الكنيسة الرسوليّة مارست طريقة طقسيّة خاصّة لفائدة المرضى، يشير إليها القديس يعقوب: "هل فيكم مريض؟ فليدع كهنة الكنيسة ليصلّوا عليه بعد أن يمسحوه بالزيت باسم الربّ. إنّ الصلاة مع الإيمان تخلّص المريض، والربّ ينهضه. وإن كان قد اقترف خطايا تُغفر له" (يع 5: 14-15). وقد اعتبر التقليد الطقس واحداً من أسرار الكنيسة السبعة.

سرّ للمرضى

1511- إنّ الكنيسة تؤمن وتعترف بوجود سرّ من الأسرار السبعة، يهدف خصوصاً إلى مساندة المبتلين بالمرض، وهو مسحة المرضى.

"هذه المسحة المقدّسة قد وضعها المسيح ربّنا سرّاً من أسرار العهد الجديد، بالمعنى الحقيقيّ والحصري وقد ألمح إليه مرقس، وأعلنه يعقوب الرسول أخو الرب، وأوصى به المؤمنين".

1512- في التقليد الليترجي، شرقاً وغرباً، نجد منذ القدم شهادات تثبت استعمال الزيت المقدّس لمسح المرضى. وعلى توالي القرون، أخذت الكنيسة تقصر مسحة المرضى، أكثر فأكثر، على المشرفين على الموت. ولذا سمّيت "بالمسحة الأخيرة". ولكنّ الليترجيا، بالرغم من هذا التطوّر، لم تكفّ يوماً عن الصلاة إلى الربّ ليردّ المريض عافيته، إذا كان ذلك مفيداً لخلاصه.

1513- إنّ الدستور الرسولي في "مسحة المرضى المقدّسة" الصادر في 30 تشرين الثاني 1972، في أعقاب المجمع الفاتيكاني الثاني، قد قرّر اعتماد القواعد التالية، في الطقس الروماني:

"يمنح سر مسحة المرضى للمرضى المخطرين، فيُدهنون على جبهتهم ويديهم بزيت مبارك حسب الأصول- زيت زيتون أو أيّ زيت آخر مستخرج من النبات- مع القول مرّة واحدة: "بهذه المسحة المقدّسة، يشدّدك الربّ العظيم الرحمة بنعمة الروح القدس. ويخلّصك ويُنهضك بعد أن يحرّرك من خطاياك".

2ً. من ينال هذا السرّ ومن يمنحه؟

في حال المرض الخطير....

1514- مسحة المرضى "ليست سرّاً مقصوراً على من بلغوا الغاية القصوى من الحياة. ومن ثمّ، فالميقات المناسب لقبولها هو، في الحقيقة، عندما يبدأ المؤمن يتعرّض لخطر الموت من جرّاء المرض أو الشيخوخة".

1515- إذا استعاد المريض عافيته بعد قبوله المسحة، يجوز له، كلّما جدّ عليه مرض خطير، أن يقبل هذا السر ثانيةً. وحتى في غضون ذات المرض، يمكن تكرار هذا السرّ إذا تفاقم المرض. ويتعيّن قبول سرّ المرضى قبل الإقبال على عمليّة جراحية خطيرة. ويصحّ هذا الإجراء نفسه للمسنّين الذين تتدهور صحّتهم.

"... فليدعُ كهنة الكنيسة"

1516- الأساقفة والكهنة هم وحدهم خَدَمة سرّ مسحة المرضى. وواجب الرعاة أن يحيطوا المؤمنين علماً بفوائد هذا السر. وليُحثَّ المؤمنون المرضى على أن يستدعوا الكاهن ليقبلوا هذا السرّ. وليستعدّ المرضى لقبوله بحسن التأهّب لمعاونة رعاتهم وكلّ الجماعة الكنسيّة المدعوّة إلى أن تحيط المرضى إحاطة خاصّة جدّاً بصلواتها والتفاتاتها الأخويّة.

3ُ. كيف يُحتفل بهذا السرّ؟

1517- مسحة المرضى، ككلّ الأسرار، يُحتفل ليترجيا وجماعيّاً، سواء أفي الأسرة أُقيمت أم في المستشفى أم في الكنيسة، لمريض واحد أو لمجموعة من السقماء. ومن المناسب جدّاً أن يُحتفل بها في إطار الافخارستيا، تذكار فصح الرب. ويمكن أن يسبق المسحة سرّ التوبة ويعقبها سرّ الافخارستيا إذا دعت الظروف إلى ذلك. ولا غرو فالافخارستيا، باعتبارها سرّ فصح المسيح، يجب أن يكون آخر سرّ نقبله في ختام رحلتنا الأرضية، والزاد الذي يتيح لنا "العبور" إلى الحياة الأبدية.

1518- الكلمة والسرّ يؤلّفان حقيقة لا تنفصم. ليترجيا الكلمة تفتتح الاحتفال، مسبوقة بفعل التوبة. فأقوال المسيح وشهادة الرسل توقظ إيمان المريض والجماعة، فيلتمسان من الربّ قوّة روحه.

1519- ويتضمّن الاحتفال بهذا لاسرّ، بصورة رئيسيّة، العناصر التالية: "فكهنة الكنيسة" يضعون أيديهم –في الصمت- على المرضى، ويصلّون عليهم بإيمان الكنيسة، وهذه هي صلاة "الاستدعاء" التي يختصّ بها هذا السرّ. ثمّ يمنحون المسحة بالزيت الذي يُباركه الأسقف إذا أمكن. هذه الأعمال لليترجية ترمز إلى النعمة التي ينالها المرضى من هذا السرّ.

4ُ. مفاعيل الاحتفال بهذا السرّ

1520- موهبة الروح القدس. أولى نعم هذا السرّ هي نعمة تعزية وسلام وصبر للتغلّب على الصعاب التي تلازم حالة المرض الثقيل أو وهن الشيخوخة. هذه النعمة هي عطيّة من الروح

القدس، تجدّد الثقة والإيمان بالله وتقوّي النفس في مواجهة وساوس الشيطان واجتذاب النفس إلى اليأس والجزع من الموت. معونة الرب هذه، بقوة روحه، تهدف، ولا شك، إلى شفاء نفس المريض، ولكن إلى شفاء جسده أيضاً، إذا كانت تلك مشيئة الله. "وإن كان قد اقترف خطايا، تُغفر له." (يع 5: 15)

1521- الاتّحاد بآلام المسيح. بنعمة هذا السرّ يتلقّى المريض من القوّة والموهبة ما يمكّنه من الاتّحاد بآلام المسيح اتّحاداً أوثق: **فهو مُكرَّس،** نوعاً ما، ليؤتي ثمراً يتشبّهه بآلام المخلص الفادية. فالعذاب الذي ينجم عن الخطيئة الأصلية يكتسب معنى جديداً، ويصبح اشتراكاً في عمل يسوع الخلاصيّ.

1522- نعمةُ الكنيسة. المرضى الذين يقبلون هذا السرّ، "باشتراكهم الطوعيّ في آلام المسيح وموته"، يؤدّون "قسطهم، في ما يعود على شعب الله بالخير". إنّ الكنيسة، باحتفالها بهذا السرّ، في شركة القديسين، تشفع إلى الله لخير المريض، كما أنَّ المريض يساهم هو أيضاً، بنعمة هذا السرّ، في تقديس الكنيسة وخير كلّ الذين تتألّم الكنيسة لأجلهم، وتقرّب ذاتها، بالمسيح، إلى الله الآب.

1523- تأهب للعبور الأخير: لئن كان سرّ مسحة المرضى يُمنح لجميع الذين يُعانون من أمراض وأسقام ثقيلة، فهو يُمنَح، بأولى حجة، للمشرفين على النزوح من هذه الحياة، مما دفع إلى تسميته أيضاً "بسر المنتقلين". إنّ مسحة المرضى تُتمّ شَبَهنا بموت المسيح وقيامته، كما ابتدأت المعمودية بذلك، وتُتوّج المسحات المقدّسة التي تتخلّل مختلف مراحل الحياة المسيحية: فمسحة المعمودية تثبّت فينا الحياة الجديدة، ومسحة التثبيت أو الميرون تُقوّينا في جهاد هذه الحياة. وأمّا المسحة الأخيرة فتحصّن نهاية حياتنا الأرضيّة بسور متين، تأهّباً للصراعات الأخيرة قبل دخولنا بيت الآب.

5ً. الزاد: آخر سرّ من حياة المسيحي

1524- إنَ الكنيسة تقدّم الافخارستيا زاداً للمشرفين على مغادرة هذه الحياة، بالإضافة إلى مسحة المرضى. الاشتراك في جسد المسيح ودمه في هذه اللحظة، لحظة العبور إلى الآب، يكتسب معنىً لافتاً وأهمّية خاصة. فهو بذار حياة أبديّة وقوةُ قيامة، على حدّ قول الربّ: "من أكل جسدي وشرب دمي، فله الحياة الأبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير" (يو 6:54). فالافخارستيا، بالاضافة إلى كونها سرّ موت المسيح وقيامته، هي هنا سرّ الانتقال من الموت إلى الحياة، ومن هذا العالم إلى الآب.

1525- فكما انّ أسرار المعمودية والتثبيت والافخارستيا تؤلّف وحدة متكاملة هي "أسرار التنشئة المسيحية"، كذلك أسرار التوبة والمسحة المقدّسة والافخارستيا، يمكن اعتبارها زاداً أخيراً، في اللحظة التي تبلغ فيها الحياة المسيحية أجَلَها. "هذه الأسرار تُعدّ للانطلاق إلى الوطن" وتُنهي رِحلتنا الأرضية.

بإيجاز

1526- "*هل فيكم مريض؟ فليدعُ كهنة الكنيسة ليصلّوا عليه بعد أن يمسحوه بالزيت باسم الربّ. إنّ الصلاة مع الإيمان تخلّص المريض والربّ ينهضه. وأن كان قد اقترف خطايا تُغفّر له" (يع 5: 14-15).*

1527- *الهدف من سرّ مسحة المرضى تزويد المسيحي بنعمة خاصة عندما يُعاني من الصّعاب ما يلازم حالة المرض الثقيل أو الشيخوخة.*

1528- *الوقت المناسب لنيل المسحة المقدّسة هو، في الحقيقة، الوقت الذي يجد فيه المؤمن نفسه في خطر الموت بسبب مرض أو شيخوخة.*

1529- *كلّ مرّة يصاب المؤمن بمرض خطير، يستطيع أن يقبل المسحة المقدّسة، ويستطيع أن يقبلها مرّة ثانية، عند تفاقم المرض.*

1530- يجوز للأساقفة وللكهنة وحدهم أن يمنحوا سرّ مسحة المرضى، ويستعملون، في منحه، الزيت الذي يُباركه الأسقف أو، عند الحاجة، الكاهن الذي يحتفل به.

1531- *قوام الاحتفال بهذا السرّ دهن جبهة المريض ويديه بالزيت (في الطقس الروماني) وأجزاء أخرى من الجسم (في الشرق). ويرافق المسحة صلاة ليترجية يتلوها الكاهن المحتفل ويلتمس فيها النعمة الخاصة المرتبطة بهذا السرّ.*

1532- *النعمة الخاصة التي ترافق سرّ مسحة المرضى لها عادة مفاعيل:*

- أتّحاد المريض بآلام المسيح، لخيره وخير الكنيسة كلّها،

- التعزية والسلام والصبر في تحمّل المرض أو الشيخوخة، تحمّلاً مسيحيّاً،

- مغفرة الخطايا التي لم يستطع المريض أن ينالها بواسطة سرّ التوبة،

- استرداد العافية إذا توافق ذلك مع الخلاص الروحي،

- التأهّب للعبور إلى الحياة الأبدية.

الفصل الثالث

أسرار خدمة الشركة

1533- المعمودية والتثبيت والافخارستيا هي من أسرار التنشئة المسيحية، وهي مرتكز الدعوة المشتركة بين جميع اتباع المسيح، أي الدعوة إلى القداسة وإلى رسالة التبشير بالإنجيل في العالم. وهي تزوّد الانسان بالنعم الضروريّة ليحيا بمقتضى الروح في هذه الحياة المترحّلة والذاهبة شطر الوطن.

1534- ثمّة سرّان آخران: الكهنوت والزواج، هدفهما خلاص الآخرين. لا شكّ أنهما يساهمان أيضاً في خلاص الفرد، ولكن من خلال خدمة الآخرين، ويخوّلان المؤمنين رسالة خاصة في الكنيسة، ويساعدان في بناء شعب الله.

1535- بفضل هذين السرّين، يستطيع الذين **تكرّسوا** بالمعمودية والتثبيت للكهنوت المشترك بين جميع المؤمنين، أن ينالوا مسحات أخرى. فالذين يقبلون سرّ الكهنوت يُكرَّسون ليكونوا، باسم المسيح، "وبكلمته ونعمته، رعاة للكنيسة". "والأزواج المسيحيون، من جهتهم، يُقوّون **ويُكرَّسون**، نوعاً ما بسرّ خاص، ليضطلعوا بواجبات حالتهم، اضطلاعاً لائقاً".

المقال السادس

سرّ "الكهنوت"

1356- سرّ الكهنوت هو السرّ الذي يكفل استمرار الرسالة التي وكلها المسيح إلى تلاميذه ناشطةً في الكنيسة حتى منتهى الأزمنة: هو إذن سرّ الخدمة الرسولية، ويتضمّن ثلاث رُتب: الأسقفية، والكهنوت، والشماسيّة.

(في شأن الخدمة الرسولية، من ناحية تأسيسها ورسالتها من قبل المسيح، أنظر الفقرات 874- 896. وأمّا هنا فلا نعالج إلاّ الطريقة الأسرارية التي يتمّ بها تراث هذه الخدمة).

1ُ. لماذا يسمى هذا السر "بالنظام"

1537- لفظة "النظام"، في العهد الروماني القديم، كانت تدلّ على الهيئات المنتظمة، في مفهومها المدنيّ، ولاسيّما الهيئة الحاكمة. "والتنظيم" هو ضمّ اناس إلى "نظام" ما. وأمّا في الكنيسة، فنجد هيئات منظَّمة، يسميها التقليد منذ القدم "رُتبا"، مستوحياً بعض المرتكزات في الكتاب المقدّس. فالليترجيا تتكلّم عن **رتبة الأساقفة ورتبة الكهنة، ورتبة الشمامسة.** هناك فئات أُخرى كانت تحمل هذه التسمية: الموعوظون، والعذارى، والأزواج، والأرامل....

1538- الانضمام إلى إحدى تلك الهيئات في الكنيسة كان يتمّ عبر "طقس" معيّن، يدعى "رتبة" وهو عمل دينيّ وليترجي قوامه تكريسٌ أو بركة أو سرّ. وأمّا اليوم فهذه اللفظة مقصورة على العمل الأسراريّ الذي به ينظمّ المؤمن إلى رتبة الأساقفة أو الكهنة أو الشمامسة. وتعني ما هو أبعد من مجرّد **انتخاب أو تعيين أو تفويض** أو تأسيس يصدر عن الجماعة، لأنّ عمل التكريس يؤتي المرء نعمةً من الروح القدس تتيح له أن يمارس "سلطاناً مقدّساً" لا يصدر إلاّ عن المسيح نفسه، بواسطة الكنيسة. هذا العمل يسمّى أيضاً **تكريساً** لأنّه نوع من الفرز والتولية يقوم به المسيح نفسه لأجل كنيسته. **وضع يدي الأسقف،** مع صلاة التكريس، هو العلامة الظاهرة لفعل التكريس هذا.

2ً. سرّ الكهنوت في تدبير الخلاص

كهنوت العهد القديم

1539- لقد أقام الله الشعب المصطفى "مملكة أحبارٍ وأمّةً مقدّسة" (خروج 19: 6). ولكنّ الله اختار، في شعب إسرائيل، أحد الأسباط الاثني عشر، وهو سبط لاوي الذي فرزه للخدمة الليترجية، وجعل ذاته ميراثاً له. ثمّة طقس خاص استُعمل لتكريس كهنوت العهد القديم منذ جذوره، فكان "كلّ حَبْرٍ يُقام لدى الله من أجل الناس ليُقرِّب قرابين وذبائح كفّارة للخطايا".

1540- هذا الكهنوت الذي أُقيم لإعلان كلمة الله وإعادة الشركة مع الله بالذبائح والصلاة، يبقى ذلك قاصراً عن أن يحقّق الخلاص، وبحاجة إلى أن يكرّر الذبائح بلا انقطاع، وعاجزاً عن أن يوفّر للإنسان قداسةً راسخة لن تحقّقها إلاّ ذبيحة المسيح.

1541- إلاّ أنّ ليترجيا الكنيسة تتوسّم في كهنوت هارون والخدمة اللاوية، كما تتوسّم في هيئة السبعين "شيخاً"، رموزاً للخدمة الكهنوتية في العهد الجديد. إليك في الطقس اللاتيني دعاء الكنيسة، في افتتاحية صلاة تكريس لسيامة الأساقفة:

"اللهم يا أبا يسوع المسيح... بدأتَ تكوّن كنيستك طَوالَ زمن العهد القديم، منذ البدء أعددتَ الشعب المتحدّر من إبراهيم ليكون شعباً مقدّساً، لقد أقمتّ لهم رؤساء وكهنة، ودبّرت لهم دائماً من يقوم بخدمة مذبحك."

1542- في رسامة الكهنة تصلّي الكنيسة هكذا:

"أيها الرب الآب القدوس...، لقد أقمت منذ العهد القديم، في شبه إيذان بالأسرار الآتية، أحباراً عظاماً يرعون شعبك ويتأوّلون قيادتهم، ولكنّك اخترت أيضاً رجالاً آخرين أشركتهم في خدمتهم ومساعدوهم في مهمّتهم. وهكذا

اخترت سبعين رجلاً مملوئين حكمةً وأفرغت عليم الروح الذي أعطيته لموسى، وأشركت أبناء هارون في بركة التكريس التي نالها أبوهم".

1543- في صلاة التكريس الملحوظة في رسامة الشمامسة تعترف الكنيسة قائلة:

"ايها الآب القدوس.... لقد أقمتَ، لبناء هذا الهيكل الجديد (الكنيسة) خَدَمةً ينتمون إلى ثلاث رتب مختلفة، الأساقفة والكهنة والشمامسة، ومهمّتهم جميعاً أن يخدموك، على غرار أبناء سبط لاوي الذين فرزتَهم لخدمة بيتك، في العهد القديم، وجعلت ذاتك ميراثاً لهم".

كهنوت المسيح الأوحد

1544- كل رموز الكهنوت في العهد القديم تكتمل في المسيح يسوع "الوسيط الأوحد بين الله وبين الناس" (1تي 2: 5) إنّ التقليد المسيحي يعتبر ملكيصادق "كاهن الله العلي" (تك14:18) رمزاً لكهنوت المسيح الذي دعاه الله وحده "حبراً على رتبة ملكيصادق" (عب5:10،6:20)، حبراً "قدّوساً بريئاً لا عيب فيه" (عب 7: 26), "أجعل الذين قدّسهم كاملين أبداً، بقربان واحد" (عب 10: 14) أي بذبيحة صليبه الواحدة.

1545-ذبيحة المسيح الفادية واحدة لا غير. لقد تمّت مرّة واحدة، ولكنّها ماثلة في ذبيحة الكنيسة الافخارستية. كذلك كهنوت المسيح الواحد يغدو حاضراً في كهنوت الخدمة من غير أن تنقص وحدانية كهنوت المسيح: "ومن ثمّ، فالمسيح هو الكاهن الحقيقي الأوحد، وما الآخرون سوى خَدّمّته".

طريقتان للاشتراك في كهنوت المسيح الأوحد

1546- إنّ المسيح الكاهن الأعظم والوسيط الأوحد، قد جعل من الكنيسة "مملكةً من الكهنة لإلهه وابيه" (رؤ 1: 6). ومن ثمّ فجماعة المؤمنين كلّها كهنوتيّة في حدّ ذاتها. ويمارس المؤمنون كهنوتهم العماديّ عبر مساهمة كل واحد بحسب دعوته الخاصة، في رسالة المسيح الكاهن، والنبيّ والملك. ويتكرّس المؤمنون ليكونوا... كهنوتاً مقدّساً "بواسطة سرّي المعمودية والتثبيت".

1547- كهنوت الخدمة الراعويّة أو الكهنوت الإيروخي (التراتبي) الذي يمارسه الأساقفة والكهنة، والكهنوت المشترك بين جميع المؤمنين، "وإن اشتركا، كلّ على طريقته الخاصة، في كهنوت المسيح الواحد"، إلاّ أنّهما يختلفان اختلافاً جوهرياً، أحدهما عن الآخر، وإن "كانا على تناسق بينهما". وذلك بأنّ كهنوت المؤمنين المشترك يتحقّق في نماء نعمة المعمودية وتُحوّلها إلى حياة إيمان ورجاء ومحبّة وحياةٍ في الروح، واما كهنوت الخدمة الراعوية فهو في خدمة الكهنوت المشترك، ويُعنَى بتنمية نعمة المعموديّة لدى جميع المسيحيين. إنّه **وسيلة من الوسائل** التي لا يكفُّ المسيح عن استعمالها ليبني كنيسته ويقودها. ولذا ينتقل في الكنيسة بواسطة سرّ خاص، هو سرّ الكهنوت.

في شخص يسوع – الرأس....

1548- من خلال الخدمة الكنسيّة التي يقوم بها الخادم المرسوم، يحضر المسيح نفسه في كنيسته، بصفته رأس جسده السرّي، وراعيَ قطيعه، والكاهن الأعظم لذبيحة الفداء، ومعلّم الحقّ. وهذا ما تعبّر عنه الكنيسة بقولها: أنّ الكاهن، بقوة سرّ الكهنوت يعمل **في شخص المسيح الرأس**:

"ذاك الكاهن عينه، يسوع المسيح، يقوم الكاهن حقّاً مقامه. فإذا صحّ أنَّ هذا الكاهن بتكريسه الكهنوتي، قد أصبح شبيهاً بالكاهن الأعظم، فهو يتمتّع بالقدرة على العمل بقوّة المسيح نفسه الذي يمثّله".
"المسيح مصدر كلّ كهنوت: فكاهن العهد القديم كان رمزاً للمسيح، وكاهن العهد الجديد يعمل بشخص المسيح".
1549- بالخدمة الكهنوتية التي يقوم بها خصوصاً الأساقفة والكهنة، يصبح حضور المسيح، بصفته رأس الكنيسة، حضوراً مرئيّاً وسط جماعة المؤمنين. فالأسقف، على حدّ ما جاء في تعبير بليغ للقديس إغناطيوس الأنطاكي، إنّما هو صورة حيّة لله الآب.
1550- حضور المسيح هذا في الكاهن يجب ألاّ يُفهَم على أنّه حِرزٌ له من كل وهن بشريّ: كروح التسلّط والأخطاء وحتى الخطيئة. فقوّة الروح القدس لا تضمن كلّ أعمال الكاهن بذات الطريقة. هذه الضمانة مكفولة ولا شكّ في الأسرار، بحيث إنّ خطيئة الكاهن ذاتها لا تحجب ثمرة النعمة، ولكنّ ثمّة أعمالاً أُخرى كثيرة تحمل بصمات الكاهن البشريّة وتترك فيها آثاراً لا تدلّ دائماً على أمانته للإنجيل، وتستطيع، من ثمّ، أن تُلحِق ضرراً بالكنيسة وخصبها الرسوليّ.
1551- هذا الكهنوت هو كهنوت **خدمة.** "هذه المهمّة التي أناطها الربّ برعاة شعبه هي **خدمة** حقيقيّة"، مرتبطة ارتباطاً كلّياً بالمسيح وبالبشر. فهي منوطة كلّياً بالمسيح وبكهنوته الواحد، ولكنّها أُقيمت للناس ولجماعة الكنيسة. إنّ سرّ الكهنوت يؤتي "سلطاناً مقدّساً"، ما هو إلاّ سلطان المسيح بالذات. ولا بدّ، في ممارسة هذا السلطان، من اتّخاذ المسيح مقياساً ونموذجاً، هو الذي، بدافع محبّته، صار آخر الكلّ وخادماً للكل. "وقد قال المسيح صراحةً إن عنايتنا بقطيعه هي دليل محبّتنا له".

"باسم الكنيسة جمعاء"
1552- كهنوت الخدمة لا يهدف فقط إلى أن يمثّل المسيح – رأس الكنيسة – في جماعة المؤمنين، بل أن يعمل أيضاً باسم الكنيسة جمعاء، عندما يرفع إلى الله صلاة الكنيسة، وخصوصاً عندما يقرّب ذبيحة الافخارستيا.
1553- "باسم الكنيسة **جمعاء":** لا تعني هذه العبارة أنّ الكهنة هم منتدبو الجماعة. فصلاة الكنيسة وتقدمتُها هي صلاة المسيح وتقدمتُه. والعبادة التي يُقيمها المؤمنون هي أبداً عبادة المسيح في كنيسته وبكنيسته. فالكنيسة، جسد المسيح، تصلّي بأجمعها وتقرّب ذاتها "به ومعه وفيه"، في وحدة الروح القدس، إلى الله الآب. كلّ الجسد، الرأس والأعضاء، يصلّي ويقرّب ذاته، ولذا فالذين هم، في جسد المسيح، خَدَمة هذا الجسد بنوع خاص، يُدعَون خَدَمة لا للمسيح وحسب، بل للكنيسة أيضاً. وذلك بأنّ كهنوت الخدمة لا يمثّل الكنيسة إلاّ لأنّه يمثّل المسيح.

3ً. الدرجات الثلاث في سرّ الكهنوت

1554- "إن ممارسة الخدمة الكنسية التي أقامها الله موزّعةٌ على درجات متنوّعة بين من يسمّونهم، منذ القدم، أساقفة وكهنة وشمامسة". وتقرّ العقيدة الكاثوليكية التي تعبّر عنها الليترجيا والسلطة التعليمية والعُرف الثابت في الكنيسة أنّ ثمّة درجتين اثنتين تشاركان في خدمة كهنوت المسيح: الأسقفية والكهنوت. وأمّا الرتبة الشماسية فتهدف إلى مساعدتهما وخدمتهما. ولذا فلفظة الكهنوت لا تنطبق، في الاستعمال الراهن، إلاّ على الأساقفة والكهنة، لا على الشمامسة. إلاّ أنَ العقيدة الكاثوليكية تعلّم أن درجتي المشاركة الكهنوتية (الأسقفية والكهنوت) ودرجة الخدمة (الذياكونية) تُمنح كلّها بواسطة سرّ واحد هو "سرّ الرسامة" أو سرّ الرتبة.

"على الجميع أن يُجلّوا الشمامسة إجلالهم للمسيح يسوع، وكذلك الأسقف أيضاً الذي هو صورة الآب، والكهنة على أنّهم محفل الله ومجمع الرسل: بدونهم يتعذّر الكلام عن الكنيسة".

السيامة الأسقفية – ملء سر الكهنوت

1555- "بين الخِدَم المختلفة التي تُمارس في الكنيسة، منذ أيامها الأولى، تحتفل المحلّ الأوّل بشهادة التقليد، وظيفة أولئك الذين أُقيموا في الأسقفية وكأنّهم، بتسلسلهم في خلافة متّصلة منذ البدء، فَسائلُ ينتقل بها الزرع الرسوليّ".
1556- للقيام بهذه المهمّة السامية، "أغنى المسيح رسله بفيض خاص من الروح القدس نازلاً عليهم، وبوضع الأيدي سَلّموا هم أنفسهم إلى مُعاونيهم موهبةَ الروح القدس التي انتقلت إلينا حتى يومنا هذا بطريق السيامة الأسقفية.
1557- يعلّم المجمع الفاتيكاني الثاني "أنّ السيامة الأسقفية تعطي **ملء سر الكهنوت** الذي يسمّيه التقليد الكنسي الليترجي والآباء القديسون الكهنوت الأعظم **وذروة** الخدمة المقدّسة".
1558- "تولي السيامة الأسقفية، مع مهمّة التقديس، مهمّتي التعليم والقيادة. فوضع الأيدي وكلمات السيامة تعطي نعمة الروح القدس وتطبع الأسقف بطابع مقدّس، بحيث أن الأساقفة يقومون، بطريقة سامية ومرئيّة، مقام المسيح نفسه المعلّم والراعي والحبر، ويقومون بمهمّته. "وهكذا، أقيم الأساقفة، بالروح القدس الذي أُنزِل عليهم، معلّمين في الإيمان حقيقيّين وأصيلين، كما أُقيموا أحباراً ورعاة".
1559- "بقوّة السيامة الأسقفية وبالشركة التسلسليّة مع رئيس الجسم الأسقفي واعضائه، يصير المرء عضواً في هذا الجسم". هذه الهيئة الأسقفية يظهر طابعها **وطبيعتها الجماعية** في ممارسات عدّة، منها العُرف العريق في الكنيسة والقاضي بأن يشترك أكثر من أسقف في سيامة أسقف جديد. ولكي تكون السيامة الأسقفية شرعيّة لا بدّ، اليوم، من أن يتدخّل أسقف روما تدخلاً خاصاً، نظراً إلى أنّه هو الرباط الحسّي الأعلى في شركة الكنائس الخاصة ضمن الكنيسة الواحدة، وضمان حريتها.
1560- كل أسقف، بصفته نائباً للمسيح، يتولّى رعاية الكنيسة الخاصة التي وُكِلت إليه. ولكنّه يحمل أيضاً، بطريقة جماعية مع جميع إخوته في الأسقفية، **همَّ جميع الكنائس:** "لا شكّ أنّ كلّ أسقف يرعى من القطيع القسم الموكل إلى عنايته، ولكنه، بصفته خليفةً شرعيّاً للرسل بفعل تنصيب إلهي، يصبح متضامناً في المسؤولية عن الرسالة الرسولية في الكنيسة".
1561- كلّ ما أتينا على ذكره يفسّر لماذا الافخارستيا التي يحتفل بها الأسقف تكتسب معنى خاصّاً يعبّر عن اجتماع الكنيسة حول المذبح برئاسة من يمثّل، بطريقة مرئيّة، المسيح الراعي الصالح ورأس كنيسته.

رسامة الكهنة، معاوني الأساقفة

1562- إنّ المسيح الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم، قد جعل خلفاءَ الرسل، أي الأساقفة، وبواسطتهم، شركاءَ في قداسة المسيح ورسالته. ثمّ إنّ الأساقفة قد سلّموا بعضاً من أعضاء الكنيسة، بوجهٍ شرعي وتفاوتٍ في الدرجة، مهامَّ خدمتهم"، "وقد انتقلت وظيفة الأساقفة الرعائية إلى الكهنة وإنّما بدرجة أدنى. فقد أُقيم هؤلاء في الكهنوت **أعواناً للأساقفة** في تأدية الرسالة التي سلّمها المسيح إليهم".

1563- "إنّ وظيفة الكهنة تُشركهم، بحكم اتّحادها بالدرجة الأسقفية، في السلطة التي يبني المسيح بها جسده ويقدّسه ويسوسه. ومن ثمّ فكهنوت الكهنة، الذي يفترض أسرار التنشئة المسيحيّة، يُعطى بواسطة سرٍّ خاص يَسِمُهم بوَسم مميّز، بمسحة الروح القدس، ويصيّرهم على شبه المسيح الكاهن فيُمكِّنهم من العمل باسم المسيح الراس بالذات".

1564- "إنّ الكهنة، مع أنّهم لا يملكون مهمّة الحبريّة العليا، ويخضعون للأساقفة في ممارسة سلطتهم، فإنّهم متّحدون معهم في الكرامة الكهنوتيّة. وهم، بقوّة سرّ الكهنوت مكرّسون على صوررة المسيح الكاهن الأعظم الأبدي، ليبشّروا بالإنجيل، ويكونوا رعاة للمؤمنين، ويقيموا الشعائر الدينية، **بحكم كونهم** كهنةُ حقيقيّين للعهد الجديد".

1565- بقوّة سرّ الكهنوت يشترك الكهنة في الرسالة التي وكلها المسيح إلى تلاميذه، في أبعادها الجامعة. فالموهبة الروحيّة التي نالوها بالرسامة تُعدّهم لا لرسالةٍ محدودة وضيّقة، بل لرسالة خلاص جامعة، تمتدّ "حتى أقاصي الأرض"، "وفي نفسهم استعدادٌ للكرازة بالإنجيل في كلّ مكان".

1566- "ويمارس الكهنة خدمتهم المقدّسة على الوجه الأكمل في تأدية فرائض العبادة في المحفل الإفخارستيّ: ففيه ينوبون مناب المسيح، ويُعلنون سرّه، ويضمّون طلبات المؤمنين إلى ذبيحة المسيح رأسِهم، ويجعلون ذبيحة العهد الجديد الواحدة، ذبيحة المسيح مقرِّباً نفسَه لأبيه مرّة واحدة قرباناً لا عيب فيه، حاضرةً ومنفّذةً في ذبيحة القداس، إلى أن يأتي الرب". من هذه الذبيحة الواحدة تستمدّ خدمتُهم الكهنوتية كلّ قوّتها".

1567- "ولما كان الكهنة معاونين أهلَ فطنةٍ للدرجة الأسقفية، وكانوا لها العون والأداة، وكانوا مدعوّين لخدمة شعب الله، فإنّهم مع أسقفهم يؤلّفون **أسرة كهنوتية** واحدة، متنوّعة الوظائف. وفي كلّ مكان فيه جماعة من المؤمنين، يجعلون الأسقف حاضراً، من بعض الوجوه، لارتباطهم بقلب واثق وسخيّ، آخذين على عاتقهم نصيبهم من مهامّه وعنايته، وعاملين بها في اهتمامهم اليوميّ بالمؤمنين". وهكذا، لا يستطيع الكهنة أن يمارسوا خدمتهم إلاّ بالخضوع للأسقف وفي الشركة معه. وعدُ الطاعة الذي يقطعونه للأسقف في حفلة الرسامة، وقبلة السلام التي يعطيها الأسقف في ختام ليترجيّا الرسامة، مفادهما أنّ الأسقف يعتبرهم أعوانه وأبناءه وإخوته وأصدقاءه وأنّهم ملتزمون بأن يردّوا له ذلك محبّةً وطاعة

1568- إن الكهنة، بفعل رسامتهم التي أولتهم درجة الكهنوت، هم كلُّهم متّحدون اتّحاداً صميماً فيما بينهم برباط الأخوّة السرّية، ولكنّهم، بفعل انسلاكهم في خدمة أبرشية يقوم عليها أسقف محلّي، يؤلفون، بصفة خاصة، على هذا المستوى، أسرة كهنوتية واحدة". وحدة هذه الاسرة الكهنوتية تجد لها تعبيراً ليترجيّاً في العرف القاضي بأن يضع الكهنة، هم أيضاً، على المرتسمين، أيديهم بعد الأسقف أثناء حفلة الرسامة.

رسامة الشمامسة ــ "للخدمة"

1569- "في الدرجة الدنيا من درجات الرتب المقدّسة، يوجد الشمامسة الذين رُسموا بوضع الأيدي، لا بقصد الكهنوت بل بقصد الخدمة". في رسامة الشمّاس لا يضع اليد على المرتسم إلاّ الأسقف وحده، للدلالة على أنّ الشماس مرتبطٌ ارتباطاً خاصّاً بالأسقف في مهامّ "خدمته".

1570- يشترك الشمامسة اشتراكاً مميّزاً في رسالة المسيح ونعمته. فالرسامة تطبعهم **بختم** (بوسم) لا يبلى يجعلهم على صورة المسيح الذي صار خادماً للجميع. ومن صلاحيّات الشمامسة أن يعاونوا الأسقف والكهنة في إقامة الأسرار الإلهيّة ولا سيّما الاحتفال بالافخارستيا وتوزيعها،

وأن يحضروا عقد الزواج ويباركوه، ويُعلنوا الإنجيل ويعظوا، ويرئسوا صلاة الجناز ويتفرّغوا لمختلف أعمال المحبّة.

1571- منذ المجمع الفاتيكاني الثاني أعادت الكنيسة اللاتينية الشماسيّة "بمثابة درجة خاصة ودائمة من درجات الرتب المقدّسة"، بينما كنائس الشرق كانت لا تزال محتفظة بها. هذه الشماسيّة الدائمة التي يمكن أن تُمنح للمتزوّجين تزوّد الكنيسة بثروة لافتة، للقيام برسالتها. فالذين يضطلعون في الكنيسة بأعباء خدمة حقيقيّة، سواء في الحياة الليترجية والرعائية أم في الأعمال الاجتماعية والإنسانية، يناسبهم ويفيدهم أن يتقوّوا بوضع الأيدي الذي تناقلته الكنيسة منذ عهد الرسل، ويتّحدوا بالمذبح أتّحاداً أوثق، فينهضوا بخدمتهم بوجهٍ أفعل، بقوّة النعمة التي ينالونها بالرسامة الشماسية.

4ً. الاحتفال بهذا السرّ

1572- الاحتفال بسيامة أسقف أو كهنة أو شمامسة، نظراً إلى أهميته في حياة الكنيسة الخاصة، يقتضي توافر أكبر عدد ممكن من المؤمنين. من الأفضل أن يقام نهار الأحد وفي الكاتدرائية، بالحفاوة المناسبة لهذا الظرف. الرسامات الثلاث للأسقف والكاهن والشماس تسير في ذات السياق، وتأخذ مكانها في إطار الليترجيا الافخارستيا.

1573- الطقس الجوهري في سرّ الكهنوت قوامه، في الدرجات الثلاثة، أن يضع الأسقف يده على رأس المرتسم ويتلو صلاة التكريس الخاصة التي يطلب فيها إلى الله أن يفيض الروح القدس عليه ويجود بالمواهب المنوطة بالخدمة التي يُنتدب لها المرتسم.

1574- ثمّة طقوسٌ ملحقّة تحيط بحفلة الرسامة كما في سائر الأسرار. هذه الطقوس تتنوّع تنوّعاً عميقاً في مختلف التقاليد الليترجيا، ولكنّها تشترك كلّها في التعبير عن مختلف وجوه النعمة السرّية. فالطقوس التمهيدية، في الطقس اللاتيني – تقديمُ المرشّح للرسامة واختيارُه، وكلمة الأسقف، وطرحُ الأسئلة على المرشح للرسامة، وطلبات القديسين- تُثبت أنّ اختيار المرشّح للرسامة قد تمّ بمقتضى الأعراف المعهودة في الكنيسة، وتمهّد للقيام رسميّاً بعمل الرسامة. وتعقب الرسامة مجموعة من الطقوس تعبّر، بطريقة رمزية، عن السر الذي تحقّق وتكمّله: مسحُ الأسقف والكاهن بالزيت المقدّس، رمز المسحة الخاصة التي يجود بها الروح القدس ويُخصب بها خدمتهما، تسليمُ الأسقف كتاب الأناجيل، والخاتم والتاج والعصا رمز مسؤوليته الرسولية في التبشير بكلمة الله، وأمانته للكنيسة عروس المسيح، ومهمّته في رعاية قطيع الربّ، تسليم الكاهن الصينية والكأس، وهما تقدمة الشعب المقدس التي يجب على الكاهن أن يقرّبها لله، تسليم الشماس كتاب الأناجيل، وقد انتدب للبشارة بإنجيل المسيح.

5ُ. من الذي يمنح هذا السرّ ؟

1575- المسيح هو الذي اصطفى الرُّسل وجعل لهم نصيباً في رسالته وسلطته. وعندما ارتفع وجلس إلى يمين الاب، لم يتخلّ عن قطيعه بل حفظه، بواسطة الرسل، في ظلّ حمايته، ولا يزال يوجّه حتى الآن بواسطة الرعاة الذين يواصلون اليوم رسالته. فالمسيح هو الذي "يولي" بعضهم أن يكونوا رسلاً وبعضهم رعاة، ويواصل عمله بواسطة الأساقفة.

1576- لمّا كان سرّ الكهنوت هو سرّ الخدمة الرسوليّة، فإنّه يعود إلى الأساقفة، بصفتهم خلفاء الرسل، أن ينقلوا "الموهبة الروحية" و "البذار الرسولي". فالأساقفة الذين سيموا سيامة صحيحة، أي في خط الخلافة الرسوليّة، يَمنحون، بوجهٍ صحيح، سرّ الكهنوت في درجاته الثلاث.

6ً. من الذي يحظى بهذا السرّ ؟

1577- "يجوز للرجل المعمّد وحده أن ينال الرسامة المقدّسة بوجه صحيح. فقد اختار الرب يسوع رجالاً ليؤلّفوا هيئة الرسل الأثني عشر، وقد جرى الرّسل على منواله عندما اختاروا معاونيهم، الذين سيخلوفونهم في مهمّتهم. ومن خلال هيئة الأساقفة والكهنة الذين يتّحدون بهم في سرّ الكهنوت، تظلّ هيئة الأثني عشر حاضرة، بطريقة واقعيّة، إلى أن يعود المسيح. وترى الكنيسة ذاتها مرتبطة بهذا الاختيار الذي حدّده الربّ نفسه، وتعتبر، من ثمّ رسامة النساء غير ممكنة.

1578- ما من إنسان يملك **حق** المطالبة بسرّ الكهنوت. فما من أحد يدّعي لنفسه هذه المهمّة إلاّ إذا دعاه الله إليها. فمن يتوسّم في ذاته مخايل دعوة الله إلى الخدمة الكهنوتية، عليه أن يطرح رغبته بتواضع على السلطة الكنسيّة التي تتولّى وحدها المسؤولية والحق في الدعوة إلى قبول الدرجات الكهنوتية. فهذا السرّ، كأيّ نعمةٍ أخرى لا **يُقبل** إلاّ بمثابة عطية مجانيّة.

1579- كلّ الخَدَمَة المرسومين في الكنيسة اللاتينية، باستثناء الشمامسة الدائمين، يتمّ اختيارهم عادة من بين الرجال المؤمنين الذين يعيشون في حالة **العزوبة** ويرغبون في المحافظة عليها "لأجل ملكوت السماوات" (متى 19: 12). وبما أنّهم مدعوّون إلى التكرّس للرب ولأموره بلا توزّع في القلب، **فهم** يبذلون أنفسهم لله وللناس بذلاً كاملاً. العزوبة هي علامة الحياة الجديدة التي يتكرّس لها خادم الكنيسة، فإذا قبلها بقلب مشرق بالفرح استطاع أن يبشّر بملكوت الله بطريقة مشعّة.

1580- الكنائس الشرقية تطبّق منذ قرون، نظاماً مختلفاً: فبينما الأساقفة لا يُختارون إلاّ من المتبتّلين، يجوز لرجال متوزوّجين أن يُرسموا شمامسة وكهنة. هذه العادة تُعتبر شرعيّة منذ عهد قديم، وهؤلاء الكهنة يؤدّون خدمة مثمرة في جماعتهم. وعلى كلّ فبتولية الكهنة هي موضوع إجلال عظيم في الكنائس الشرقيّة، وكثيرون هم الكهنة الذين آثروها طوعاً، لأجل ملكوت الله. ولكن في الشرق كما في الغرب لا يجوز لمن قبل سرّ الكهنوت أن يتزوج.

7ً. مفاعيل سرّ الكهنوت
الوَسْم الذي لا يبلى

1581-إنّ هذا السرّ يجعل الكاهن على صورة المسيح، بنعمة خاصة من الروح القدس، ليصير أداة للمسيح لأجل كنيسته. بالرسامة يصبح الكاهن أهلاً لأن يمثّل المسيح رأس الكنيسة في وظائفه الثلاث: بصفته كاهناً ونبيّاً وملكاً.

1582- هذا الاشتراك في وظيفة المسيح لا يُمنح إلاّ مرّة واحدة، كما هي الحال في المعمودية والتثبيت، وذلك بانّ سرّ الكهنوت يولي صاحبه، هو أيضاً، **وَسْماً روحيّاً لا يبلى**، ولا يمكن، من ثمّ، أن يتكرّر ولا أن يُمنح بطريقة وقتيّة.

1583- يجوز لإنسان حظي برسامة صحيحة أن يُعفى، لأسباب باهظة، من الواجبات والوظائف المرتبطة بالرسامة أو أن تُحرّم عليه ممارستها. ولكنّه لا يستطيع أن يرتدّ إلى الحالة العلمانية بالمعنى الدقيق، لأنّ الوسم الذي وُسم به بالرسامة يبقى إلى الأبد. فالدعوة والرسالة التي تلقّاهما يوم رسامته تطبعانه بطابع دائم.

1584- ولما كان المسيح، في النهاية، هو الذي يعمل ويحقّق الخلاص عبر الخادم المرسوم، فاللاجدارة التي تسوم هذا الخادم لا تحول دون عمل المسيح. وهذا ما يؤكّده القديس أوغسطينوس بقوّة:

"وأمّا الخادم المتكبّر فيجب أن يُصفَّ مع الشيطان. ولكن موهبة المسيح لا تُنتَهّك بسبب ذلك. فكلّ ما يسيل من خلاله يظلُّ نقيّاً، وكلّ ما يمرّ به يبقى صافياً وينزل على الأرض الخصبة. قوّة السرّ الروحية هي أشبه بالنور: المدعوّون إلى الاستنارة يتلقّونها نقيّة، وإذا اجتازت كائنات مدنّسة فهي لا تتدنّس".

نعمة الروح القدس

1585- نعمة الروح القدس التي يتميّز بها هذا السرّ هي أن تجعل الإنسان على شبه المسيح الكاهن والمعلّم والراعي الذي أقيم المرتسم خادماً له.

1586- فالأسقف يجد فيها نعمة القوّة ("الروح الرئاسي"، أي الروح الذي يقيم الرؤساء، كما تطلب صلاة سيامة الأسقف في الطقس اللاتيني) القوّة التي تمكّنه من أن يسوس كنيسته ويذود عنها بحزم وفطنة، فعل أب وراعٍ، بمحبّة مجّانية للجميع، وإيثار للفقراء والمرضى وذوي الفاقة. هذه النعمة تدفعه إلى إن يبشّر الجميع بالإنجيل، ويكون قدوة لقطيعه، ويتقدّمه في طريق القداسة والتماهي، في الافخارستيا، مع المسيح الكاهن والضحيّة، ولا يخشى أن يبذل حياته في سبيل النعاج:

"أيها الرب الذي يعرف القلوب، هّب خادمك الذي اخترته للأسقفية، أن يرعى قطيعك المقدّس ويمارس لديك الكهنوت الأعظم بلا لوم، ويخدمك ليلاً ونهاراً. وليجعلْ وجهك دوماً متعطّفاً ويقرّب تقادم كنيستك المقدّسة. ولتكن له، بقوّة روح الكهنوت الأعظم، سلطة العفو عن الخطايا، بحسب وصيّتك، وليوزّع الوظائف حسب أمرك، وليحلّ من كل قيد بقوّة السلطة التي أوليتها رسلك، وليُرضِك بوداعته وعفّة قلبه، ويقدم لك طيباً ذكيّاً، بابنك يسوع المسيح".

1587- الموهبة الروحيّة التي توليها الرسامة الكهنوتية، يعبّر عنها الطقس البيزنطي بهذه الصلاة التي يتلوها الأسقف وهو واضعٌ يده على المرتسم:

"أيها الربّ املأ من ارتضيت أن ترفعه إلى الدرجة الكهنوتية، من نعمة الروح القدس، ليكون أهلاً لأن يقف، بلا لوم، أمام مذبحك، ويبشّر بإنجيل ملكوتك، ويُتمَ خدمة كلمة حقّك، ويقرّب لك تقادم وذبائح روحية، ويجدد شعبك بغسل الميلاد الثاني، فيلاقيَ إلهنا العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح، ابنك الوحيد، في مجيئه الثاني، وينال من لدن رحمتك التي لا حدّ لها، مكافأة قيامه بمهامّ رتبته قياماً حسناً".

1588- وأمّا الشمامسة، "فإنّ نعمة السرّ تؤتيهم القوّة ليخدموا شعب الله، بالاشتراك مع الأسقف وكهنته، في "خدمة" الليترجيا والكلمة والمحبّة".

1589- أمام عظمة نعمة الكهنوت، وأعبائه أوجس الآباء القديسون الدعوة الملحّة إلى التوبة ليستجيبوا، بكلّ حياتهم، لذاك الذي جعلهم، بسرّ الكهنوت، خَدَمةً له. ويقول القديس غريغوريوس النزينزي، وهو في مطلع حياته الكهنوتية، في هذا الصدد:

"يجب أن نتنقّى قبل أن ننقّي الآخرين، وأن نتعلّم لنعلّم، وأن نكون نوراً لننير، ونتقرّب إلى الله لنقرّب إليه الآخرين، ونتقدّس لنقدِّس، ونقود الناس باليد وننصحهم بفهم". "إنّي أعلم خَدَمةُ من نحنُ، وفي أي مرتبة نقيم، من هو ذاك الذي تنوجّهُ إليه. أعرف سموّ الله وضعف الإنسان، ولكنّي أعرف قوّته أيضاً". (من هو الكاهن؟ إنه) "حامي الحقيقة، يقف مع الملائكة، ويمجّد مع رؤساء الملائكة، ويرفع إلى المذبح العلويّ ضحايا الذبائح، ويشارك المسيح كهنوته، ويجدّد الخليقة ويعيد (إليها) صورة (الله)، ويجدد خلقها للعالم العلويّ، وأعظم من هذا كلّه **لأنَّهُ يؤلَّه ويؤلِّه**".

"ويقول خوري أرس القديس: "الكاهن يواصل عمل الفداء على الأرض..."، "لو كنّا نُحسِن فهمَ الكاهن على الأرض، لكنّا نموت لا من الخوف بل من الحبّ..."، "الكهنوت هو محبّة قلب يسوع".

بإجاز

1590- *يقول القديس بولس لتلميذه تيماثاوس: "أُنبّهك على أن تحيي الهبة التي جعل الله لك بوضع يديّ" (2 تي 1: 6)، و:من رغب في الأسقفية تمنّى أمراً عظيماً (1تي 3: 1). وقال لتيطس: "تركتك في كريت لتتمّ فيها تنظيم الأمور وتقيم كهنةً في كلّ بلدة كما أوصيتك" (تي 1: 5).*

1591- *الكنيسة كلّها شعب كهنوتي. المؤمنون كلّهم، بنعمة المعمودية، يشتركون في كهنوت المسيح. هذا الاشتراك نسمّيه "كهنوت المؤمنين العام" . على أساسه وفي خدمته يقوم اشتراك آخر في رسالة المسيح، ينبع من سرّ الكهنوت، ومهمّة الخدمة الكهنوتية، يؤدّيها الكاهن وسط الجماعة باسم المسيح الراس وبشخصه.*

1592- *كهنوت الخدمة يختلف اختلافاً جوهريّاً عن كهنوت المؤمنين العام لأنّه يولي صاحبه سلطاناً مقدّساً لخدمة المؤمنين. الخَدَمَة المرسومون يمارسون خدمتهم لشعب الله بالتعليم (مهمة التعليم) وإقامة الشعائر الإلهية (المهمة الليترجية) والولاية الرعائية (مهمة الإدارة).*

1593- *منذ العهود الأولى مُنح الكهنوت ومورس على درجات ثلاث: الأساقفة والكهنة والشمامسة. هذه الخِدَم التي تتمّ بالرسامة الكهنوتية لا بديل منها للكنيسة في تكوينها البُنيوي: فبدون الأساقفة والكهنة والشمامسة، لا وجود للكنيسة.*

1594- *ينال الأسقف ملء سرّ الكهنوت الذي يولجه في الهيئة الأسقفية ويجعل منه الرئيس المنظور للكنيسة الخاصة التي وُكلت إليه. إنّ الأساقفة بصفتهم خلفاء الرسل واعضاء الهيئة الأسقفية، لهم نصيب في المسؤولية الرسولية والرسالة التي تضطلع بها الكنيسة كلّها، بإمرة البابا خليفة القديس بطرس.*

1595- *إنّ الكهنة يتّحدون بالأساقفة في الكرامة الكهنوتية، ولكنّهم يخضعون لهم، في الوقت نفسه، في ممارسة مهامّهم الرعائيّة. إنّهم مدعوّون إلى أن يكونوا للأساقفة معاونين فطنين، ويؤلّفون حول اسقفهم أسرة أسقفية، تحمل معه مسؤولية الكنيسة الخاصة. ويتسلّمون من الأسقف مهمّة العناية بجماعة رعويّة أو بوظيفة كنسيّة معيّنة.*

1596- *الشمامسة هم خَدَمة مرسومون للقيام بأعباء الخدمة في الكنيسة. إنّهم لا يُمنحون كهنوت الخدمة، ولكنّ الرسامة توليهم وظائف هامّة في خدمة الكلمة والشعائر الإلهية، والادارة الراعوية، وخدمة المحبّة، وهي مهام يضطلعون بها تحت سلطة أسقفهم الراعويّة.*

1597- *يُمنح سرّ الكهنوت بوضع الأيدي تليه صلاة تكريس احتفالية تلتمس من الله للمرتسم ما يلزمه من نعم الروح القدس للقيام بخدمته. وتترك الرسامة في المرتسم وَسْماً سرّياً لا يُبلى.*

1598- *لا تمنح الكنيسة سرّ الكهنوت إلاّ رجالاً معمّدين، يملكون من المؤهّلات للقيام بخدمتهم ما تمّ التثبُّت منه بطريقة قانونية. وللسلطة الكنسية وحدها ترجع المسؤولية والحق في الدعوة إلى الكهنوت.*

1599- في الكنيسة اللاتينية لا يُمنح سرّ الكهنوت عادةً إلاّ رجالاً مستعدّين لاعتناق البتوليّة طوعاً ويعلنون نيّتهم في المحافظة عليها محبةً بملكوت الله وخدمة الناس.

1600- *يرجع للأساقفة أن يمنحوا سرّ الكهنوت في درجاته الثلاث.*

المقال السابع

سرّ الزواج

1601- "إنّ عهد الزواج الذي به تقوم بين رجل وامرأة شركة تشمل الحياة كلّها، وتهدف، من طبيعتها، إلى خير الزوجين وإلى إنجاب البنين وتربيتهم، قد رقّاه المسيح الربّ، بين المعمّدين، إلى كرامة سرّ".

1ً. الزواج في تصميم الله

1602- إنّ الكتاب المقدس يبدأ برواية خلق الرجل والمرأة على صورة الله ومثاله، وينتهي برؤيا "عروس الحمل" (رؤ 19: 9). ويتحدّث الكتاب المقدس، على مدى صفحاته، عن الزواج "وسرّه"، وتأسيسه والمعنى الذي أفرغه الله عليه، ومصدره وغايته، وتطبيقاته المتنوّعة على مدى تاريخ الخلاص، وصعوباته الناجمة عن الخطيئة، وتجدّده "في الرب" (1 كو 7: 39)، في العهد الجديد، عهد المسيح والكنيسة.

الزواج في نظام الخلق

1603- "إنّ الشركة العميقة، شركة الحياة والحب، التي يقيمها الزوجان، قد أسّسها الخالق وجهّزها بقوانينها الخاصة. فالله هو نفسه الذي وضع الزواج". الدعوة إلى الزواج منقوشة في طبيعة الرجل والمرأة كما خرجا من يد الخالق. ليس الزواج إذن مؤسّسة محض إنسانية، بالرّغم من التغيّرات التي طرأت عليه مدى الأجيال، في مختلف الثقافات والبُنى الاجتماعية، والمواقف الروحية. هذه التنوّعات يجب ألاّ تُنسيَنا ما هنالك من ملامح مشتركة ودائمة. ومع أنّ كرامة هذه المؤسّسة لا تتراءى بنفس الوضوح في كلّ مكان، إلاّ أننا نجد، مع ذلك، في كلّ الثقافات، حسّاً عميقاً بعظمة الزواج. "إنّ ازدهار الفرد والمجتمع مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمؤسّسة الزوجية والعيليّة".

1604- إنّ الله الذي خلق الانسان عن حبّ، دعاه أيضاً إلى الحبّ، وهي دعوة أساسيّة وفطرية في كلّ انسان. ولا غرو، فالإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، والله هو ذاته "محبّة" (1 يو 4: 8، 16). وإذ خلق الله الإنسان رجلاً وامرأة، **فحبّهما** المتبادَل يصبح صورة للمحبّة المطلقة والراسخة التي أحبّ بها الله الإنسان. وقد رأى الله ذلك حسناً جدّاً. هذا الحب باركه الله وجعله خصباً يتحقّق في تعهّد عمل الخلق تعهداً مشتركاً "وباركهم الله وقال لهم: أُنموا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها" (تك 1: 28).

1605- لقد خلق الله الرجل والمرأة أحدهما للآخر. هذا ما يؤكّده الكتاب المقدّس: "ليس حسناً أن يبقى الانسان وحده" (تك 2: 18). فالمرأة هي "لحم من لحم" الرجل، أي مساوية له وقريبة منه. وقد وهبها الله "نصرة" للرجل، تمثّل الله الذي منه تأتي نصرتنا. "ولذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسداً واحداً" (تك 2: 24). فأن يعني ذلك بينهما وحدة لا تنفصم، هذا ما يبيّنه الرب نفسه مذكّراً ما كان قصد الله "منذ البدء": "وهكذا ليسا هما بعدُ اثنين بل هما جسد واحد" (متى 19: 6).

الزواج تحت حكم الخطيئة

1606- لا بدّ لكلّ إنسان أن يختبر الشرّ حوله أو في ذاته. هذا الاختبار نقع عليه أيضاً في العلاقات ما بين الرجل والمرأة. فقرانهما بات دائماً عرضةً للخلاف، وروح التسلّط، والخيانة، والغيرة، ولصراعات قد تصل إلى حدّ الكراهية والقطيعة. هذه الفوضى قد تظهر بقليل أو كثير

من الحدّة، وقد نتغلّب عليها قليلاً أو كثيراً، بحسب الثقافات والأزمنة والأفراد، إلاّ أنّها تبدو ممهورة بطابع شامل.

1607- ويُعلّمنا الإيمان أنَّ هذه البلبلة التي نلمسها لمساً أليماً، لا تأتي من **طبيعة** الرجل والمرأة، ولا من طبيعة علاقتهما، بل من **الخطيئة**. فالخطيئة الأولى هي مقاطعةٌ لله، أُولى نتائجها تصدُّعُ الشركة الأصلية بين الرجل والمرأة. علاقتهما تشوّهت باتهامات متبادَلة، وميلُ أحدهما إلى الآخر، وهو الهبةُ التي حباهما الله نفسه، تحوّل إلى علاقات تسلّط وشهوة، ودعوتهما الجميلة إلى الخصب والتكاثر وإخضاع الأرض أمست مرهقةً بأوجاع الولادة وكسب الرزق.

1608- بيد أنّ نظام الخلق لا يزال قائماً، وإن تعكّر تعكُّراً ذريعاً. فالرجل والمرأة بحاجة إلى معرفة نعمة الله لشفاء جروح الخطيئة. والله، في رحمته اللامتناهية، لم يبخل بها عليهما البتّة. بدون هذه المعونة يعجز الرجل والمرأة عن تحقيق وحدة حياتهما التي لأجلها خلقهما الله "منذ البدء".

الزواج تحت تربية الناموس

1609- إنّ الله، في رحمته، لم يتخلَّ عن الانسان الخاطئ. فما تُعاقَبُ به الخطيئة من أوجاع الولادة، والعمل "بعرق جبينك" (تك 3: 19)، إنّما هو من قبيل العلاجات التي تحدُّ من شرور الخطيئة. بعد السقطة، يساعد الزواج في التغلّب على الانطواء على الذات "والأنانية" والبحث عن اللذة، كما يساعد في الانفتاح على الغير والتعاون وبذل الذات.

1610- الوعي الأدبي لمقتضى وحدة الزواج وديمومته قد تطوّر وفاقاً للنهج التربوي الذي ساد الشريعة القديمة. لا شكّ أنّ تعدد الزوجات عند قدامى الآباء والملوك لم ينحسر بطريقة صريحة. بيد أنّ الشريعة التي أُنزلت على موسى توخّت حماية المرأة من مِزاجية تسلّط الرجل، وإن كانت تحمل، على حدّ قول الرب، آثار "قسوة قلب" الانسان التي دفعت بموسى إلى السماح بتطليق المرأة.

1611- لقد توسّم الأنبياء في العهد الذي قطعه الله مع إسرائيل صورة حبٍّ زوجيّ مقصور على الزوج والزوجة وقائم على الأمانة، فمهّدوا بذلك لضمير الشعب المصطفى أن يتفهّم بعمق وحدانية الزواج وديمومته. وإننا لنجد في سِفرَي راعوت وطوبيّا إثباتات مؤثّرة لسموّ معنى الزواج والأمانة والتوادّ بين الزوجين. وقد آنس التقليد دوماً في "نشيد الأناشيد" تعبيراً فريداً عن الحبّ البشري، من حيث إنّه انعكاسٌ لحبّ الله، الحبّ "القويّ كالموت" والذي "لا تستطيع المياه الغزيرة أن تطفئه" (نش 6:8-7).

الزواج في ظلّ الربّ

1612- الميثاق الزوجي بين الله وشعبه إسرائيل مهّد للعهد الجديد والأبديّ الذي أراد به ابن الله، بالتجسّد وبذل الذات، أن يضمّ إليه كلّ البشرية التي خلّصها، مهيّئاً بذلك "عرس الحمل".

1613- لقد صنع يسوع، عند عتبة حياته العلنيّة، أوّل آية له – عن طلب من أمه – بمناسبة حفلة زواج. وتولي الكنيسة أهمية كبرى لحضور يسوع في عرس قانا، وترى فيه تثبيتاً لجودة الزواج وإيذاناً بأنَّ الزواج سوف يكون آية فعّالة من آيات حضور المسيح.

1614- وقد علّم المسيح، بلا مواربة، في كرازته، المعنى الأصيل لاتّحاد الرجل والمرأة، كما أراده الخالق منذ البدء: فالسّماح بتطليق المرأة، في شريعة موسى، ما كان سوى تساهل أمْلَته

"قساوة القلب". فاتّحاد الرجل والمرأة في الزواج لا يقبل الانفصام، لأنَّ الله نفسه قد أقرّه: "فلا يفرّق الإنسان ما جمعه الله" (متى 19: 6).

1615- هذا التشديد الصريح على ديمومة الوثاق الزوجي قد يُذهل العقل ويبدو من المقتضيات التي لا يمكن تحقيقها. ومع ذلك فيسوع لم يُرهق الأزواج بعبء باهظ لا يمكن حمله، وأثقل مما جاء في الشريعة الموسويّة. فالمسيح إنّما جاء ليعيد الخليقة إلى نظامها الأول الذي بلبلته الخطيئة، وهو يؤتينا من القوّة والنعمة من يُمكّننا من أن نعيش الزواج في ملكوت الله وبُعده الجديد. فالأزواج لن "يدركوا" معنى الزواج، في معناه الأصيل، ولن يتمكّنوا من أن يعيشوه بمعونة المسيح، إلاّ إذا تبعوا المسيح وزهدوا في أنفسهم، وحملوا صليبهم. نعمة الزواج هذه إنّما هي ثمرة صليب المسيح، ومصدر كل حياة مسيحية.

1616- وهذا ما يعلّمه الرسول بولس بقوله: "أيّها الرجال، أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح كنيسته وضحّى من أجلها ليقدّسها (أف 5: 25-26). ويضيف فوراً "ولذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته فيصير الاثنان جسداً واحداً. إنّ هذا السرّ لعظيم، وأعني به سرّ المسيح والكنيسة" (أف 5: 31-32).

1617- الحياة المسيحية كلّها تحمل طابع الحبّ الزوجي القائم بين المسيح والكنيسة. فالمعموديّة – هي المدخل إلى شعب الله – هي أيضاً سرّ عرسي. إنّها، نوعاً ما، "ماء الاستحمام" الذي يسبق وليمة العرس، أي الافخارستيا. ويصبح الزواج المسيحيّ، هو أيضاً، علامة فاعلة، وسرّ العهد المُبرم بين المسيح والكنيسة. وبما انّ الزواج بين المعمّدين هو عبارة هذا العهد ووسيلة نعمته، فهو سرّ حقيقيّ من أسرار العهد الجديد.

البتولية لأجل الملكوت

1618- محور كلّ حياة مسيحية هو المسيح، والصلة به تتقدّم كلّ الصلات الأُخرى، العيليّة والاجتماعية. فمنذ بدء تاريخ الكنيسة، نجد رجالاً ونساء انصرفوا عن الزواج وعظيم قيمته، وصحبوا الحمل كيفما سار، لا يهتمّون إلاّ لما هو للربّ ولما يرضيه، وهبّوا لاستقبال العريس القادم. المسيح نفسه دعا بعضاً لأتّباعه في هذا النمط من الحياة الذي يبقى هو مثاله:

"هناك في الخصيان من وُلدوا من بطون أُمّهاتهم على هذه الحال، وفي الخصيان من خصاهم الناس، وفي الخصيان من خَصَوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات. فمن استطاع أن يفهَم فليَفهَم" (متى 19: 12).

1619- البتولية لأجل ملكوت السماوات هي تَفَتُّحُ نعمة المعمودية، وعلامةٌ بليغة من علامات سموّ العلاقة بالمسيح، وانتظار عودته على أحرّ من الجمر، والدلالة على أنّ الزواج هو من شؤون هذا الدهر العابر.

1620- سرّ الزواج والبتولية لأجل ملكوت الله كلاهما من الرب نفسه يصدران. فهو الذي يوتيهما قيمةً ويجود عليهما بالنعمة التي لا بدّ منها لممارستهما طبقاً لإرادته. احترام البتولية لأجل الملكوت والزواج في مفهومه المسيحي صنوان لا يفترقان بل يتكاملان:

"تقبيح الزواج يقلّل من سموّ البتولية، والإشادة به يُعلي ما يُفترض من الإعجاب بالبتولية. فكلّ ما لا يبدو خيراً إلاّ بمقارنته بالشرّ ليس بالحقيقة خيراً. وأمّا ما يفوق الخيور التي لا يرقى إليها شكّ، فهو الخير الأسمى".

2ً. الاحتفال بالزواج

1621- في الطقس اللاتيني الاحتفال بالزواج بين مؤمنيْن كاثوليكيّين يتمُّ عادة في غضون القداس، بداعي الصلة القائمة بين جميع الأسرار وسرّ المسيح الفصحي. ففي الافخارستيا نحيي

ذكرى العهد الجديد الذي فيه اتّحد المسيح إلى الأبد بالكنيسة عروسه الحبيبة التي ضحّى بذاته لأجلها. فيجدر إذن أن يرسّخا توافقهما على تواهب الذات والحياة باتّحادهما بالمسيح في تقديم ذاته لأجل الكنيسة، تقدمة "ماثلة" في الذبيحة الافخارستية. ويجدر بهما أن ينالا الافخارستيا، فيشتركا في جسد المسيح ودمه فيصيرا، من ثمّ، جسداً واحداً" في المسيح.

1622- "إنّ الاحتفال الليترجي بالزواج بصفته **عملاً سرّياً يهدف إلى التقديس**، يجب أن يكون، في حدّ ذاته، عملاً صحيحاً لائقاً ومثمراً". فيجدر إذن بالعروسين أن يستعدّا للاحتفال لزفافهما بقبول سرّ التوبة.

1623- بحسب التقليد اللاتيني، الزوجان هما خادما نعمة المسيح، يمنحان احدهما الآخر سرّ الزواج، بالإعراب عن رضاهما أمام الكنيسة. أمّا في تقاليد الكنيسة الشرقية، فالمحتفلون – أساقفةأو كهنة- هم شهودٌ على رضى المتبادل بين الزوجين، ولكنّ بركتهم ضرورية أيضاً لصحّة السرّ.

1624- الليترجيات، على أنواعها، حافلة بصلوات البركة والدعاء، تتوجّه إلى الله بطلب نعمته وبركته للزوجين، ولا سيّما للزوجة. في صلاة الاستدعاء الملحوظة في حفلة الزفاف، ينال الزوجان الروح القدس عربون شركة الحبّ بين المسيح والكنيسة. فالمسيح هو خاتم ميثاقهما ومصدر حبّهما على مدى الزمن، والقوّة التي بها تتجدّد أمانتهما.

3ً. الرّضى الزوجيّ

1625- طرفا الميثاق الزوجيّ هما رجل وامرأة معمّدان، طليقان من كلّ قيد زوجيّ، يُعربان بحرّية عن رضاهما: وتقوم "الحرية" هنا على ما يلي:

- أن لا يمارس أيُّ ضغط على طالب (أوطالبة) الزواج،
- ألاّ يحول دون زواجهما أيّ شرع طبيعيّ أو كنسيّ.

1626- تعتبر الكنيسة تبادل الرِّضى بين الزوجين عنصراً أساسيّاً "مُكوِّناً للزواج". فإذا انتفى تبادل الرِّضى ليس ثمّة من زواج.

1627- قوامُ الرِّضى "فعلٌ إنسانيّ فيه يتمّ بين الزوجين موهبة ذاتَيهما أحدهما للآخر": "أقبَلُكِ زوجةً لي..."، "أقبلكَ زوجاً لي..." هذا التراضي الذي يربط الزوجين أحدهما بالآخر يبلغ مداه في أن الإثنين يصيران "جسداً واحداً".

1628- يجب أن يكون الرضى فعل أرادةِ كلٍّ من المتعاقدَين، بريئاً من كل عنف أو خوف خارجيّ خطير. وليس ثمّة من سلطة بشرية بإمكانها أن تقوم مقام هذا الرضى. فإذا انتفت هذه الحرّية كان الزواج باطلاً.

1629- لهذا السبب (أو لأسباب أُخرى تجعل الزواج باطلاً وغير قائم)، تستطيع الكنيسة بعد أن تنظر في الوضع عبر المحكمة الكنسية المختصّة، أن تعلن "بطلان الزواج"، أي أنّ الزواج لم يتمّ منذ الأصل. في هذه الحال يحقّ للمتعاقدَين أن يعقدا زواجاً آخر، على أن يتقيّدا بالواجبات الطبيعية الناجمة عن قران سابق.

1630- الكاهن (أو الشماس) الذي يحضر حفلة الزواج، يتقبّل رضى الزوجين باسم الكنيسة، ويمنحما بركة الكنيسة. إنّ حضور الخادم الكنسي (والشاهدين) يعبّر بطريقة مرئيّة عن أنّ الزواج هو حقيقة كنسيّة.

1631- لهذا السبب تطلب الكنيسة عادة للمؤمنين من أبنائها **الصيغة الكنسية** لإجراء الزواج. ثمّة أسباب كثيرة تساعد في تعليل هذا القرار:

- الزواج الأسراريّ عمل **ليترجيّ**. فيجدر، من ثمّ، أن يُحتفل به في الكنيسة في إطار ليترجي علنيّ،
- يندرج الزواج في **نظام** كنسي، ويُنشئ في الكنيسة حقوقاً وواجبات بين الأزواج وتجاه الأولاد،
- لمّا كان الزواج حالة حياة ضمن الكنيسة، كان لا بدّ من أن يحظى باليقين (من هنا لزوم الشاهدين).
- إنّ الطابع العلني في رضى الزوجين يحمي ميثاقهما ويُساعدهما في الوفاء به.

1632- لكي يكون وعد الزوجين عملاً حرّاً ومسؤولاً، ولكي يقوم الميثاق الزوجيّ على أسس بشريّة ومسيحية راسخة ودائمة، لا بدّ من أعتبار **التأهب للزواج** واجباً في غاية الأهمية.

إنّ ما يقدّمه الأهل والعيل من أمثلة ودروس هو الطريقة المثلى لمثل هذا التأهيل.

مهمّة الرعاة والجماعة المسيحية، بصفتها "اسرة الله"، لا بدّ منها لتوريث القيم الإنسانية والمسيحية النابعة من الزواج والأسرة، ولا سيّما في هذا الزمن الذي نرى فيه الكثير من الشبّان يعانون خبرة البيوت المحطّمة التي لم تعد تؤمّن بكفاية هذه التربية.

"يجب تثقيف الشبّان تثقيفاً ملائماً في الزمان والطريقة، يحيط بكرامة الحبّ الزوجي ومهمّته وممارسته. وأفضل ما يكون هذا التثقيف في حضن العائلة: فإذا نشأوا على الطهارة استطاعوا، في الوقت المناسب، أن ينتقلوا إلى الزواج بعد فترة من الخطبة يقضونها في الكرامة واللياقة".

الزواجات المختلطة واختلاف الدين

1633- الزواج المختلط (بين كاثوليكي ومعمّد غير كاثوليكي)، ليس الحالة النادرة في بلدان كثيرة، يقتضي، من الأزواج والرعاة، تنبّهاً خاصّاً. وأمّا الزواجات في حالة **اختلاف الدين** (بين كاثوليكي وغير معمّد) فتتطلّب الحيطة أكبر.

1634- اختلاف المذاهب بين الزوجين لا يقوم عائقاً مستعصياً دون الزواج، إذا توصّلا إلى وضع ما وَرَثَ كلٌّ منهما من جماعته موضع الفائدة المشتركة، وإذا تعلّم كلٌّ من الآخر الطريقة التي يحقّق فيها أمانته للمسيح. بيد أنّ مشاكل الزواجات المختلطة يجب ألاّ نقدرها دون قدرها. وسبب هذه المشاكل أنّ المسيحيين لم يُوّفّقوا بعد في تذليل انقسامهم. ويُخشى على الأزواج أن يكابدوا، في عقر بيتهم، مأساة انقسام المسيحيين. وقد يكون اختلاف الدين سبباً لاستفحال هذه المشاكل. الاختلافات في شأن الإيمان، والنظرة إلى الزواج، وحتى الذهنيّات الدينية المختلفة قد تمسي مصدر توترات في الزواج، ولا سيّما في شأن تربية البنين. وقد ينجم عن ذلك كلّه خطر اللامبالات الدينية.

1635- في نظر الشرع المرعيّ في الكنيسة اللاتينيّة، لا بدّ،لإقامة الزواج المختلط بوجه شرعيّ، **من ترخيص صريح** من السلطة الكنسيّة. عند اختلاف الدين، لا بدّ **من تفسيح صريح** من المانع ليكون الزواج صحيحاً. هذا الترخيص أو هذا التفسيح يفترضان أنّ الطرفين يعلمان أهداف الزواج وخصائصه الجوهرية ولا يرفضانها، وكذلك أنّ الطرف الكاثوليكي يُثبت التزامه، التي يُعلم الطرف غير الكاثوليكي بها، بالحفاظ على إيمانه وتعميد الأولاد وتربيتهم في الكنيسة الكاثوليكية.

1636- في كثير من المناطق، توصّلت الجماعات المسيحية المعيّنة، بفضل الحوار المسكوني، إلى أن تضع **نهجاً رعائيّاً مشتركاً للزواجات المختلطة**، يهدف إلى مساعدة الأزواج في أن يعيشوا وضعهم الخاص في ضوء الإيمان. وهو يهدف أيضاً إلى مساعدتهم في التغلّب على التوتّرات القائمة بين واجبات الزوجين أحدهما تجاه الآخر، وواجباتهما تجاه جماعاتهما الكنسية. ولا بدّ لهذا النهج الرعائيّ من أن يشجّع على تنمية ما هو مشترك بينهما في الإيمان واحترام ما يفرّق بينهما.

1637- في الزواجات المعقودة في حالة اختلاف الدين يضطلع الزوج الكاثوليكيّ بمهمّة خاصة: "لأنّ الزوج غير المؤمن يتقدّس بإمرأته، والمرأة غير المؤمنة تتقدّس بالزوج المؤمن" (1كو 7:14). وكم يكون فرح الزوج المؤمن وفرح الكنيسة عظيماً، إذا أدّى هذا "التقديس" إلى اهتداء الزوج الآخر إلى الإيمان المسيحي، اهتداءً حرّاً. إنّ الحبّ الزوجيّ الخالص، مع ممارسة الفضائل العائلية في التواضع والصبر، والمثابرة على الصلاة، قد يُعدّ الزوج غير المؤمن لقبول نعمة الاهتداء.

4ُ. مفاعيل سرّ الزواج

1638- "من الزواج الصحيح ينشأ بين الزوجين وثاقٌ، هو من طبيعته دائمٌ ومقصورٌ على اثنين. ثم إنّ الزواج المسيحي يولي الزوجين قوّة وشبه تكرّس، بواسطة **سرّ خاص**، للواجبات والكرامة المرتبطة بحالتهما".

الوثاق الزوجي

1639- إنّ الرضى الذي يتبادله الزوجان عطاءً ذاتيّاً وقبولاً، يختمه الله نفسه. من هذا الميثاق "تنشأ مؤسّسة يثبّتها الشرعُ الإلهيّ، حتى في نظر المجتمع البشري نفسه". ميثاق الزوجين يندمج في الميثاق القائم بين الله والبشر: "والحبّ الزوجي الصحيح تحتضنه المحبّة الإلهية".

1640- الوثاق الزوجي يقيمه إذن الله نفسه، فينجم عن ذلك أنّ الزواج المعقود والمكتمل بين معمّدين لا يجوز أبداً حلّه. هذا الوثاق المنبثق عن الزوجين بفعل إنساني حرّ، وزواج مكتمل، هو واقع لا يقبل النّقص من بعد، ويُنشئ ميثاقاً يكفله الوفاء الإلهيّ. وليس في مقدور الكنيسة أن تتصدّى لهذا الترتيب الذي شاءته الحكمة الإلهيّة.

نعمة سرّ الزواج

1641- إنّ للأزواج المسيحيين، "في وضعهم الحياتي وحالهم، مواهبَهم الخاصة في شعب الله". هذه النعمة التي يختصّ بها سر الزواج تهدف إلى رفع الحب بين الزوجين إلى درجة الكمال، وتمتين وحدتهما غير المنفصمة. بهذه النعمة "يتعاون الزوجان في تقديس ذاتهما في الحياة الزوجية، وفي انجاب البنين وتربيتهم".

1642- المسيح مصدر هذه النعمة. "فكما أنّ الله قطع مع شعبه قديماً عهد محبة وأمانة، هكذا أراد الآن مخلّص البشر، عروس الكنيسة، أن يلاقي المسيحيين في سرّ الزواج". فهو يلازمهم ويؤتيهم القوّة ليتبعوه، حاملين صليبهم، وينهضوا من كبواتهم، ويتبادلوا الصفح، ويحملَ بعضهم أثقال بعض، ويخضع بعضهم لبعض بتقوى المسيح" (أف 5: 21) ويُحبّ بعضهم بعضاً محبّةً تفوق الطبيعة، رقيقة وخصبة. وفي مباهج حبّهم وحياتهم العائلية، يؤتيهم المسيح أن يتذوّقوا، منذ الآن، طعم وليمة عرس الحمل:

"من أين لي أن استمدّ القوة لأن اصف وصفاً وافيا سعادة الزواج الذي تهيئه الكنيسة، وتثبّته التقدمة وثمهره البركة، الملائكة يعلنونه، والآب السماوي يصادق عليه. ما أروعهما زوجين مسيحيَّين يوحدّهما رجاء واحد، ورغبة واحدة، وخدمة واحدة! كلاهما ابنان لأب واحد، وخادمان لمعلّم واحد. لا شيء يفرّقهما، لا في الروح ولا في الجسد، بل هما، في الحقيقة، اثنان في جسد واحد. وحيث الجسد واحد، فالروح واحد أيضاً".

5ً. فوائد الحبّ الزوجي ومقتضياته

1643- الحبّ الزوجي كلٌّ متكاملٌ يتألّف من كلّ مقوّمات الشخص: نداءِ الجسد والغريزة، قوّة الاحساس والمودّة، توقِ الروح والارادة، وهو يهدف إلى وحدة شخصية عميقة تتخطّى الاتّحاد في جسد واحد، وتمكّن الاثنين من أن يكونا قلباً واحداً ونفساً واحدة. ويقتضي **الديمومة والأمانة** في عطاء متبادل حتى النهاية، ويتوق إلى **الخصب.** تلك، ولا شكّ، مزايا كلّ حبّ زوجي طبيعيّ، إنّما ينضاف إليها معنى جديد، لا ينقّيها ويرسّخها وحسب، بل يرتفع بها إلى مرتبةٍ تجعلها تعبيراً عن قيمٍ مسيحيّة مميّزة".

وحدة الزواج وديمومته

1644- الحبّ بين الزوجين يقتضي، من ذات طبيعته، الوحدة والديمومة في شركةٍ شخصيّة تشمل الحياة كلّها: "هكذا ليسا هما اثنين، بل جسد واحد" (متى 19: 6). "إنّهما مدعوّان إلى أن ينموا كلّ يوم في شركتهما، عبر الأمانة اليومية للوعد الذي يتضمّنه الزواج بتبادل العطاء كاملاً". هذه الشركة البشرية تتثبّت وتتنقّى وتكتمل بالشركة في يسوع المسيح، النابعة من سرّ الزواج، وتتعمّق باشتراك الزوجين في حياة الإيمان وفي الافخارستيا.

1645- "المساواة في الكرامة الشخصية التي يجب الاعتراف بها للمرأة وللرجل، في نطاق الحب المتبادل والكامل، تُظهر بوضوح وحدة الزواج التي ثبّتَها السيد المسيح".
تعدد الزوجات ينقض هذه المساواة في الكرامة، ويناقض الحبّ الزوجيّ في وحدانيّته ومُطلقيّته.

أمانة الحب الزوجي

1646- الحب الزوجي يفرض على الزوجين، من طبيعته، أمانةً لا تُخترق. وهذا نتيجة ما يقوم به الزوجان عندما يتبادلان موهبة الذات. والحبّ يتوخّى الديمومة، لا يمكن أن يُعقّد لفترة محدودة. "هذا الاتحاد الحميم، بصفته عطاء متبادلاً بين شخصين، وإذا انضاف إليه خير البنين، يقتضي من الزوجين أمانةً تامّة، وارتباط الواحد بالآخر ارتباطاً لا ينفصم".

1647- ولكن السبب الأعمق نجده في أمانة الله لعهده والمسيح لكنيسته. بسرّ الزواج يصبح الزوجان أهلاً لأن يُمثِّلا هذه الأمانة ويشهدا لها، ويُضيفاعلى ديمومة الزواج معنى جديداً أعمق.

1648- قد يبدو صعباً بل متعذِّراً أن نرتبط بإنسان آخر مدى الحياة. ولكنّه من الأهمية بمكان أن ننشر البشرى السعيدة أنّ الله يُحبّنا حبّاً نهائيّاً لا عودة منه، وأنّ للزوجين قسطاً في هذا الحب الذي يحملهما ويساندهما، وأنّهما يستطيعان بأمانتهما أن يقوما شاهدين لله في حبّه الوفيّ. إن الأزواج الذين، بنعمة الله، يؤدّون هذه الشهادة، في ظروف صعبة جدّاً أحياناً كثيرة، يستحقّون شكر الجماعة الكنسية ودعمها.

1649- هناك، مع ذلك، أوضاع تمسي فيها المساكنة الزوجية، من الوجهة العمليّة، عبئاً لا يُطاق لأسباب متنوّعة جدّاً. في مثل هذه الأحوال تقبل الكنيسة بأن يفترق الزجان **افتراقاً** جسديّاً وتنتهي المساكنة. إلاّ أنّ الزوجين يلبثان أمام الله، زوجاً وزوجة، ولا يحقّ لهما أن يعقدا زواجاً جديداً. في هذا الوضع الصعب، قد تكون المصالحة أحسن الحلول، إذا أمكن. الجماعة المسيحية مدعوّة إلى مساعدة هؤلاء الأشخاص ليعيشوا وضعهم بطريقة مسيحية، في الأمانة لوثاق زواجهم الذي يبقى غير قابل للانفصام.

1650- كثيرون هم اليوم، في بلاد كثيرة، الكاثوليك الذين يركنون إلى **الطلاق** طبقاً للقوانين المدنية، ويعقدون مدنيّاً زواجاً جديداً. ولكنّ الكنيسة تتمسّك بأنّها لا تستطيع أن تعترف بصحّة

زواج جديد، إذا ثبتت صحّة الزواج الأول، ولذلك أمانةً لكلام يسوع المسيح ("من طلّق امرأته وتزوّج غيرها زنى عليها. وإن طلّقت امرأة زوجها وتزوّجت غيره زنت" مر 10: 11-12). المُطلّقون الذين يعقدون مدنيّاً زواجاً آخر يجعلون أنفسهم في وضع يناقض موضوعيّاً شريعة الله. ولا يجوز لهم، من ثمّ، يُقبلوا للمناولة الافخارستية، ما دام هذا الوضع قائماً. ولا يجوز لهم، لهذا السبب عينه، أن يمارسوا بعض المهامّ الكنسية. وأمّا المصالحة، بواسطة سرّ التوبة، فلا يُنعمُ بها إلاّ الذين تابوا عمّا فرط منهم من انتهاك علامة العهد والأمانة للمسيح وتعهّدوا أن يعيشوا في العفّة الكاملة.

1651- على الكهنة والجماعة كلّها أن يعاملوا بالحسنى والرعاية المسيحيين الذين يعيشون في هذه الحالة والذين يحفظون الإيمان غالباً ويرغبون في تربية أبنائهم تربية مسيحية، لئلاّ يَحْسَبوا أنفسهم معزولين عن الكنيسة التي بإمكانهم ومن واجبهم، بصفتهم معمّدين، أن يشتركوا في حياتها:

"ويجب أن يُدعَوا إلى سماع كلام الله وحضور ذبيحة القداس والمثابرة على الصلاة والمساهمة في أعمال المحبّة، وفي مبادرات الجماعة لأجل العدالة، وتربية أولادهم في الإيمان المسيحي، والعكوف على روح التوبة وأعمالها، لكي يلتمسوا، يوماً بعد يوم، نعمة الله".

الانفتاح على الخصب

1652- "في طبيعة المؤسسة الزوجيّة والحبّ الزوجيّ إنجاب الأولاد وتربيتُهم وهم لهما بمثابة الإكليل على الهامة".

"الأولاد هم أسمى عطايا الزواج، وبهم أعظم الخير للوالدين أنفسهم. والله نفسه الذي قال: "لا يحسن أن يكون الإنسان وحده" (تك2:18) والذي "منذ البدء خلق رجلاً وامرأة" (متى19:4)، أراد أن يَشركه إشراكاً مميّزاً في عمله الخلاّق. ولذا بارك الرجل والمرأة قائلاً: "أُنموا واكثروا" (تك1: 28). ومن ثمّ، فكلّ حبٍّ زوجيّ خالص ومفهوم على حقيقته. وما يصدر عنه من بُنية تشمل الحياة العيلية كلّها، ومن غير أن نقلّل من أهمية أهداف الزواج الأخرى، كلّ ذلك يُتيح للأزواج أن يساهموا، بنفس شجاعة، في محبّة الخالق والمخلّص الذي يريد أن يعمل بواسطتهم بلا كلل، على توسيع نطاق أسرته وتنمية طاقتها".

1653- خصب الحب الزوجيّ يشمل ثمار الحياة الأدبيّة والروحيّة والفائقة الطبيعة التي يرثها الأبناء من والديهم بالتربية. فالوالدون هم لأبنائهم أهمّ المربّين **وأوّلهم.** من هنا أنّ المهمّة الأساسية النابعة من الزواج والأسرة، هي التجنّد لخدمة الحياة.

1654- وأمّا الأزواج الذين لم يرزقهم الله بنين، فبإمكانهم، مع ذلك، أن يمارسوا حياة زوجية حافلة بالقيم، بشريّا ومسيحيّاً. وبوسعهم أن يجعلوا من زواجهم إشعاعاً خصيباً بالمحبّة والضيافة والتضحية.

6ً. الكنيسة البيتيّة

1655- لقد أراد المسيح أن يولّد ويترعرع في حضن أسرة يوسف ومريم المقدّسة. وما الكنيسة سوى "أسرة الله". نواة الكنيسة، منذ عهدها الأول، لم تكن غالباً سوى أولئك الذين "من أهل بيتهم" كانوا يدخلون في طاعة الإيمان. وعندما كانوا يهتدون إلى الإيمان كانوا يرغبون أيضاً لكلّ "أهل بيتهم" أن ينالوا الخلاص. هذه العيل التي اعتنقت الإيمان باتت جزر حياةٍ مسيحية وسط عالم غير مؤمن.

1656- في أيّامنا، وفي عالم بات، في معظم الأحوال، غريباً عن الإيمان بل مناوئاً له، أصبحت العيل المسيحية على جانب كبير من الأهمية، بصفتها مواقد إيمان حيّ ومشعّ. وهذا ما حمل المجمع الفاتيكاني الثاني على تسمية الأسرة **بالكنيسة البيتيّة**، على حدّ تعبير قديم. **"**فعلى الوالدين، في نطاق الأسرة، أن يكونوا لأبنائهم، في شؤون الإيمان، أوّل المعلّمين بالقول والمثال، .وأن يُعْنَوا بدعوة كلَ منهم ولا سيّما الدعوة المقدّسة**"**

1657- هنا يُمارَس بطريقة مميّزة **الكهنوت العمادي**، كهنوت ربّ الأسرة والأم والأولاد وسائر أعضاء الأسرة، وذلك **"**بقبول الأسرار، ثم بالصلاة والحمد وشهادة السيرة المقدّسة، ثم بالكفر بالذات والمحبّة الفعّالة**"**. وهكذا يصبح البيت أوّل مدرسة للحياة المسيحية تُكسبُ البنين **"**ثروة إنسانية**"**. في البيت يتعلّم الولد الصبر وبهجة العمل، والمحبّة الأخوية، والسخاء في الصفح وإن تكرّر، خصوصاً العبادة الإلهية بالصلاة وتقدمة الحياة.

1658- ولا بدّ من أن نذكر هنا أيضاً بعض الأشخاص المقرّبين جدا من قلب يسوع، بسبب الظروف الواقعيّة التي يعيشون فيها – على غير إرادتهم، في معظم الأحيان – ويستحقّون بالتالي أن تسارع الكنيسة، ولا سيّما الرعاة، في إحاطتهم بالمحبّة والاهتمام: إنّهم **العازبون** بإعدادهم الكبيرة. كثيرون منهم **لا ينتمون إلى اسرة بشريّة**، وذلك، أحياناً كثيرة، بسبب عّوزهم. هناك من يعيشون هذه الحالة في روح التطويبات وأهبة مثاليّة لخدمة الله والقريب. هؤلاء كلّهم يجب أن نفتح لهم أبواب المنازل، **"**الكنائس البيتية**"**، وأبواب الأسرة الكبرى أي الكنيسة. **"**فما من أحد بلا أسرة في هذا العالم: فالكنيسة هي بيت الجميع وأسرة الجميع، ولا سيَما .**"**المتعَبين والرازحين تحت أعبائهم**"** (متى11: 28)

بإيجاز

1659- *يقول القديس بولس: "أيّها الرجال أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح الكنيسة. إنّ هذا السرّ لعظيم أي سرّ المسيح والكنيسة" (أف5: 25-32)*

1660- *الميثاق الزوجيّ الذي به يُنشئ رجلٌ وامرأةٌ بينهما شركة حياة وحبّ حميمة، قد أسّسه الخالق ووضع له قوانين خاصة. هذا الميثاق يهدف، من طبيعته، إلى خير الزوجين، وإلى إنجاب .الأولاد وتربيتهم. وقد رفعه المسيح الربّ، بين المعمّدين، إلى كرامة السرّ*

1661- *سرّ الزواج يرمز إلى اتّحاد المسيح والكنيسة ويولي الزوجين أن يحبّ احدهما الآخر كما أحبّ المسيح كنيسته. نعمة السرّ تُكمِّل هكذا الحب البشريّ القائم بين الزوجين وترسّخ وحدتهما .التي لا تنفصم، وتقدّسهما في طريق الحياة الأبدية*

1662- *يقوم الزواج على رضى المتعاقدَين، أي على إرادة الزوجين أن يتبادلا عطاء الذات .بطريقة نهائيّة ليحقّقا عهد حبّ وفيّ وخصيب*

1663- *الزواج يقيم الزوجين، في الكنيسة، في حالة علنيّة، فيحسُن، من ثمّ، أن يُحتفل به علناً، في إطار ليترجيّ، أمام الكاهن (أو شاهد يمثّل الكنيسة) والشاهدين وجماعة المؤمنين.*

1664- والوحدة والديمومة والانفتاح على الخصوبة هي مقوّمات الزواج الأساسيّة. تعدد الزوجات ينافي وحدته. والطلاق يفرّق ما جمعه الله. ورفض الخصوبة يصرف الحياة الزوجيّة .عن **"**أسمى عطيّة**"** فيه، أي الولد

1665- *الزواج الثاني الذي يعقده الأزواج المطلّقون، في حال وجود الزوج الشرعي في قيد الحياة، ينافي قصد الله وشريعته اللذين تعلّمناهما من المسيح. هؤلاء الأزواج لا يُفصلون عن الكنيسة ولكنّهم لا يستطيعون أن ينعموا بالمناولة الافخارستية. ويمارسون حياتهم المسيحية، بنوع .خاص، بتربية أولادهم في الإيمان*

1666- *البيت المسيحي هو المكان الذي يتلقّى فيه الأولاد أولى بشائر الإيمان. ولذا يُدعى البيت العيلي، بحقّ، "الكنيسة البيتية"، وهي بمثابة أسرةِ نعمةٍ وصلاةٍ ومدرسةٍ للفضائل الإنسانية والمحبّة المسيحيّة.*

الفصل الرابع
االاحتفالات الليترجية الأخرى

المقال الأول
أشباه الأسرار

1667- "لقد وضعت الكنيسة المقدّسة أشباه أسرار، وهي علامات مقدّسة تُشبه الأسرار ولها مفعولات روحية في معظم الأحوال، وتُنال بتوسّلات الكنيسة، وبها يتهيّأ المؤمنون لتقبّل الأسرار والاستفادة من مفعولها الرئيسيّ، وبها تتقدّس شتّى أحوال الحياة".

أشباه الأسرار وملامحها المميّزة

1668- أشباه الأسرار وضعتها الكنيسة لتقديس بعض الخِدَم الكنسيّة وبعض الحالات الحياتيّة، وظروف الحياة المسيحيّة على أنواعها، وكذلك لتقديس الأشياء المفيدة للإنسان. وبوسعها أيضاً، إذا تماشت مع القرارات الرعائية التي يضعها الأساقفة، أن تلبّي ما يتميّز به الشعب المسيحيّ في منطقة أو في حقبة معيّنة، من حاجات وثقافة وتاريخ. وتتضمّن دائماً صلاة يرافقها غالباً علامةً معيّنة من مثل وضع اليد وإشارة الصليب والرشّ بالماء المقدّس(الذي يُذكّر بالمعموديّة).

1669- وهي منوطة بالكهنوت العماديّ: فكلّ معمّد مخوّل أن يكون "بركة" وأن "يمنح البركة". ومن ثمّ يجوز للعلمانيين أن يرئسوا بعض المباركات، ولكن بمقدار ما تقترن المباركة بالحياة الكنسية وبالأسرار، يجب حصرها في الخدمة الكهنوتية، فتكون من شأن الأساقفة والكهنة والشمامسة.

1670- إنّ أشباه الأسرار لا تولي نعمة الروح القدس على طريقة الأسرار، ولكنّها، بصلاة الكنيسة، تُعِدُّ النفس لقبول النعمة وتؤهلها للتعاون معها. "عند المؤمنين الحسني الاستعداد، جميع أحداث الحياة تقريباً تتقدّس بالنعمة الإلهية التي تصدر عن السرّ الفصحي، سرّ آلام المسيح وموته وقيامته. فمنه تستمدّ جميع الأسرار وأشباه الأسرار قوّتها، وما من استعمال كريم لأيّ شيء من الأشياء المادّية تقريباً إلاّ أمكن توجيهُه إلى هدف تقديس الإنسان وتمجيد الله".

أشباه الأسرار في مختلف أشكالها

1671- من بين أشباه الأسرار نلحظ أوّلاً **البركات** (للاشخاص والمائدة والأمكنة). كلّ بركة هي بمثابة حمدٍ لله وصلاة لنيل مواهبه. في المسيح، ينال المسيحيون من الله الآب "كلّ بركة روحية" (أف 1: 3)، ولذا تمنح الكنيسة البركة مستدعية اسم يسوع وراسمة عادةً إشارة صليب المسيح المقدّسة.

1672- ثمّة بركات لها مفعولٌ دائم، وتهدف إلى **تقديس** أشخاص لله وتكريس أوانٍ وأمكنة للاستعمال الليترجي. من بين البركات الموجّهة إلى الأشخاص – ويجب أن نميّزها من الرسامة

الكهنوتية- نذكر البركة الممنوحة لرئيس أو رئيسة دير، وتكريس العذارى والأرامل، وحفلة النذر الرهبانيّ والبركات الممنوحة لبعض الخِدم الكنسية (القرّاء، والمعاونين، ومعلّمي الدّين،....الخ). وأمّا بركات الأشياء والأماكن فنذكر منها تدشين كنيسة أو مذبح، وبركة الزيت والأواني والملابس والأجراس،..الخ.

1673- عندما تلتمس الكنيسة علناً وبقوّة السلطة، باسم يسوع المسيح، حماية الأشخاص أو الأشياء من قبضة المحتال ونفوذه، فهي تُمارس ما يُسمّى **"بالتعزيم"**. وقد مارسه يسوع، ومنه تستمدّ الكنيسة القدرة على التعزيم ومهمّة القيام به. ويُمارّس التعزيم، في شكل بسيط، عندما يُحتَفل بسرّ المعمودية. وأما التعزيم الاحتفالي أو "التعزيم الكبير" فلا يقوم به إلاّ كاهن بترخيص من الأسقف، ولا بدّ من أدائه بفطنة، وبالتقيّد بالقواعد التي تضعها الكنيسة. ويهدف"التعزيم" إلى طرد الشياطين أو إعتناق النفس من استحواذ الشيطان وذلك بالسلطة الروحية التي وكلها يسوع إلى كنيسته. ولكن الفرق الكبير بين الاستحواذ الشيطانيّ والحالات المرضيّة، ولا سيّما الأمراض النفسانية التي يعود علاجها إلى العالم الطبّي. من الأهمية إذن بمكان، أن نميّز، قبل قيام التعزيم، بين الاستحواذ الشيطانيّ وحالة المرض.

التّقويّات الشعبية

1674- خارج نطاق ليترجيا الأسرار وأشباه الأسرار، لا بدّ للكرازة من أن تحسب حساباً لبعض الأنماط التقويّة لدى المؤمنين والممارسات التعبديّة الشعبيّة. فالحسّ الديني، لدى الشعب المسيحيّ، قد انعكس دوماً في أشكال متنوّعة من التقوى تحيط بالحياة الأسرارية في الكنيسة. من ذلك، مثلاً، تكريم الذخائر، وزيارة المعابد، والحجّ والتطواف ودرب الصليب، والرّقص الديني، وصلاة الوردية، والأنواط،...الخ.

1675- هذه التعابير التقويّة تضاف إلى الحياة الليترجية في الكنيسة ولا تقوم مقامها: "لا بدَّ لها من تنظيم يماشي الزمن الطقسي، وينسجم مع الليترجيا، ويصدر عنها بوجه من الوجوه، ويقود إليها، لأنّ الليترجيا بطبيعتها أسمى وأرفع منها".

1676- لا بدّ من حسّ رعائي يدعم ويساند التقوى الشعبية، ولا بدّ، إذا اقتضت الحاجة، من العمل على تطهير وتثقيف الحسّ الدينيّ الذي يغذّي هذه العبادات وعلى تنمية معرفة سرّ المسيح ولكنّ ممارستها تظلّ خاضعة لرعاية الأساقفة ورأيهم وللقواعد العامّة المرعيّة في اكنيسة.

"إنّ التقوى الشعبية هي، في الجوهر، مجموعة قيم مستمدّة من الحكمة المسيحية، تحاول الإجابة على المسائل الكبرى الكامنة في الوجود. الحسّ الفطري الشعبي، في الكنيسة الكاثوليكية، مؤهّل لأن يجد صيغاً تقويّة تتألّف فيها عناصر الوجود. فهو يسوق معاً، بطريقة خلاّقة، الإلهيّ والبشريّ، المسيح والعذراء، الروح والجسد، الشركة والمؤسّسة، الشخص والجماعة، الإيمان والوطن، العقل والشعور. هذه الحكمة إنّما هي أَنَسيّةٌ مسيحية، تؤكّد، بطريقة جذرية، كرامة كلّ إنسان على أنّه ابن الله، وتقيم أخوّة أساسية، وتعلّمنا كيف نلتقي الطبيعة ونفهم معنى العمل، وتؤتينا دواعي للعيش في الفرح والبِشْر، حتى وسط الملمّات. هذه الحكمة هي أيضاً للشعب مبدأ فطنة وتمييز، وحسٌّ إنجيليّ يساعده في أن يُدرك، بطريقة عفويّة، متى يحتلّ الإنجيل المقام الأوّل في الكنيسة، ومتى يفرَغ من محتواه وتطبِّق على منافسه مصالحُ أخرى".

بإيجاز

1677- *أشباه الأسرار كناية عن علامات مقدّسة وضعتها الكنيسة بهدف إعداد المؤمنين لقبول ثمرة الأسرار وتقديس مختلف ظروف الحياة*

1678- *تحتلّ البركات مكاناً هامّاً بين أشباه الأسرار. وتتضمّن البركةُ الإشادة بأعمال الله وعطاياه، وشفاعة الكنيسة ليتمكّن الناس من أن يستعملوا مواهب الله بحسب روح الإنجيل.*

1679-*الحياة المسيحية لا تتغذّى فقط بالليترجيا بل بأشكال متنوّعة من التقوى الشعبية تضرب جذورها في مختلف الحضارات. وتسعى الكنيسة، مع السهر على تنويرها بنور الإيمان، إلى تشجيع ما يعبّر عن حسّ إنجيليّ وحكمة بشرية ويغني الحياة المسيحية من أشكال التقوى الشعبية.*

المقال الثاني
الجنّاز المسيحي

1680- كلُّ الأسرار ولا سيّما أسرار التنشئة المسيحية، هدفها البلوغ بالإنسان المُتبنّى إلى الفصح الأخير الذي يولجه، عن طريق الموت، في حياة الملكوت. إذ ذاك يتمّ ما كان يُعترف به في الإيمان والرجاء: "أترجّى قيامة الموتى والحياة في الدّهر الآتي".

1ُ. المسيحي وفصحه الأخير

1681- الموت، بمعناه المسيحي، ينكشف لنا في نور السرّ **الفصحي**، سرِّ موت المسيح وقيامته، الذي عليه يرتكز رجاؤنا الوحيد. فالمسيحيّ الذي يموت في المسيح يسوع يهجر هذا الجسم ليقيم في جوار الرب.

1682- في اليوم الذي يموت المسيحيّ، **تنتهي حياته الأسرارية**، ويتمّ ميلاده الجديد الذي ابتدأ بالمعمودية، ويتحقّق "شَبَهه النهائي "بصورة الابن"، الشَبَه الذي نال بمسحة من الروح القدس، واشتراكه في وليمة الملكوت التي استبقها في الافخارستيا، حتى وإن بقيت عليه تنقيات لا بدّ منها ليلبس حلّة العرس.

1683- إنّ الكنيسة التي حملت المسيحي سرّياً كالأمّ في أحشائها، طوال مسيرته الأرضية، ترافقه في نهاية طريقه، لتستودعه بين يدي الآب. وإنّها تقرّب للآب، في المسيح، ابن نعمته، وتَدفن، برجاء، في التراب، بذارَ الجسد الذي يقوم في المجد. هذه التقدمة تحتفل بها الكنيسة تمام الاحتفال في الذبيحة الافخارستيا. وأمّا البركات التي تسبقها فهي من قبل أشباه الأسرار.

2ً. الاحتفال بالجناز

1684- الجنّاز المسيحي هو احتفال ليترجيّ كنسيّ. وهدف الكنيسة، في إقامة هذه الخدمة، أن تعبّر عمّا يقوم من شركة حقيقيّة بينها وبين **الميت**، وأن تشترك أيضاً في الجنّاز **الجماعة** الملتئمة حول الميت، وتبشّرها بالحياة الأبدية.

1685- الطقوس الجنائزيّة على اختلافها تعبّر عمّا يتميّز به الموت المسيحي من **طابع فصحيّ**، وتلبّي ظروف كلّ منطقة وتقاليدها، حتى في ما يتعلّق باللون الليترجي.

1686- تقترح رتبة الجنّازات في الليترجيا الرومانية صيغاً ثلاثاً للاحتفال بالجناز، طبقاً للأمكنة الثلاثة التي يمكن أن تجري فيها المراسيم الجنائزية (البيت أو الكنيسة أو المقبرة)، وفقاً للأهمية التي تنيطها به الأسرة والعادات المحلّيّة والتقوى الشعبية. هذا الاحتفال له قاعدة مشتركة بين جميع التقاليد الليترجية ويتضمّن أربع مراحل رئيسيّة.

1687- استقبال الجماعة، يُفتتح الاحتفال بتحيّة إيمان. ثمّ يُستقبَل ذوو الفقيد بكلمة تعزية (والتعزية، بمفهومها في العهد الجديد، هي قوّة الروح القدس في الرجاء). وتنتظر الجماعة المصلّية على الفقيد، هي أيضاً، "كلمات في الحياة الأبدية". موت أحد أعضاء الجماعة (أو تذكاره السابع أو الثلاثون) إنّما هو من الأحداث التي يجب أن تتخطّى بنا آفاق "هذه الدنيا" وتجتذب المؤمنين إلى آفاق الإيمان الحقيقي بالمسيح الناهض.

1688- ليترجيا الكلمة، وقت الجناز، تقتضي استعداداً دقيقاً باعتبار أنّ الجماعة الحاضرة قد تضمّ من المؤمنين من لا يتردّدون كثيرا على الليترجيا، أو من أصدقاء الفقيد ليسوا على دينه. ولا بدّ، في العظة خصوصاً، "من تجنّب الأسلوب التقريظي"، والإطلالة على سرّ الموت المسيحيّ، بشعاع المسيح الناهض من بين الأموات.

1689- الذبيحة الافخارستية. عندما يُحتفَل بالجنّاز في الكنيسة، تكون الافخارستيا هي قلب الحقيقة الفصحيّة الكامنة في واقع الموت المسيحيّ. إذ ذاك تعبّر الكنيسة عن ارتباطها الفاعل بالفقيد: فهي تقرّب إلى الآب، في الروح القدس، ذبيحة موت المسيح وقيامته، وتطلب لابنه المسيحي التنقية من خطاياه وتبعاتها، وقبوله إلى مائدة الملكوت، في ملء الحقيقة الفصحية. بواسطة الافخارستيا المحتَفَل بها على هذا الوجه، تتعلّم جماعة المؤمنين، ولا سيّما أسرة الفقيد، أن تعيش في الشركة مع "من رقد في الربّ"، وذلك بالاشتراك في جسد المسيح الذي هو فيه عضو حيّ، ثمّ بالصلاة لأجله ومعه.

1690- عندما تودّع الكنيسة الفقيد، "تستوعه الله". "إنّه الوداع الأخير الذي به تحيّي الجماعة المسيحية أحد أعضائها، قبل أن يوارى جسده القبر". ويعبّر التقليد البيزنطي عن ذلك بقبلة الوداع للفقيد:
بهذه التحية الأخيرة "نُنشد لنزوحه عن هذه الحياة ولفراقه، ولكنّنا نُنشد أيضاً لما هناك من شركة ورباط. فنحن لا نفترق بعضنا عن بعض، لأنّنا كلّنا نسير في طريق واحد وسنتلاقى في موضع واحد. لن نفترق أبداً لأنّنا نحيا في المسيح، ونحن الآن متّحدون بالمسيح، ذاهبون إليه وسنكون كلّنا معاً في المسيح.

الجزء الثالث
الحياة في المسيح

1691- "أيها المسيحي، إعرف كرامتك. وبما أنّك شريكٌ في الطبيعة الإلهية، فلا تنحطّ بعودتك إلى دناءة حياتك الماضية. تذكّر إلى أيّ رأس أنت تنتمي وفي أيّ جسمٍ أنت عضو. تذكّر أنّك انتُزعتَ من سلطان الظلمات لِتُنقَل إلى النور وملكوت الله".

1692- لقد أعلن قانون الإيمان عظمة عطايا الله للإنسان في عمل خلقه، وأكثر أيضاً بالفداء والتقديس. وما يُعلنه الإيمان توليه الأسرار: إنّ المسيحيّين "بالأسرار التي جدَّدت ولادتهم" قد أصبحوا "أبناء الله" (1 يو 3: 1)، "شركاء في الطبيعة الإلهية" (2بط 1: 4). وإذ يعلم المسيحيّيون بإيمانهم كرامتهم الجديدة، فهم مدعوّون إلى أن يحيوا بعد ذلك حياةً تليق بإنجيل المسيح. وهم يقبلون، بالأسرار والصلاة، نعمة المسيح ومواهبَ روحه التي تؤهّلهم لها.

1693- لقد عمل المسيح يسوع دوماً ما يرضي **الآب.** وعاش دوماً باتّحادٍ كاملٍ معه. وتلاميذه هم كذلك مدعوّون إلى أن يعيشوا تحت نظر الآب "الذي يرى في الخُفية" (متى 6: 6) حتى يصيروا "كاملين كما أنّ الآب السماويّ هو كامل" (متى5:47).

1694- إنّ المسيحيين، ووقد ضُمّوا بالمعمودية إلى جسد **المسيح،** هم أمواتٌ للخطيئة، وأحياءٌ لله في المسيح يسوع، مشاركون هكذا في حياة القائم من الموت. ويستطيع المسيحيون، على آثار المسيح والإتّحاد معه، أن يَسعَوا إلى الاقتداء بالله كأولادٍ أحّباء، وأن يسلكوا في المحبّة، مطابقين أفكارهم وأقوالهم وأفعالهم على ما في المسيح يسوع من أخلاق ومقتفين آثاره.

1965- والمسيحيون قد أصبحوا "**هيكل الروح القدس"** (1كو 6: 19)، بعد أن "بُرِّروا باسم الربّ يسوع المسيح وبروح إلهنا" (1كو 6: 11)، وقُدّسوا ودُعوا ليكونوا قدّيسين. و "روح الابن" هذا يُعلّمهم أن يُصلّوا إلى الآب، ويحملهم، بعد إن أصبح حياتَهم، على أن يَسعَوا ليثمروا ثمار الروح بالمحبّة الفاعلة. والروح القدس الشافي من جروح الخطيئة يُجدّدنا قي الصميم بتغيير

روحيّ، ويُنيرنا ويُقوّينا لنحيا حياة "أبناء النور" (أف 5: 8) "بالصلاح والبرّ والحقّ" في كلّ شيء (أف 5:9).

1696- طريق المسيح"تؤدّي إلى الحياة" (متى7:14)، والطريق المخالفة "تؤدّي إلى الهلاك" (متى7:13). إنّ مَثَلَ **الطريقَين** الوارد في الإنجيل ما زال قائماً في تعليم الكنيسة. وهو يعني أهمية القرارات الأخلاقية لخلاصنا. "هناك طريقان، أحدهما طريق الحياة والآخر طريق الموت. ولكنّ بين الأثنين فارقاً كبيراً".

1997- من المهمّ في **التعليم الديني** أن نُظهر بكلّ وضوح ما في طريق المسيح من فرحٍ وما له من تطلّبات. فالتعليم الدينيّ في شأن "الحياة الجديدة" (رو6:4) في المسيح يكون:

- تعليماً في شأن الروح القدس، المعلّم الداخلي للحياة بحسب المسيح، والضيف والصديق اللطيف الذي يُلهم تلك الحياة ويقودها، ويُصلحها، ويوّيها

- تعليماً في شأن النعمة، لأننا بالنعمة نَخلُص، وبالنعمة أيضاً يمكن أعمالّنا أن تؤتي ثماراً للحياة الأبدية،

- تعليماً في شأن التطويبات، لأنّ طريق المسيح تختصرها التطويبات، وهي السبيل الوحيد إلى السعادة الأبدية التي يصبو إليها قلب الإنسان،

- تعليماً في شأن الخطيئة والمغفرة، لأنّ الإنسان، ما لم يعترف بأنّه خاطئ، لا يستطيع أن يعرف الحقيقة عن ذاته، وهي شرطٌ للسلوك الصحيح، وما لم يُعطَ المغفرة لا يستطيع احتمال تلك الحقيقة.

- تعليماً في شأن الفضائل الإنسانية، يمكّن من إدراك ما في الاستعدادت الصحيحة للخير من جمال وإغراء.

- وتعليماً في شأن الفضائل المسيحية، الإيمان والرجاء والمحبّة، مستوحىً بعظمةٍ من مثال القديسين.

- تعليماً في شأن وصيّة المحبّة المزدوجة المنتشرة في تضاعيف الوصايا العشر.

- وتعليماً كنسيّاً، فالحياة المسيحية إنّما تستطيع أن تنمو وتنتشر وتمتدّ في التبادلات المتعددة "للخيور الروحيّة" في "شركة القديسين".

1698- المرجع الأول والأخير لهذا التعليم الديني سيكون على الدوام يسوع المسيح نفسه الذي هو "الطريق والحق والحياة" (يو14:6). فإلقاء النظر عليه، يستطيع المؤمنون بالمسيح أن يرجوا أنّه سيحقّقُ هو نفسه مواعيده فيهم، وأنّهم سيحبَونه بالمحبّة التي أحبّهم هو بها، بحيث يصنعون الأعمال المناسبة لكرامتهم:

"ارجوك أن تعتبر أنّ سيدنا يسوع المسيح هو رأسك الحقيقي، وأنّك أحد أعضائه. إنّه بالنسبة إليك كالرأس بالنسبة إلى الأعضاء، كل ما هو له هو لك، روحه، قلبه، جسده، نفسه، وكلّ قواه، وينبغي لك أن تستخدمه كأمور خاصّة لتخدم الله وتسبّحه وتمجّده. وأنت له كما أنّ الأعضاء هي لرأسها. لذلك منيته الحارّة أن يستخدم ما هو فيك، كأشياء خاصة به، لخدمة أبيه ومجده".

"الحياة لي هي المسيح" (في1:21).

القسم الأول

دعوة الإنسان: الحياة في الروح

1699- الحياة في الروح القدس تكمّل دعوة الإنسان (**الفصل الأول**) وهي تقوم على المحبّة الإلهية والتضامن البشري (**الفصل الثاني**). وهي ممنوحة مجاناً بمثابة خلاص (**الفصل الثالث**).

الفصل الأول
كرامة الشخص البشري

1700- كرامة الشخص البشري متأصّلة في خلْقِه على صورة الله ومثاله (**المقال الأول)**. وهي تكتمل في دعوته إلى السعادة الإلهية (**المقال الثاني)**. ويعود إلى الإنسان أمرُ حمل نفسه بحرّية على هذا الاكتمال (**المقال الثالث)**. والشخص البشري، بأفعاله الحرّة (**المقال الرابع)**، يقبل أو يرفض الامتثال للخير الذي يَعِد به الله ويشهدُ به الضمير الأخلاقي (**المقال الخامس)**. والكائنات البشريّة تبني نفسها وتكبُر من الداخل، وتجعل حياتها كلّها، الحسيّة والروحية، مادّة نموّها (**الفصل السادس)**. فتنمو بموازرة النعمة، في الفضيلة (**المقال السابع)**. وتتجنّب الخطيئة، وإذا ما ارتكبها فوّضت أمرها، كالابن الشاطر، إلى رحمة أبينا الذي في السماوات (**المقال الثامن)**. فتبلغ هكذا إلى كمال المحبّة.

المقال الأول
الإنسان على صورة الله

1701-" إنّ المسيح في كشفه عن سرّ الآب ومحبّته يبيّن للإنسان حقيقة الإنسان في وضوح، ويكشف له عن سموّ دعوته**"**. ففي المسيح**"** صورة الله غير المنظور" (كو1: 15)، خُلق الإنسان على "صورة" الخالق و "مثاله". وفي المسيح الفادي والمخلّص، أُعيدت الصورة الإلهية التي شُوّهت في الإنسان بالخطيئة الأولى، إلى جمالها الأول وشُرِّفت بنعمة الله.

1702- صورة الله حاضرة في كلّ انسان. وهي تتألّق في وحدة الأشخاص على مثال وحدة الأقانيم الإلهية في ما بينها (راجع الفصل الثاني).

1703- الشخص البشريّ، الذي مُنح نفساً "روحانيّة خالدة"، هو "الخليقة الوحيدة التي أرادها الله لذاتها في الأرض". وهو منذ الحبل به مُعدٌّ للسعادة الأبدية.

1704- يشترك الشخص البشري في نور روح القدس الإلهيّ وقوّته. وهو قادرٌ بعقله أن يفهم نظام الأشياء الذي أقامه الخالق. وهو قادرٌ بإرادته أن يحمل نفسه نحو خيره الحقيقيّ. وهو يجد كماله في "السعي إلى الحقّ والخير وحبّهما".

1705- لقد مُنح الانسان بمقتضى نفسه وقواه الروحيّة والعقليّة والإراديّة، الحرّية "علامةً مميّزةً لصورة الله".

1706- يدرك الانسان بعقله صوت الله الذي يحضّه "على فعل الخير وتجنّب الشرّ". وعلى كلّ واحدٍ أن يتبع هذه الشريعة التي تُسمِعُ صوتها في الضمير، وتكتمل في محبّة الله والقريب. وممارسة الحياة الأخلاقية تدلّ على كرامة الشخص.

1707- "أغوى الشرير الإنسان منذ بدء التاريخ فأساء استعمال حرّيته". وسقط في التجربة وارتكب الشرّ. انه يحتفظ بالرغبة في الخير، ولكنّ طبيعته مجروحةٌ بجرح الخطيئة الصليّة، فاصبح ميّالاً إلى الشرّ، ومعرّضاً للضلال:

"فالانسان يعاني من انقسام في ذاته، ولهذا فحياةُ البشر كلّها سواء كانت فردية أو جماعيّة، تبدو صراعاً، وصراعاً مأسويّاً، بين الخير والشرّ، بين النور والظلمات".

1708- لقد أنقذنا المسيح بآلامه من الشيطان والخطيئة، واستحقّ لنا الحياة الجديدة في الروح القدس. وجدّدت نعمته ما أفسدته الخطيئة فينا.

1709- من يؤمن بالمسيح يصبح ابناً لله. وهذا التبنّي يغيّره بتمكينه من الاقتداء بمثل المسيح، ويجعله قادراً على الاستقامة في الفعل وعلى ممارسة الخير. ويبلغ التلميذ في اتحاده بمخلّصه كمال المحبّة أي القداسة. فتنضج الحياة الأخلاقيّة في النعمة وتتفتح حياة أبديّة في مجد السماء.

بإيجاز

1710- *"ان المسيح يبيّن للإنسان حقيقة الإنسان في وضوح، ويكشف له عن سموّ دعوته".*
1711- *الشخص البشريّ الذي مُنح نفساً روحانيّة وعقلاً وإرادةً هو منذ الحبل به مهيّأ لله ومُعدٌّ للسعادة الأبدية. وهو ينطلق إلى كماله في "السعي إلى الحقّ والخير وفي حبّهما".*
1712- *الحريّة الحقيقيّة هي، في الانسان، "العلامة المميّزة لصورة الله".*
1713- *الإنسان مُلزمٌ باتّباع الشريعة الأخلاقية التي تحضه على "فعل الخير وتجنّب الشرّ". وهذه الشريعة تُسمِعُ صوتها في الضمير.*
1714- *الإنسان الذي جرحته الخطيئة الأصليّة بجرحٍ في طبيعته، مُعرَّض للضلال وميّال إلى الشرّ في ممارسة حرّيته.*
1715- *من يؤمن بالمسيح له الحياة الجديدة في الروح القدس. والحياة الأخلاقية التي تكبر وتنضج في النعمة لا بدّ من أن تكتمل في مجد السماء.*

المقال الثاني
دعوتنا الى السعادة

1ً. التطويبات

1716- التطويبات هي في القلب من كرازة يسوع. وإعلانُها يعيد ما قُطع من مواعيد للشعب الله المختار منذ إبراهيم، ويكمّلها بتوجيهها لا إلى التمتّع بالارض فحسب بل إلى ملكوت السماوات:

"طوبى للمساكين بالروح، فإنّ لهم ملكوت السماوات.
طوبى للودعاء، فإنّهم يرثون الأرض.
طوبى للحزانى، فإنّهم يُعزّون.
طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، فإنّهم يُشبعون.
طوبى للرحماء، فإنّهم يُرحَمون.
طوبى لأنقياء القلوب، فإنّهم يُعاينون الله.
طوبى لفاعلي السلام، فإنّهم يُدعون أبناء الله.
طوبى للمضطهدين من أجل البرّ، فإنّ لهم ملكوت السماوات.
طوبى لكم، ذا عيّروكم واضطهدوكم، وافتروا عليكم بكلّ سوء، من أجلي.
افرحوا وابتهجوا، فإنّ أجركم عظيم في السماوات" (متى5: 3-12).

1717- ان التطويبات ترسم وجه يسوع المسيح وتصف محبّته، وتعبّر عن دعوة المؤمنين المشتركين في مجد آلامه وقيامته. وتنير الأفعال والمواقف التي تميّز الحياة المسيحية. إنّها المواعيد البادية التناقض التي تدعم الرجاء في المضايق. وهي تُعلن ما يحصل عليه التلاميذ من الآن بصورةٍ غامضةٍ من البركات والمكافآت. وهي قد بدأت في حياة العذراء مريم وجميع القدّيسين.

2ً. الرغبة في السعادة

1718- التطويبات تلبّي الرغبة الطبيعية في السعادة. وهذه الرغبة هي من أصلٍ إلهي، وضعها الله في قلب الإنسان ليجتذبه إليه، هو القادر وحده على إشباعها.

"كلّنا نريد بلا ريب أن نعيش سعداء، وليس في الجنس البشري من لا يوافق على هذه العبارة حتى قبل أن تُقال."

"فكيف إذن أسعى إليك، يا رب؟ وبما أنّني في سعيي إليك، يا إلهي، أسعى إلى الحياة السعيدة، فأعمل على أن أسعى إليك حتى تحيا نفسي، لأنّ جسدي يحيا من نفسي ونفسي تحيا معك."

"الله وحده يُشبع."

1719- التطويبات تكشف عن هدف الوجود الإنساني، عن الغاية القصوى للأعمال الإنسانية، وهي أنّ الله يدعونا إلى سعادته الخاصة. وهذه الدعوة موجّهة إلى كلّ واحد شخصيّاً، ولكن أيضاً إلى الكنيسة في مجموعها، الشعب الجديد المؤلّف من الذين تقبّلوا الوعد ويحيون به في الإيمان.

3ً. السعادة المسيحية

1720- يستعمل العهد الجديد تعابير عدّة لإعطاء السعادة، التي يدعو الله الإنسان إليها، طابَعها المميّز: مجيء ملكوت الله، معاينة الله: "طوبى لأنقياء القلوب فإنّهم يعاينون الله" (متى5:8)، الدخول في فرح الرب، الدخول في راحة الله:

"هناك نسترح ونُعاين، نعاين ونحب، نحب ونسبّح، ذلك ما سيكون في النهاية بلا نهاية. وأيّة غاية أخرى تكون لنا سوى البلوغ إلى الملكوت الذي لا نهاية له؟"

1721- فالله قد وضعنا في العالم لنعرفه، ونخدمه، ونحبّه، ونبلغ هكذا الفردوس. والسعادة "تجعلنا مشاركين في الطبيعة الإلهية" (2بط 1: 4) وفي الحياة الأبدية. بها يدخل الإنسان في مجد المسيح والتمتّع بحياة الثالوث.

1722- إنّ سعادة كهذه لممّا يفوق الإدراك والطاقات البشرية وحدها. وهي ناجمةٌ عن عطيّة مجانيّة من الله. ولذا يقال عنها إنّها فائقة الطبيعة، كالنعمة التي تهيّئ الإنسان للدخول في التمتّع بالله.

"طوبى لأنقياء القلوب فإنّهم يُعاينون الله". أجل، إنّ الله بحسب عظمته ومجده الذي لا يوصف، "لا يراه أحد ويحيا"، لأنّ الآب لا يمكن إدراكه، ولكنّ بحسب محبّته ورحمته للبشر وبحسب قدرته، يصل إلى حدّ منح مُحبّيه مزيّةَ معاينة الله "لأنّ ما هو مستحيلٌ عند الناس ممكنٌ عند الله."

1723- إنّ السعادة الموعودة تضعنا أمام خيارات أخلاقيّة حاسمة. فهي تدعونا إلى تنقية قلبنا من الغرائز الشرّيرة، والتماس محبّة الله فوق كل شيء. وهي تعلّمنا أنّ السعادة الحقيقيّة ليست في الغنى أو الرفاهية أو المجد البشري أو السلطة، وليست في أيّ عمل بشريّ مهما كان مفيداً، من مثل العلوم والتقنيات والفنون، وليست في أيّة خليقة، وإنّما هي في الله وحده ينبوع كلّ خير وكلّ حب:

"إنّ الغنى في يومنا هو الإله الأكبر،، وله يؤدّي الجمهور بل كلّ الجماعة البشريّة إكراماً عفويّاً. إنّهم يقيسون السعادة بمقياس الغنى، وبمقياس الغنى أيضاً يقيسون الكرامة. ويتأتّى ذلك كلّه من اعتقاد أنّ الإنسان الحاصل على الغنى يقدر على كل شيء. فالغنى إذن هو صنمٌ من أصنام اليوم، والشهرة صنمٌ آخر. أن يشتهرالإنسان، فيصبح معروفاً، ويحدث صجيجاً في العالم (أي يمكن تسميته صيتاً صحفيّاً) أمرٌ صار يُعدّ خيراً في ذاته، خيراً أعظم، وموضوع إجلال حقيقيّ هو أيضاً."

1724- تصف لنا الوصايا العشر، والعظة على الجبل، وتعليم الرسل، السبل التي تؤدّي إلى ملكوت السماوات. ونسير عليها خطوةً خطوةً بأعمالٍ يومية، تساندنا نعمة الروح القدس. وتُخصبنا كلمة المسيح، فنؤدّي بتؤدة ثماراً في الكنيسة لمجد الله.

بإيجاز

1725- *التطويبات تستعيد وتكمّل وعود الله منذ إبراهيم، وتوجّهها نحو ملكوت السماوات. وهي تلبّي الرغبة في السعادة التي وضعها الله في قلب الإنسان*
1726- *التطويبات تعلّمنا الغاية القصوى التي يدعونا الله إليها أي الملكوت ورؤية الله، والمشاركة في الطبيعة الإلهية، والحياة الأبدية، والبنوّة، والراحة في الله.*
1727- *سعادة الحياة الأبدية عطيّة من الله مجانيّة وهي تفوق الطبيعة، كالنعمة التي تؤدّي إليها.*
1728- *تضعنا التطويبات أمام خيارات حاسمة في شأن الخيرات الأرضيّة. وتنقّي قلبنا لتعلّمنا أن نحبّ الله أكثر من كلّ شيء*
1729- *سعادة السماء تحدّد مقاييس التمييز في استعمال الخيور الأرضية بحسب شريعة الله.*

المقال الثالث
حرّية الإنسان

1730- خلق الله الإنسان عاقلاً، ومنحه كرامة شخص يمتلك المبادرة وله السيطرة على أفعاله، "ترك الله الإنسان في يد اختياره" (سي 15: 14)، "فيتمكّن من أن يبحث هو بذاته عن خالقه، حتى إذا التصق به يبلغ بحريته كماله مليئاً وسعيداً".
"الإنسان عاقل، وبذلك هو شبيهٌ بالله، خُلق حرّاً وسيّد أفعاله".

1ً. الحريّة المسؤوليّة

1731- الحرّية هي القدرة، المتأصّلة في العقل والإرادة، على الفعل أو عدمه، على فعل هذا أو ذاك، وعلى القيام هكذا، من تلقاء الذات، بإفعالٍ صادرة عن رؤية. وبالإرادة الحرّة يُسيّر كلُّ واحدٍ نفسَه. فالحرّية في الإنسان هي قدرةٌ على النموّ والنضج في الحقيقة وفي الخير. وهي تبلغ كمالها عندما تتوجّه شطر الله، سعادتنا.
1732- طالما لم تلتصق الحرّية نهائيّاً بخيرها الأقصى الذي هو الله، فهي تنطوي على إمكان **الاختيار بين الخير والشرّ.** وبالتالي إمكان النموّ في الكمال، أو الخَوَر والخطأ. وهي من خصائص الأفعال البشرية حقّاً، فتصبح مصدر مدحٍ أو ذمَ، ثواب أو عقاب.
1733- كلّما فعل الإنسان خيراً ازداد حرّية. وليس من حرّية حقيقيّة إلاّ في خدمة الخير والعدالة. واختيار المعصية والشرّ هو شططٌ في الحرّية يعود إلى عبوديّة الخطيئة.
1734- الحرّية تجعل الإنسان **مسؤولاً** عن أفعاله ما دامت بإرادته. ويُنمي التقدّم في الفضيلة، ومعرفةُ الخير، والجهاد الروحيّ، سيطرة الإرادة على أفعالها.
1735- قد تنقص أو تبطل **تَبِعَةُ** الفعل والمسؤولية عنه بسبب الجهل، والغفلّة، والعنف، والخوف، والعادات، والتعلّق المفرط، وعوامل نفسيّة أو اجتماعية أخرى.

1736- كلّ عمل يُراد لنفسه يُسألُ عنه صاحبُه:
هكذا سأل الربّ آدم بعد الخطيئة في الفردوس: "ماذا فعلت؟" (تك 3:13). وكذلك سأل قايين. وكذلك النبيّ ناتان سأل داود بعد أن زنى بإمرأة أوريّا وقتله.
ويمكن أن يكون الفعل إراديّاً بوجهٍ غير مباشر، عندما ينتج من إهمالٍ في شأن ما كان يجب أن يُعرف أو يُصنع، كمثل حادثٍ يجري بسبب جهل قانون السير.
1737- قد يسمح الفاعل بحصول نتيجةٍ لا يريدها، من مثل الإعياء الذي يصيب المرأة الساهرة على ابنها المريض. وليس هناك مسؤولية عن النتيجة السيّئة إذا لم يردها الإنسان في فعله غاية أو وسيلة، كمثل من يحلّ به الموت وهو ينجد شخصاً في خطر. لكي يكون الفاعل مسؤولاً عن النتيجة السيّئة، لا بدّ أن تكون هذه متوقّعة، وأن يكون قادراً على تجنّبها. كما هي الحال عندما يرتكبُ جريمةَ قتل إنسانٍ سائقٌ وهو سكران.
1738- تمارَس الحرّية في العلائق بين الكائنات البشرية. فكلّ شخص بشريّ مخلوقٍ على صورة الله له الحقّ الطبيعيّ في أن يُعترفَ به كائناً حرّاً ومسؤولاً. وواجب الاحترام هذا واجب على الجميع لكلّ إنسان. **والحق في ممارسة الحرّية** مطلبٌ ملازمٌ لكرامة الشخص البشريّ، خصوصاً في الشأنين الأخلاقيّ والدينيّ. ولا بدّ للقانون المدنيّ من الاعتراف به ومن صيانته في نطاق الخير العامّ والنظام العامّ.

2. الحرّية البشرية في التبير الخلاصي

1739- الحرّية والخطيئة. حرّية الإنسان محدودةٌ ومعرّضةٌ للزّلل. وفي الواقع زلّ الإنسان وخطئ حرّاً. وعندما رفض مشروع محبّة الله، خدع نفسه وأصبح عبداً للخطيئة. وولّد هذا الاستلابُ ألأوّل استلابات أخرى كثيرة. لأنّ تاريخ البشرية منذ بدايته، شاهدٌ على ما أنتجه قلب الإنسان من مصائب ومضايقاتٍ نجمت عن سوء استعمال الحرّية.
1740- ما يهدّد الحرّية. ممارسة الحرّية لا تتضمّن الحقّ في أن نقول ونفعل كلّ شيء. ومن الخطإ الادّعاء أنّ "الإنسان الحائز الحرّية يكتفي بذاته إذ تكون غايته ابتغاء مصلحته الذاتية في التمتّع بالخيرات الأرضيّة". ومن جهة أخرى، هناك، مراراً كثيرة، تجاهلٌ وتَعدٍّ للشروط الاقتصاديّة والاجتماعيّة، والسياسيّة والثقافيّة، المطلوبة لممارسة الحرّية ممارسة صحيحة. وحالاتُ العمى والجوْر تُنهك الحياة الأخلاقيّة، وتضع الأقوياء والضعفاء على السّواء في تجربة الخطيئة، بالإساءة إلى المحبّة. وبالابتعاد عن الشريعة الأخلاقيّة يُضرّ الإنسان بحرّيته، ويتقيّد بذاته، ويقطع ما بينه وبين نُظرائه من علائق الأخوّة، ويعصى الحقيقة الإلهيّة.
1741- التحرر والخلاص. لقد نال المسيح بصليبه المجيد الخلاص لكلّ البشر. وفداهم من الخطيئة التي كانت تستعبدهم. "حرّرنا المسيح لكي ننعم بالحرّية" (غل5:1). فيه نشترك في الحقيقة التي تجعلنا أحراراً. لقد أُعطينا الروح القدس، وكما يعلّم الرسول "حيث يكون الروح فهناك الحرّية" (2كو 3:17). ونحن منذ الآن نفتخر بحرّية أبناء الله.
1742- الحرّية والنعمة. ان نعمة المسيح ليست على الاطلاق منافسة لحرّيتنا، عندما تتوافق هذه مع حسّ الحقيقة والخير الذي وضعه الله في قلب ألإنسان. وعلى العكس، كما تشهد بذلك الخبرة المسيحية في الصلاة على الخصوص، كلّما طاوعنا حوافز النعمة، تعاظمت حرّيتنا الداخلية، وثباتُنا في المحن وأمام ضغوط العالم الخارجيّ ومضايقاته. وبفعل النعمة، يربّينا الروح القدس على الحرّية الروحية، ليصيّرنا مساعدين له أحراراً، في عمله في الكنيسة وفي العالم:
"أيّها الإله الصالح والقدير، أَبعدْ عنّا ما يُعيقنا لنكون أحراراً في إتمام مشيئتك دون قيدٍ من الروح أوالجسد".

بإيجاز

1743- *"ترك الله الإنسان في يد اختياره" (سي15:14)، ليستطيع أن يلتصق بخالقه بحرّية، ويبلغ هكذا الكمال السعيد.*
1744- *الحرّية هي القدرة على الفعل أو عدمه، وعلى قيام الإنسان من تلقاء ذاته بأفعال عن رؤية. وهي تبلغ كمال فعلها عندما تتوجّه إلى الله الخير الأعظم.*
1745- *الحرّية من خصائص الأفعال البشريّة حقّاً. فتجعل الكائن البشريّ مسؤولاً عن الأفعال التي يفعلها بإرادته. والفعل الذي يفعله عن رؤية يخصّه هو.*
1746- *قد تنقص أو تبطل تَبِعَةُ الفعل والمسؤولية عنه بسبب الجهل، والعنف، والخوف، وعوامل نفسية أو اجتماعية أخرى.*
1747- *الحق في ممارسة الحرّية مطلبٌ ملازمٌ لكرامة الإنسان خصوصاً في الشأنين الديني والأخلاقي. ولكن ممارسة الحرّية لا تتضمَّن الحق المزعوم في أن نقول كلّ شيء.*
1748- *"لقد حرّرنا المسيح لكي ننعم بالحرّية" (غل1:5).*

المقال الرابع
أخلاقية الأفعال البشرية

1749- ان الحرّية تجعل من الإنسان كائناً أخلاقيّاً. وعندما يفعل الإنسان فعلاً عن رؤية يكون **كالأب لأفعاله.** والأفعال البشرية، أي تلك التي يختارها الإنسان بحرّية، بعد أن يحكُمَ فيها الضمير، وهي ذات صفة أخلاقية. إنّها صالحة أو سيّئة.

1ً. مصادر الأخلاقية
1750-: أخلاقيّة الأفعال البشرية منوطة
- بالموضوع المختار
- بالعناية المقصودة أو النيّة
- بظرف الفعل.
فالموضوع والنيّة والظروف هي "المصادر" أو العناصر التي تتألّف منها أخلاقية الأفعال البشرية.
1751- الموضوع المختار هو خير تبتغيه الإرادة عن رؤية. إنه مادّة الفعل البشري. والموضوع المختار يحدّد نوع الفعل الإرادي من الناحية الأخلاقية، بحسب معرفة العقل ورؤيته له مطابقاً للخير الحقيقي أو مخالفاً له. إنّ قواعد الأخلاقية الموضوعية تُعلن النظام العقليّ للخير والشر، الذي يشهد به الضمير.
1752- تقع **النيّة،** في مواجهة الموضوع، ناحيةَ مَنْ يفعل الفعل. ولأنّها تقوم في مصدر الفعل الإراديّ، وتحدّده بغايته، فهي عنصرٌ أساسيٌّ في صفة الفعل الأخلاقية، والغاية هي المقصد الأول للنيّة، وهي تعني الهدف الذي يرمي إليه الإنسان في فعله. النيّة نزوع الإرادة إلى الغاية، وهي تطلُّعٌ إلى مقْصد الفعل. إنّها مطمّح الخير المرتقَب من القيام بالفعل. إنّها لا تقف عند حدود توجيه أفعالنا الفرديّة، بل بإمكانها توجيه أفعال متعددة إلى هدفٍ واحد، وبإمكانها توجيه الحياة بكاملّها

نحو الغاية القصوى. وعلى سبيل المثال إنّ الخدمة التي يؤدّيها الإنسانُ غايتُها مساعدة القريب، ولكن من الممكن أن يكون الحافز عليها، في الوقت عينه، محبّة الله، الغاية القصوى من جميع أفعالنا. ويمكن كذلك أن يصدر فعلٌ واحدٌ عن نيّات متعدّدة، من مثل تأدية خدمة للحصول على حظوة أو للتباهي بها.

1753- النيّة الصالحة (كمساعدة القريب، مثلاً) لا تجعل صالحاً أو قويماً سلوكاً هو بحدّ ذاته قبيح (كالكذب والافتراء). إنّ الغاية لا تبرّر الوسيلة. وهكذا لا يمكن تبريرُ الحكم على بريء بكونه وسيلةً شرعيّةً لخلاص الشعب. وفي المقابل، إنّ النيّة السيّئة المضافة (كالمجد الباطل) تجعل سيّئاً العمل الذي بحدّ ذاته صالحاً (كالإحسان).

1754- الظروف، وبضمنها النتائج، هي العناصر الثانوية في الفعل الأخلاقيّ. ولها أثرها في جعل أخلاقيّة الأفعال البشرية تزداد أو تنقص صلاحاً أو سوءاً (مثلاً مبلغ السرقة). وبإمكانها كذلك إنقاصُ مسؤولية الفاعل أو زيادتُها (كمن يأتي فعلاً خوفاً من الموت). ولا تستطيع الظروف بحدّ ذاتها تغيير الصفة الأخلاقية الملازمة للأفعال البشرية نفسها. فلا يمكنها أن تجعل من فعلٍ سيّءٍ بحدّ ذاته فعلاً صالحاً أو قويماً.

2ً. الأفعال الصالحة والأفعال السيّئة

1755- يقتضي الفعل **الصالح أخلاقيّاً** أن يكون موضوعُه وغايتُه وظروفُه كلُّها صالحة. فالغاية السيّئة تُفسد الفعل، إن كان موضوعه صالحاً في ذاته (كما هي الحال عندما يصلّي الإنسان أو يصوم "ليراه الناس").

بإمكان **موضوع الاختيار** أن يُفسدَ وحده كلّ الفعل. فهناك أنماطٌ من السلوك الواقعي –كالزنى- يكون اختياره دائماً خاطئاً، لأنّ اختيارها ينطوي على انحرافٍ في الارادة، أي على شرّ أخلاقي.

1756- فمن الخطأِ إذن الحكم على أخلاقيّة الفعل البشري بالاستناد فقط إلى النيّة التي يصدر عنها أو الظروف التي تحيط به (البيئة، الضغط الاجتماعي، والفعل بتأثير المضايقة أو الاضطرار، إلخ). هناك أفعالٌ هي بذاتها وفي ذاتها مُحرّمة تحريماً ثقيلاً من جرّاء موضوعها، بغضّ النظر عن الظروف والنيّات. تلك هي حال التجديف والحِنْث والقتل والزنى، فلا يجوز فعل الشرّ لكي ينتج منه الخير.

بإيجاز

1757- *الموضوع والنيّة والظروف هي التي تكوّن "مصادر" الأخلاقية الثلاثة في الأفعال البشرية.*

1758- *يُحدّد الموضوعُ المختار من الناحية الأخلاقية نوعَ الفعل الإراديّ بحسب معرفة العقل ورؤيته له صالحاً أو سيّئاً.*

1759- *"لا يمكن تبريرُ فعلٍ سيّئ يصدر عن نيّة صالحة". لأنّ الغاية لا تبرّر الوسيلة.*

1760- *يقتضي الفعل الصالح أخلاقيّاً أن يكون موضوعُه وغايتُه وظروفُه صالحة.*

1761- *هناك أنماطٌ من السلوك الواقعيّ يكون اختيارها دائماً خاطئاً، لأنّ اختيارها ينطوي على انحرافٍ في الإرادة أي على شرّ أخلاقيّ. فلا يجوز فعل الشرّ لكي ينتج منه خير.*

المقال الخامس
أخلاقيّة الأهواء

1762- يتوجّه الشخص البشريّ نحو السعادة بأفعاله الصادرة عن رؤية. وبإمكان ما يشعر به من أهواء أو عواطف أن يهيّئه لذلك ويساعده فيه.

1ً. الأهواء

1763- كلمة "الأهواء" هي من التراث المسيحيّ. والعواطف والأهواء تدلّ على الانفعالات أو حركات الاحساس التي تجعل الانسان يميل إلى الفعل أو يُحجم عنه في سبيل ما يُحسّه أو يتخيّله صالحاً أو سيّئاً.

1674- تؤلّف الأهواءُ العناصر الطبيعية للنفسية الإنسانية، وهي مكان العبور والروابط بين الحياة الحسّية وحياة الروح. ويشير ربّنا إلى أنّ قلب الإنسان هو مصدر حركة الأهواء.

1765- أهواء كثيرة. والأعمق أصلاًُ بينها هو الحبّ الناتج من جاذبية الخير. الحبّ يولّد الرغبة في الخير الغائب، وأمل الحصول عليه. وتكون نهاية تلك الحركة في اللذة والفرح بالحصول على الخير. التخوّف من الشرّ يسبّب البغض والكراهية، وخشية الشرّ الآتي. وتنتهي هذه الحركة في الحزن الناتج من الشرّ الحاضر أو الغضب الذي يقاومه.

1766- "محبّة شخصٍ ما، تعني أنّنا نريد له الخير". وكلّ النوازع الأخرى إنّما مصدرها حركةُ القلب البشريّ الأصليّة هذه نحو الخير. "فالخير وحده يُحّبّ". "الأهواء سيّئة إذا كان الحبّ سيّئاً وهي صالحةٌ إذا كان صالحاً".

2ًّ. الأهواء والحياة الأخلاقية

1767- ليست الأهواء بحدّ ذاتها صالحة أو سيّئة. ولا تكون لها صفةٌ أخلاقيّة إلاّ بمقدار ارتباطها الفعليّ بالعقل والارادة. وتدعى الأهواءُ إراديّةً "إمّا لأنّ الارادة أثارتها، وإمّا لأنّ الارادة لم تُعِقْها". ومن خصائص كمال الخير الخلاقيّ أو الإنسانيّ أن يُنظِّمَ العقل الأهواء.

1768- ليست العواطف الكبرى هي التي تقرّر أخلاقيّة الاشخاص أو قداستهم. إنّها المخزن الذي لا يفرغ للصور والعواطف المعبّرة عن الحياة الأخلاقية. الأهواء صالحةٌ أخلاقيّاً عندما تساعد على عمل صالح، وهي سيّئة في خلاف ذلك. والإرادة المستقيمة توجّه نحو الخير والسعادة الحركات الحسّية وتضطلع بالمسؤولية عنها، أمّا الارادة السيّئة فتسقط في الأهواء المنحرفة وتهيّجها. ويمكن أن تكون الانفعالات والعواطف مؤاتية في **الفضائل**، أو فاسدة في **الرذائل**.

1797- في الحياة المسيحية، يتمّم الروح القدس نفسه عمله، يتجييش الكائن كلّه بما ينطوي عليه من آلام ومخاوف وأحزان، كما بدا ذلك من نزاع الرب وآلامه. ويمكن، في المسيح، أن تبلغ العواطف البشرية كمالها في المحبّة والسعادة الإلهية.

1770- الكمال الأخلاقيّ، يكون بأن يتحرّك الإنسان نحو الخير لا بإرادته فقط وإنّما برغبته الحسيّة أيضاً، بحسب كلمة المزمور "يرنّم قلبي وجسمي للإله الحيّ" (مز84: 3).

بإيجاز

1771- *تدلّ كلمة "الأهواء" على الانفعالات والعواطف. ويستطيع الإنسان من خلالها أن يستشعر الخير ويستشفّ الشرّ.*

1772- *الأهواء الرئيسة هي الحبّ والبغض، والرغبة والخوف، والفرح والحزن والغضب.*

1773- *ليس في الأهواء، بكونها حركات حسّية، خيرٌ أو شرّ أخلاقي. ولكنّها، بارتباطها أو انفصالها عن العقل والارادة، يكون فيها خيرٌ أو شرٌّ أخلاقيّ.*

*.**1774-** يمكن أن تكون الانفعالات والعواطف مؤاتية في الفضائل، أو فاسدة في الرذائل*
***1775-** كمالُ الصلاح الأخلاقيّ أن لا يتحرّك الإنسان نحو الخير بإرادته وحدها ولكن أيضاً "بقلبه".*

المقال السادس
الضمير الأخلاقيّ

1776- "يكتشف الإنسان في ذات ضميره ناموساً لم يصدر عنه، ولكنّه مُلزَمٌ بطاعته، وصوتُه يدعو ابداً ذلك الإنسان إلى حبّ الخير وعمله، وإلى تجنّب الشر، ويدوّي ابداً في آذان قلبه إنّه ناموس حفره الله في قلب الإنسان. والضمير هو المركز الأشدّ عمقاً وسّرية في الإنسان، والهيكل الذي ينفرد فيه إلى الله، ويسمع فيه صوت الله".

1ً. حكم الضمير

1777- ان الضمير الأخلاقي، الموجود في قلب الشخص، يوعز إليه في الوقت المناسب أن يفعل الخير ويتجنّب الشرّ. وهو يحكم أيضاً في شأن الاختيارات الواقعية، فيستحسن الصالح منها وينكر السيء. ويؤكّد سلطان الحقيقة بالرجوع إلى الخير الأعظم الذي إليه ينجذب الشخص البشريّ ومنه يتقبّل الوصايا. وعندما يصغي الإنسان الفطن إلى الضمير الأخلاقيّ، يصبح بإمكانه سماع الله الذي يتكلّم.

1778- الضمير الأخلاقي حُكمٌ صادرٌ عن العقل يعرف به الشخص البشريّ الصفة الأخلاقية للفعل الواقعي الذي سيفعله، أو يفعله الآن، أو قد فعله. وعلى الإنسان، في كلّ ما يقول أو يفعل أن يتبع بأمانةٍ ما يعلم أنّه قويمٌ وحقّ. والإنسان بما يُدرك ويعرف رسوم الشريعة الإلهية بحكم ضميره:

الضمير "شريعةٌ من روحنا ولكنّه يتجاوز روحنا، ويُصدِر إلينا أوامر، ويشعر بالمسؤولية والواجب، والخوف والرجاء إنّه رسول ذلك الذي يُكلّمنا من وراء الستار، في عالم الطبيعة كما في عالم النعمة، ويعلّمنا ويحكمنا. الضمير هو الأول بين جميع نوّاب المسيح".

1779- ينبغي لكلّ واحدٍ أن يكون له من الحضور في ذاته ما يجعله يسمع صوت ضميره ويتبعه. ومطلب **الحضور الداخلي** هذا تشتدّ ضرورته بسبب ما تُعّرِضُنا له الحياة مراراً، من تجنّب التفكير والمحاسبة، أو الرجوع إلى الذات:

"عُد إلى ضميرك وسائله عودوا، أيها الاخوة، إلى الداخل، انظروا في كلّ ما تفعلون، إلى الشاهد، إلى الله".

1780- كرامة الشخص البشريّ تتضمّن وتقضي **استقامة الضمير الأخلاقيّ**. والضمير الأخلاقيّ ينطوي على إدراك المبادئ الأخلاقيّة، وتطبيقها في ظروف معيّنة، بالتمييز العمليّ للأسباب والخيور، وبالنتيجة، على الحكم الصادر على أفعالٍ واقعية فُعلت أو ستُفعل. والحقيقة في شأن الخير الأخلاقيّ، المعلنةُ في شريعة العقل، تُعرَف عمليّاً وواقعياً **بالحكم الفطن** الذي يُصدره الضمير. ويدعى فطناً الإنسان الذي يختار ما يتوافق مع ذلك الحكم.

1781- يُتيح الضمير تحمُّل **مسؤولية** ما يؤتى من الأفعال. فإذا صنع الإنسانُ الشرّ، يستطيع حُكمُ الضمير القويم أن يبقى فيه الشاهد لحقيقة الخير العامّة، وفي الوقت ذاته لخُبث اختياره الفرديّ. وقرار حكم الضمير يبقى عربون رجاءٍ ورحمةٍ. وهو، إذ يؤكّد الذنب الذي ارتُكب، يذكّر

بالغفرانِ الذي يجب أن يُطلب، والخير الذي يجب أن يُمارس أيضاً، والفضيلة التي يجب أن تُتوخّى بلا انقطاع وبنعمة الله:
"نُسكّن قلوبنا أمامه، إذا ما بكَّتنا قلبُنا، بأنّ الله أعظمُ من قلبنا، وعالمٌ بكل شيء" (1يو19:3-20).
1782- إنّ الإنسان له الحقّ في أن يسلك بضميرٍ وحريّة ليتّخذ هو شخصيّاً القرارات الأخلاقية. "ليس من الجائز أن يُكرَه الإنسان على ما لا يُبيحه ضميره. وليس من الجائز أن يُمنع من عمل ما يقتضيه ضميرهُ ولا سيّما في أمور الدّين".

2ً. تنشئة الضمير

1783- لا بدّ من أن يكون الضمير مطّلعاً، والحكمُ الأخلاقيّ مستنيراً. فالضمير الذي أُحسِنت تنشئته يكون قويماً وصادقاً. فيُصدر أحكامه وفاقاً للعقل، ومتوافقةً مع الخير الحقيقيّ الذي أرادته حكمة الخالق. ولا بدّ من تربية الضمير عندما يتعلّق الأمر بكائنات بشريّة خاضعةٍ لمؤثّراتٍ سلبيّة، ومجرّبةٍ بخطيئةِ تفضيل حكمِها الخاص، ورفضِ التعاليم الصحيحة.
1784- تربية الضمير هي عمل الحياة كلّها. فتوقظُ الولد منذ السنوات الأولى، لمعرفة الشريعة الداخلية التي يعترف بها الضمير الأخلاقيّ، ولممارستها، التربية الفَطِنة تُعلّم الفضيلة، وهي تصون وتشفي مما ينجم عن الضعف والذنوب البشرية، من الخوف والأنانيّة والكبرياء، والتضايق الناتج من الذنب، ونزوات الرضى عن الذات. إنّ تربية الضمير تكفل الحرية وتولّد سلام القلب.
1785- في تنشئة الضمير يكون كلام الله النور الذي يضيء طريقنا. ولا بدّ لنا من تقبُّلِه في الإيمان والصلاة، وممارسته عمليّاً. وعلينا أيضاً امتحان ضميرنا بالنسبة إلى صليب الربّ، تؤازرنا مواهبُ الروح القدس، وتُساعدنا شهادةُ الآخرين وإرشاداتهم، ويكون لنا دليلاً تعليمُ الكنيسة الصحيح.

3ً. الاختيار بحسب الضمير

1786- يستطيع الضمير، في مواجهة اختيارٍ أخلاقيّ، أن يُصدر حُكماً يكون إمّا مستقيماً متوافقاً مع العقل والشريعة الإلهية وإمّا، على العكس، حُكماً خاطئاً يبتعد عنهما.
1787- يحدث أحياناً أن يواجه الإنسان حالاتٍ تجعل الحكم الأخلاقيّ أقلَ ثباتاً، والقرارَ صعباً. ولكن عليه دوماً أن يبحث عمّا هو قويمٌ وصالح، وأن يميّز مشيئة الله التي تعبّر عنها الشريعة الإلهيّة.
1788- لذلك يسعى الإنسان إلى تفهّم معطيات الخبرة وعلامات الأزمنة، مستنداً إلى فضيلة الفطنة، وإلى نصائح الأشخاص الفُهماء وإلى مؤازرة الروح القدس ومواهبه.
1789- هناك بعض قواعد يُعمل بها في جميع الحالات:
- لا يُسمح إطلاقاً أن يُصنع الشرّ لينتج منه الخير.
- "القاعدة الذهبيّة": "كلُّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم فافعلوه أنتم أيضاً بهم" (متى12:7).
- المحبّة تكون دائماً في سياق احترام القريب وضميره: "إذا ما خطئتم هكذا إلى الأخوة وجرحتم ضميرهم... فإنّما تخطأون إلى المسيح" (1كو8: 12). "إنّه لحسَنٌ أن لا.... تعمل شيئاً يكون سببَ عِثارٍ أو ضعف لأخيك" (رو14: 21).

4ً. الحكم الخاطئ

1790- إنّ الكائن البشري مُلزمٌ دوماً بالخضوع لحُكم ضميره الأكيد، وإذا خالفه عن رؤيةٍ فهو يحكم على نفسه بنفسه. وقد يحدث أن يكون الضميرُ الأخلاقيّ في حالة جهل، فيُصدر أحكاماً خاطئة على أفعال ستُفعل أو فُعلت.

1791- يمكن أن يُنسب هذا الجهل مراراً إلى المسؤوليّة الشخصيّة. تلك هي الحال "عندما الإنسان قلّما يُعنى بالبحث عن الحقّ والخير، وعندما تكاد الخطيئة تُعمي ضميره شيئاً فشيئاً". .وفي هذه الحالة يكون الشخص مُذنِباً بالشرّ الذي صنعه

1792- جهلُ المسيح وإنجيله، وما يصدر عن الآخرين من أمثلة سيّئة، وعبوديّة الأهواء، وادّعاء استقلالٍ ذاتيّ خاطئٍ للضمير، ورفضُ سلطة الكنيسة وتعليمها، وفقدان التوبة والمحبّة، تلك أمورٌ .يمكن أن تكون مصدر انحرافات الحكم في السلوك الأخلاقيّ

1793- إذا كان الجهل، على العكس، مُطْبِقاً، أو كان الحكم خاطئاً دون أن يتحمّل الإنسان مسؤوليّة أخلاقيّة، لا يمكن أن يُنسب إلى الشخص ما صنع من شرّ. ولكنّ ذلك يبقى شرّاً، وحرماناً، وانحرافاً. فلا بدّ من السعي إلى اصلاح ضلالات الضمير الأخلاقيّ.

1794- الضمير الصالح النّقي ينيره الإيمان الحقيقيّ، لأنّ المحبّة تَصدُرُ في الوقت ذاته "عن قلبٍ .طاهرٍ وضميرٍ صالحٍ وإيمانٍ لا رئاء فيه" (1تي 1: 5)

"بقدر ما يتغلّب الضمير القويم، يبتعد الأفراد كما تبتعد الجماعات عن القرار الأعمى، ويعملون على تطبيق .النُّظُم الآخلاقيّة الموضوعيّة"

بإيجاز

1795- *"الضمير هو المركز الأشدّ عمقاً وسرّية في الإنسان، والهيكل الذي ينفرد فيه إلى الله .ويسمع صوت الله"*

1796- *الضمير الأخلاقيّ هو حكمٌ صادرٌ عن العقل يعرف به الشخصُ البشريّ الصفة الأخلاقيّة للفعل الواقعيّ*

1797- *بالنسبة إلى الإنسان الذي صنع الشرّ، يبقى قرارُ الضمير عربون توبةٍ ورجاء.*

1798- *يكون الضمير الذي أُحسِنت تنشئته قويماً وصادقاً. فيُصدر أحكامَه متطابقة مع العقل ومتوافقةً مع الخير الحقيقيّ الذي أرادته حكمة الله. وعلى كلّ إنسان ان يتّخذ الوسائل لتنشئة .ضميره*

1799- *يستطيع الضمير، في مواجهة اختيارٍ أخلاقيّ، أن يُصدر حُكماً يكون إمّا مستقيماً متوافقاً مع العقل والشريعة الإلهية، وإمّا، على العكس، حُكماً خاطئاً يبتعد عنهما.*

1800- *إنّ الكائن البشري مُلزم بالخضوع لحكم ضميره الأكيد.*

1801- *يمكن أن يبقى الضميرُ الأخلاقيّ في حالة الجهل، أو أن يُصدر أحكاماً خاطئة. وهذان .الجهل والخطأ ليسا دائماً خاليين من المسؤوليّة*

1802- *كلام الله هو نورٌ لخطواتنا. ولا بدّ لنا من تقبّله في الإيمان والصلاة، ومن ممارسته عملياً. وهكذا ينشأ الضمير الأخلاقيّ.*

المقال السابع
الفضائل

1803-: كلُّ ما هو حقٌّ وكرامة، وعدلٌ ونقاوة، ولطفٌ وشرف، وكلُّ ما هو فضيلةٌ وكلُ ما يُمتدح، كلُّ هذا فليكن محطَّ أفكاركم" (في4: 8).
الفضيلة هي استعداد عاديٌّ وثابتٌ لفعل الخير. وهي تُتيح للشخص ليس فقط أن يفعل أفعالاً صالحةً وإنّما أن يعطي أفضل ما فيه. والشخصُ الفاضل يسعى بكلّ قواه الحسّية والروحية إلى الخير، ويمضي وراءه ويختاره في أفعال واقعيّة.
"وهدف الحياة الفاضلة هو في أن نصير مثل الله".

1ً. الفضائل الإنسانيّة

1804- الفضائل الإتسانية هي مواقف راسخة، واستعدادات ثابتة، وكمالاتٌ عاديّة في العقل والإرادة تنسِّق أفعالنا، وتنظّم أهواءنا، وتقود سلوكنا بحسب العقل والإيمان. وهي تمنح السهولة، والتسلّط على الذات، والفرح، لسلوك حياة أخلاقيّة صالحة. الإنسان الفاضل هو الذي يمارس الخير بحريّة.
الفضائل الأدبية يكتسبها الإنسان. إنّها ثمار الأفعال الصالحة أخلاقيّاً وبذرُها، وهي تهيّئ جميع قوى الكائن البشري للمشاركة في الحب الإلهيّ.

تمييز الفضائل الرئيسة

1805- فضائلٌ أربعة لها دور محوريّ، فتُدعى لذلك "رئيسة"، وتتجمّع حولها سائر الفضائل. إنّها الفطنة، والعدل، والقوّة، والقناعة. "إذا كان أحد يحبّ البرّ، فالفضائل هي ثمار أتعابه، لأنّه يُعلّم القناعة والفطنة والعدل والقوّة" (حك8: 7). والكتاب يمتدح هذه الفضائل بألفاظٍ أخرى في مقاطع عديدة.
1806- الفطنة هي الفضيلة التي تهيئ العقل العمليّ لتمييز خيرنا الحقيقيّ في كلّ ظرف، ولاختيار الوسائل القويمة لإتمامه. "ذو الدهاء يفطن لمسيره" (مثل1:15). "الزموا التعقل والقناعة (للقيام) بالصلوات" (بط 4: 7). كتب القديس توما بعد ارسطو أن الفطنة هي "القاعدة القويمة للعمل". وهي تتميّز من التهيّب أو الخوف أو المخادعة أو النفاق. وتدعى حوذيَة الفضائل، لأنّها تقود الفضائل الأخرى مبيّنة لها القاعدة والقياس. الفطنة هي الدليلُ المباشر لحُكم الضمير. والإنسان الفَطِن وينظّم سلوكه بحسب ذالك الحُكْم. وبالإعتماد على هذه الفضيلة نطبّق تطبيقاً صحيحاً المبادئ الأخلاقية على الحالات الخاصة، ونتغلّب على الحيرة في شأن الخير الذي يجب فعله والشرّ الذي يجب تجنّبه.
1807- العدل هو الفضيلة الأخلاقية، التي قوامُها إرادةٌ ثابتةٌ وراسخة، لإعطاء الله والقريب ما يحقّ لهما. والعدل تجاه الله يدعى "فضيلة العبادة". وهو تجاه البشر، يهيئ لاحترام حقوق كلّ واحد، وجعل العلائق البشرية في انسجام يعزّز الانصاف بالنسبة إلى الاشخاص والخير العام. الإنسان البارّ، الوارد ذكره مراراً في الكتب المقدّسة، يتميّز باستقامةٍ طبيعيّة في الأفكار، وسلوكٍ قويم تجاه القريب. "لا تحابوا صغيراً ولا تجلّوا عظيماً بل بالعدل تحكم لقريبك" (أح19: 15. "أيها السادة، أدّوا إلى عبيدكم ما هو عدلٌ وإنصاف، عالمين أنَ لكم، أنتم أيضاً، سيّداً في السماء" (كو 4: 1).
1808- القوّة هي الفضيلة الأخلاقية التي تؤمّن، في المصاعب، الثبات والصمود، في السعي إلى الخير. إنّها تُثبت العزم على مقاومة التجارب، والسيطرة على العقبات في الحياة الأخلاقية. فضيلة القوة تمكّن من التغلّب على الخوف، حتى الخوف من الموت، ومواجهة المِحَن والاضطهادات. إنّها تهيّئ للمضيّ حتى نكران الذات والتضحية بالحياة للدفاع عن قضيّة عادلة.

"الرب قوّتي وتسبيحي" (مز 118: 14). "في العالم ستكونون في شدّة، ولكن، لِتطبْ نفوسُكم، إنّي قد غلبت العالم" (يو16: 33).

1809- القناعة هي الفضيلة الأخلاقية التي تكبح جِماح شهوة الملذّات وتمنح الاتّزان في استعمال الخيرات المخلوقة. وهي تؤمّن سيطرة الإرادة على الغرائز، وتحفظ الرغائب في حدود الاستقامة. ان الرجل القنوع يوجّه نحو الخير شهواته الحسّية، ويحافظ على اعتدالٍ مقدّس، و"لا يتتبّع هواه ليسير في شهوات قلبه". القناعة يمتدحها مراراً العهد القديم: "لا تكن دائماً تابعاً لشهواتك بل عاصِ أهوائك" (سي 18:3). وهي تدعى في العهد اجديد "تعقّلاً" أو "صَحواً". يجب أن "نحيا في الدهر الحاضر على مقتضى التعقّل والعدل والتقوى".(تي 2: 12).

"الحياة الصالحة ليست سوى محبّة الله بكلّ القلب وبكلّ النفس وكلّ الفعل. ونحتفظ له بمحبّةٍ كاملة (بالقناعة) لا يزعزعها سوء (وهذا ما يتعلّق بالقوة) ولا تخضع إلاّ له (وهذا هو العدل) وتسهر للتمييز بين كلّ الأشياء حتى لا يفاجئها مكرٌ أو كذب (وهذه هي الفطنة).

الفضائل والنعمة

1810- إنّ الفضائل البشريّة المكتسبة بالتربية، وبالأفعال الصادرة عن رويّة، وبالثبات المتجدّد دائماً، على الجهد، تنقّيها نعمةُ الله وتسمو بها. وهي بعون الله تشدّد الخُلق، وتُسهّل ممارسة الخير. والإنسان الفاضل يكون سعيداً بممارستها.

1811- ليس من السهل على الإنسان الذي جَرحتْه الخطيئة أن يحتفظ بالاتّزان الأخلاقي. وعطيّة الخلاص بالمسيح تمنحنا النعمة الضرورية للثّبات في السعي إلى الفضائل. على كلّ واحدٍ أن يلتمس دائماً نعمة النور والقوة هذه، وأن يلجأ إلى الأسرار، ويتعاون مع الروح القدس، وأن يلبّي دعواته إلى حبّ الخير والاحتراز من الشرّ.

2ً. الفضائل الإلهية

1812- تتأصّل الفضائل الإنسانية في الفضائل الإلهية، التي تجعل القوى الإنسانية ملائمةً للمشاركة في الطبيعة الإلهية. لأنّ الفضائل الإلهية تستند مباشرة إلى الله. وهي تهيّئ المسيحيين لأن يحيوا في علاقة مع الثالوث الأقدس. فمصدرها وعلّتها وموضوعها الله الواحد والثالوث.

1813- الفضائل الإلهية هي في أساس الفعل الأخلاقي المسيحي، وهي تُنعشه وتميّزه. وهي التي تعطي الفضائل الأخلاقية صورتَها وتحييها. ينفح الله بها نفس المؤمنين ليجعلهم قادرين أن يسلكوا كأبنائه، وأن يستأهلوا الحياة الأبدية. إنّها عربونُ حضورِ الروح وفعلهِ في قُوى الكائن البشري. والفضائل الإلهية ثلاث: الإيمان والرجاء والمحبّة.

الإيمان

1814- الإيمان هو الفضيلة الإلهية التي بها نعتقد وجود الله، وكلّ ما كلّمنا به وأوحى، وتعرضُه الكنيسة المقدّسة علينا لنعتقده، لأنّ الله هو الحقّ ذاته. بالإيمان "يسلّم الإنسان أمره كلَّه لله". لذلك يسعى المؤمن إلى معرفة إرادة الله وإلى فعلها. "البارّ بالإيمان يحيا" (رو1: 17). والإيمان الحيّ "يعمل بالمحبّة" (غل 5: 6).

1815- عطيّة الإيمان تبقى في من لم يخطئ إليها. ولكن "بدون الأعمال يكون الإيمان ميّتاً" (يع2: 26). وإذا فقد الإيمان الرجاء والمحبّة فهو لا يجعل المؤمن متّحداً اتّحاداً كاملاً بالمسيح، ولا يجعله عضواً حيّاً في جسده.

1816- تلميذ المسيح مُلزمٌ لا بأن يحافظ على الإيمان ويحيا به فقط، وإنما أيضاً بأن يعترف به، ويشهد له باطمئنان، وينشره: "على الجميع لأن يكونوا مستعدّين للاعتراف بالمسيح أمام الناس، وأن يتبعوه على درب الصليب، وسط اضطهادات التي لا تفارق الكنسية ابداً". خدمة الإيمان والشهادة له لابدّ منها للخلاص: "كلّ من يعترف بي قدّام الناس، أعترف أنا أيضاً به قدّام أبي الذي في السماوات. وأمّا من ينكرني قدّام الناس، فإنّي أنكره، أنا أيضاً، قدّام أبي الذي في السماوات" (متى10: 32-33).

الرجاء

1817- الرجاء هو الفضيلة الإلهية التي بها نرغب في ملكوت السماوات، والحياة الأبدية، رغبتَنا في سعادتنا، واضعين ثقتنا بمواعيد المسيح، ومستندين لا إلى قوانا بل إلى عون نعمة الروح القدس. "ولنتمسّك باعتراف الرجاء على غير انحراف، لأنّ الذي وعد أمين" (عب 10: 23). هذا الروح "أفاضه علينا بوفرة، يسوع المسيح مخلّصنا، حتى إذا تبرَّرنا بنعمة المسيح نصير ورثة على حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي 3: 6-7).

1818- إن فضيلة الرجاء تلبّي التوق إلى السعادة الذي وضعه الله في قلب كلّ إنسان، وتضطلع بالآمال التي تبعث الناس على العمل، وتنقّيها لتوجّهها نحو ملكوت السماوات. إنّها تصون من تخاذل العزم، وتساند حين التخلّي، وتطيّب النفسَ في ترقّب السعادة الأبدية. إنّ حافز الرجاء يمنع الأنانية، ويقود إلى سعادة المحبّة.

1819- الرجاء المسيحي يُعيد ويكمّل رجاء الشعب المختار الذي أصله ومثاله **رجاءُ إبراهيم،** وقد أوفتْ به في اسحق مواعيد الله وطهّرته محنةُ المحرقة. "لقد آمن على خلاف كلّ رجاء فصار أباً لأُمم كثيرة" (رو 4: 18).

1820- ينبسط الرجاء المسيحي منذ بدء كرازة يسوع في إعلان التطويبات. **فالتطويبات** تسمو برجائنا إلى السماء كما إلى أرض الميعاد الجديدة، وترسم طريقها عبْر ما ينتظر تلاميذَ يسوع من محن. ولكنّ الله يحفظنا، باستحقاقات يسوع المسيح وآلامه في "الرجاء الذي لا يخذُل" (رو 5: 5). إنّ الرجاء هو "مرساة النفس" الأمينة والراسخة "التي تنفذ إلى حيث دخل يسوع لأجلنا كسابق" (عب 6: 19-20). وهو ايضاً سلاحٌ يحرسنا في معركة الخلاص: "فلْنلْبس الإيمان والمحبّة درعاً، ورجاء الخلاص خوذة" (1تس 5: 8). وهو يعطينا الفرح في المحنة نفسها: "وليكن فيكم فرحُ الرجاء، كونوا صابرين في الضيق" (رو12:12). وهو يُعبّر عنه ويُغذّى في الصلاة، وخصوصاً صلاة "الأبانا"، موجزُ كلّ ما يحملنا الرجاء على أن نرغب فيه.

1821- نستطيع إذن أن نرجو مجد السماء، الذي وعد به الله محبّيه والعاملين مشيئته. ويجب على كل واحدٍ في كلّ ظرف، أن يرجو، بنعمة الله، "الثبات إلى المنتهى"، والحصول على فرح السماء، كمكافأةٍ من الله ابديّة، على الأعمال الصالحة المعمولة بنعمة المسيح، والكنيسة، في الرجاء، تصلّي لكي "يخلُص جميع الناس" (1 تي 2: 4), وهي تتوق إلى أن تكون، في مجد السماء، متّحدة بالمسيح عريسها:

"تَرَجَّيْ، يا نفسي، تَرَجَّي. تجهلين اليوم والساعة. إسهري بدقّة، فكلّ شيء يمرّ بسرعة، على كون نفاد صبرك يجعل الأكيد موضوع ارتياب، والقصيرَ جدّاً من الوقت طويلاً. فَكّري أنّك كلّما ازددتِ انخراطاً في المعركة يَقوى برهانُك على ما لإلهك عندك من حبّ، وتزداد مسرّتكِ ذات يومٍ مع حبيبِكِ، في سعادة ونشوةٍ ليس لهما من نهاية."

المحبّة

1822- المحبّة هي الفضيلة الإلهية بها نودّ الله فوق كلّ شيء لأجل ذاته، ونودّ القريبَ كنفسنا لأجل الله.

1823- جعل يسوع من المحبّة **وصيّة جديدة**. ولقد أظهر محبة الآب التي يتقبّلها، بمحبته الخاصة "حتى النهاية" (يو 13: 1). والتلاميذ يقتدون بمحبّة يسوع التي يتقبّلونها هم أيضاً في ذواتهم بمحبّتهم بعضهم لبعض. لذلك قال يسوع: "كما أحبّني الآب أنا أيضاً أحببتكم، فاثبتوا في محبتي" (يو 15:9). وأيضاً: "هذه وصيّتي: أن يحبّ بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا" (يو 15:12).

1824- إنّ المحبّة هي ثمرةُ الروح وكمالُ الناموس تحفظ **وصايا** الله ومسيحه: "اثبتوا في محبّتي. إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبّتي" (يو 15:-10).

1825- لقد مات المسيح محبّةً لنا عندما كُنّا "أعداء" (رؤ5: 10). والربُّ يطلب منّا أن نحبَّ مثله حتى **أعداءَنا**. وأن نكون القريب للأبعّد، وأن نحبَّ الأولاد والفقراء مثله.

لقد رسم القديس بولس لوحةً فريدة للمحبّة: "المحبّة تتأنّى وترفق، المحبّة لا تحسد، المحبّة لا تتباهى، ولا اتنتفخ. لا تأتي قباحة، ولا تطلب ما هو لنفسها. لا تحتدّ ولا تظنّ السوء. لا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق. تتغاضى عن كل شيء، وتصدّق كلّ شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء" (1كو 13: 4-7).

1826- ويقول الرسول أيضاً: "بدون محبّة لستُ بشيء..." وكل امتياز وخدمة حتى الفضيلة..." بدون محبّة لا تنفعني بشيء". المحبّة تسمو على الفضائل كلّها، هي الفضيلة الإلهية الأولى: "الآن يثبت الإيمان والرجاء والمحبّة، هذه الثلاثة. **لكنَّ أعظمهنَّ هي المحبّة"** (1كو 13: 13).

1827- المحبّة هي التي تُحيي وتُلهم ممارسة جميع الفضائل. إنّها "رباط الكمال" (كو3: 14)، هي **صورة الفضائل**، تربطها وتُنسّق بعضها مع بعض. إنّها مصدر ممارستها المسيحية ومنتهاها. المحبّة تثبت وتنقّي قوة حبّنا الإنسانية، وتسمو بها إلى كمال محبّة الله الفائقة الطبيعة.

1828- ممارسة الحياة الأخلاقية التي تُنعشها المحبّة تعطي المسيحيّ حريّة أبناء الله الروحية. فلا يقف أمام الله كعبد، يخاف خوف العبد، ولا كمرتزقٍ يسعى إلى اجر، ولكن كإبن يبادل بحبِّه حبّ "من أحبّنا أوّلاً" (1يو 4:19).

"إننا إمّا نحيد عن الشرّ خوفاً من العقاب فنكون مثل العبيد، وإمّا نجري وراء إغراءِ المكافأة فنكون مثل المرتزقة. وإمّا أخيراً نخضع لأجل الخير ذاته ومحبّةً لصاحب الأمر... فنكون عندئذ مثل الأبناء".

1829- ثمرُ المحبّة الفرح والسلام والرحمة، وهي تقتضي الاحسانَ وإصلاحَ القريب، إنّها تُريد الخير، وتحمل على المعاملة بالمثل، نزيهة سمحاء، هي صداقة ومشاركة:

"منتهى جميع أعمالنا هو المحبّة. هنا الخاتمة، فإذا كنا نعدو فللحصول عليها، إننا نعدو إليها، وعندما نصل، فيها نجد راحتنا".

3ً. مواهب الروح القدس وثماره

1830- مواهب الروح القدس هي التي تساند حياة المسيحيين الأخلاقيّة. وهذه المواهب هي استعدادات دائمة تجعل الإنسان يتبع حوافز الروح القدس بطواعية.

1831- مواهب الروح القدس السبع هي الحكمة، والفهم، والمشورة، والقوّة، والعلم، والتقوى، ومخافة الله. إنّها بكمالها تخصّ المسيح ابن داود. وهي تُتمّم فضائل من يتقبّلوها وتقودها إلى الكمال، وتجعل المؤمنين يخضعون بطواعيّةٍ وسرعةٍ للإلهامات الإلهية.

"ليهدني روحك الصالح في أرضٍ مستقيمة" (مز 143:10).

"إنّ جميع الذين يقتادهم روح الله هم أبناء الله... أبناءٌ فإذن ورثةٌ أيضاً، ورثةُ الله، ووارثون مع المسيح" (رو 8: 14، 17).

1832- ثمار الروح هي كمالات يُنشئها فينا الروح القدس كبواكير المجد الأبدي. والتقليد الكنسي يعدد منها أثني عشرة: "المحبة والفرح والسلام، والصبر وطول الاناة واللطف والصلاح، والمسامحة والأمانة والوداعة والعفاف، والطهارة" (غل5: 22-23).

بإيجاز

1833- *الفضيلة هي استعدادٌ عاديٌّ وراسخٌ لعمل الخير.*

1834- *الفضائل البشرية هي استعدادات ثابتة في العقل والإرادة، تُنسّق أفعالنا وتنظّم أهواءنا وتقود سلوكنا بحسب العقل والإيمان. ويمكن جمعها حول أربع فضائل رئيسة: الفطنة، والعدل، والقوة والقناعة.*

1835- *الفطنة تهيّء العقل لتمييز خيرنا الحقيقي في كل ظرف، ولاختيار الوسائل القويمة لإتمامه.*

1836- *العدل قوامه إرادةٌ ثابتةٌ وراسخةٌ لإعطاء الله والقريب ما يحقّ لهما.*

1837- *القوة تؤمّن في المصاعب الثبات والصمود في السعي إلى الخير.*

1838- القناعة تكبح جِماح شهوة الملذّات الحسّية وتمنح الاتّزان في استعمال الخيور المخلوقة.

1839- *الفضائل الأدبية تنمو بالتربية، وبالأفعال الصادرة عن رؤية، وبالثبات على الجهد. والنعمة الإلهية تنقّيها وتسمو بها.*

1840- *الفضائل الإلهية تهيّء المسيحين لأن يحيوا في علاقةٍ مع الثالوث الأقدس. مصدرها وعلّتها وموضوعها الله معروفاً بالإيمان ومرجوّاً ومحبوباً لذاته.*

1841- *الفضائل الإلهية ثلاث، هي: الإيمان والرجاء والمحبّة. وهي تعطي جميع الفضائل الأخلاقية صورتَها وتُحييها.*

1842- *بالإيمان نعتقد وجود الله، وكل ما أوحى به إلينا، وتعرضه الكنيسة عليها لنعتقده.*

1843- *بالرجاء نبتغي من الله وننتظر بثقةٍ راسخةٍ الحياة الأبدية والنّعم لاستحقاقها.*

1844- *بالمحبّة نودّ الله فوق كل شيء، والقريب كنفسنا لأجل الله. وإنها "رباط الكمال" (كو3: 14) وصورة الفضائل كلّها.*

1845- *مواهب الروح القدس السبع المعطاة للمسيحيين هي الحكمة والفهم والمشورة والقوة والعلم والتقوى ومخافة الله.*

المقال الثامن
الخطيئة

1ً. الرحمة والخطيئة

1846- الإنجيل هو الكشف، بيسوع المسيح، عن رحمة الله للخطأة. وقد أعلن ذلك الملاك ليوسف: "تسمّيه يسوع، لأنّه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم" (متى 1: 21). وكذلك بالنسبة إلى الافخارستيا سرّ الفداء: "هذا هو دمي، دم العهد الجديد الذي يُهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى 26:28).

1847- "لقد خلقنا الله بدوننا، ولا يريد أن يُخلّصنا بدوننا". وَتَقَبُّل رحمته يقتضينا الاقرار بذنوبنا. "إن نحن قلنا: إنّا بغير خطيئة، فإنّما نُظلُّ أنفسنا، وليس الحقّ فينا. وإن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادل: فإنّه يغفر خطايانا، ويطهّرنا من كل إثم" (1يو 1: 8-9).

1848- كما يقول القديس بولس: "حيث كثرت الخطيئة طفحت النعمة" (رو 5: 20). ولكن على النعمة، لكي تقوم بعملها، أن تكشف الخطيئة لتردّ قلبنا وتمنحنا "البرّ للحياة الأبدية، بيسوع المسيح ربّنا" (رو5: 21). ومثل الطبيب الذي يَسبُرُ الجرحَ قبل أن يلأمه هكذا يُلقي الربّ بكلمته وروحه ضوءاً شديداً على الخطيئة.

"التوبة **تقتضي وضع الخطيئة في النور**، وتحوي في ذاتها حُكم الضمير الداخلي. ويمكن أن نرى فيها الدليل على فعل روح الحقّ في أقصى أعماق الانسان، ويصير ذلك في الوقت عينه بدءَ عطيةٍ جديدةٍ من النعمة والمحبّة: "خذوا الروح القدس". وهكذا نكتشف، في وضع "الخطيئة في النور" هذا، **عطية مضاعفة**: عطية حقيقة الضمير، وعطية صحة الفداء. روحُ الحق هو المعزّي".

2ً. تحديد الخطيئة

1849- الخطيئة إساءة إلى العقل والحقيقة والضمير المستقيم. وهي إجحافٌ بالمحبّة الحقيقية لله والقريب، بسبب تعلّق أثيم ببعض الخيور. إنّها تجرح طبيعة الانسان وتؤذي التضامن البشري. وقد حُدِّدت بأنّها "كلمة أو فعل أو شهوة تخالف الشريعة الأزليّة".

1850- الخطيئة إهانةٌ لله: "إليك وحدك خطئت والشرّ أمامك صنعت" (مز 51: 6). وهي تقف في وجه محبّة الله لنا، وتُبعد عنها قلوبنا. وهي كالخطيئة الأولى معصيةٌ وثورةٌ على الله، بإرادة أن نصير "كآلهة" (تك3:5) نعرفُ ونحدّدُ الخير والشرّ. وهكذا فهي "محبّة الذات حتى احتقار الله". وبتعظيم الذات المتعجرف هذا تكون الخطيئة مخالفةً تماماً خضوع يسوع الذي حقق الخلاص.

1851- ففي الآلام تحديداً، حيث تتغلّب رحمةُ الله على الخطيئة، تُظهر هذه على أفضل وجه عنفَها وكثرتها: من عدم إيمان، وحقدٍ قاتل، ورفض، واستهزاءاتٍ من قبل رؤساء الشعب، وجبانة بيلاطس، وقساوة الجنود، وخيانة يهوذا الشديدة الوطأة على يسوع، وإنكار بطرس، وتخلّي الرسل. ولكنّ تضحية يسوع قد صارت، على وجهٍ خفيّ، في ساعة الظلمة ورئيس هذا العالم نفسها، ينبوعاً دائماً يتفجّر منه غفرانُ خطايانا.

3ً. أنواع الخطايا

1852- تنوّعُ الخطايا كبير. والكتاب المقدّس يذكر منها سلاسل متعدّدة. فالرسالة إلى الغلاطيين تقابل أعمال الجسد بثمار الروح: "أعمال الجسد بيّنة: الفجور والنجاسة والعَهَر، وعبادة الأوثان والسّحر، والعداوات والخصومات والأطماع، والمغاضبات والمنازعات والمشاقّات والبدع، والمحاسدات والسّكر والقصوف، وما أشبه ذالك. وعنها أقول لكم، كما قلت سابقاً، إن الذين يفعلون أمثال هذه لا يرثون ملكوت الله" (غل5: 19-21).

1853- يمكن تمييز الخطايا بالنسبة إلى موضوعها، كما هي الحال في شأن كلّ فعل بشريّ، أو بالنسبة إلى الفضائل التي تُخالفها زيادةً أو نقصاناً، أو بالنسبة إلى الوصايا التي تتعدّاها. ويمكن تنسيقُها أيضا بحسب ما لها من علاقة بالله أو القريب أو بالذات. ويمكن تقسيمُها إلى خطايا روحيّة وخطايا جسديّة، أو خطايا بالفكر أو القول أو الاهمال. أصل الخطيئة هو في قلب الانسان، في إرادته الحرّة، بحسب تعليم الربّ: "فمن القلب تخرج الأفكار الشريرة، والقتل، والزنى، والفسق، والسرقة، وشهادة الزور، والتجديف. وذلك هو ما ينجّس الإنسان" (متى 15: 19-20). وفي القلب أيضاً تُقيم المحبّة، مبدأ الأفعال الصالحة والنقية، التي تجرحها الخطيئة.

4ُ. جسامة الخطيئة: الخطيئة المميتة والعرضيّة

1854- ينبغي تقديرُ الخطيئة بحسب جسامتها. والتمييز بين الخطيئة المميتة والخطيئة العرضية الذي يُلْمَحُ في الكتاب المقدس قد استتبَّ في التقليد الكنسي. وخبرة الناس تدعمه.

1855- الخطيئة المميتة تقضي على المحبّة في قلب الإنسان بتعدٍّ كبير لشريعة الله. وتَصرِفُ الإنسان عن الله الذي هو غايته القصوى وسعادتُه بتفضيل خيرٍ أدنى عليه.

الخطيئة العرضيّة تُبقي المحبّة، وإن أساءت إليها وجرحتها.

1856- الخطيئة المميتة تهاجم فينا المبدأ الحيويّ الذي هو المحبّة، فتقتضي مبادرةً جديدةً من رحمة الله، وتوبةَ قلبٍ تَنِمُّ بوجهٍ اعتياديّ في إطار سرّ المصالحة.

"عندما تعْمَدُ الإدارة إلى شيء بحدّ ذاته مناف للمحبّة التي توجّهنا نحو الغاية القصوى، تكون الخطيئة بموضوعها ذاتِه مميتة سواء كان مخالفاً لمحبّة الله، كالتجديف والحنثْ...أو لمحبّة القريب كالقتل والزنى... وبالمقابل عندما تَعْمَد إرادة الخاطئ أحياناً إلى شيء فيه انحراف ولكنّه ليس مضاداً لمحبة الله ومحبة القريب، كَلغْوِ الكلام وفضول الضحك.... مثل هذه الخطايا هي عرضيّة".

1857- حتى تكون **الخطيئةُ مميتةً** لا بدّ من ثلاثة شروطٍ متلازمة: "تكون خطيئةٌ مميتةً كلُّ خطيئة مادّتها ثقيلةٌ، ويرتكبها الإنسان بكامل وعيه، وبقصدٍ صادرٍ عن رؤية".

1858- المادة الثقيلة توضحها الوصايا العشر، بحسب جواب يسوع للشاب الغني: "لا تقتل، لا تزنِ، لا تشهد بالزور، لا تتعدَّ على أحد، أكرم أباك وأمّك" (مر 10: 19). والخطيئة متفاوتةٌ في جسامتها: فالقتل أعظم من السرقة. وصفة الأشخاص الذين لحق بهم الأذى تُحسبُ أيضاً: فممارسة العنف على الأقرباء هي بحدّ ذاتها جسيمةٌ أكثر منها على الغرباء.

1859- تقتضي الخطيئة المميتة **معرفةً كاملةً ورضىً تامّاً.** وتفترض معرفةً سابقةً أنَّ في الفعل خطيئة، وأنّه مخالفٌ لشريعة الله. وتتضمّن أيضاً رضىً فيه من الرّؤية ما يكفي ليكون اختياراً شخصيّاً. والجهل المتصنّع وتصلّب القلب لا يُنقصان بل يزيدان السِّمة الإرادية في الخطيئة.

1860- يمكن **الجهل الذي لا يتأتّى عن الإرادة** أن يُنقص المسؤوليّة عن إثمٍ جسيم، إن لم يعذِر عليها. ولكن لا يُفترض أن يكون أحدٌ جاهلاً مبادئَ الشريعة الأخلاقية المكتوبة في ضمير كل إنسان. كذلك يمكن نزوات الحسّ والأهواء أن تُنقص ما في الإثم من سمةٍإراديةٍ وحرّة، وكذلك الضغوط الخارجيّة والاضطرابات المرّضيّة. والخطيئة عن خبث، باختيار مُتَروٍّ للشرّ، هي الأعظم.

1861- الخطيئة المميتة هي إمكانيّةٌ أصليةٌ للحريّة الإنسانيّة كما المحبّة نفسها. وهي تؤدّي إلى خسارة المحبة والحرمان من النعمة المقدسة، أي من حال النعمة. وإذا لم تُفدَ بالندامة وغفران الله فهي تسبِّب الاقصاءَ من ملكوت المسيح، والموت الأبديّ في جهنّم، بما أنّ حريتنا تستطيع القيام باختيارات أبديّة لا رجوع عنها. ولكن إذا كان باستطاعتنا أن نحكم بأنّ فعلاً ما هو بذاته إثمٌ كبير، علينا، في الحكم على الأشخاص، أن نترك ذلك لعدالة الله ورحمته.

1862- يخطأ الإنسان **خطيئة عرضيّة** عندما لا يُحافظ في مادّةٍ خفيفةٍ على القدر الذي تفرضه الشريعة الأخلاقية، أو عندما يخالف الشريعة الأخلاقيّة في مادّة ثقيلة ولكن بدون معرفةٍ كاملةٍ أو رضىً تامّ.

1863- الخطيئة العرضية تُضعف المحبّة، إنّها تعني تعلّقاً منحرفاً بالخيرات المخلوقة، وتمنع تقدّم النفس في ممارسة الفضائل والصلاح الأخلاقي، فتستأهل عقوبات زمنية. والخطيئة العرضية المتأتيّة عن تَروٍّ ولم تَحْظَ بالندامة تُهيّئنا رويداً رويدا لارتكاب الخطيئة المميتة. ولكنّ

الخطيئة العرضية لا تقطع العهد مع الله. وهي قابلة للأصلاح بنعمة الله. "إنّها لا تحرم من النعمة المقدِّسة أوالمُؤلِّهة، ومن المحبّة الإلهية، وبالتالي من السعادة الأبديّة".

"لا يستطيع الإنسان، ما دام في الجسد، أن يتجنّب كلّ خطيئة، وعلى الأقلّ الخطايا الخفيفة، ولكن هذه الخطايا التي ندعوها خفيفة، لا تَخسَبْها بلا أهمية" فإن كنت تحسبُها بلا أهمية عندما تَزِنها، فارتعد عندما تعدّها. مجموعةٌ من الأشياء الصغيرة تصنعُ كتلةً كبيرة، مجموعة من القطرات تملأ نَهراً. مجموعة من الحبّات تعمل كومة. فما هو عندئذ رجاؤنا؟ إنّه قبل كلّ شيء الاعتراف".

1864- "كلّ خطيئة وتجديف يُغفر للناس، أما التجديف على الروح القدس فلن يُغفر" (متى12:31). لإنّ رحمة الله لا حدّ لها، ولكن من يرفض عن رؤية تقبُّل رحمةِ الله بالندامة يأبى غفران خطاياه والخلاصَ الذي يُقدّمه الروح القدس. ويمكن أن يقود مثلُ هذا التصلّب إلى إنتفاء التوبة الأخيرة وإلى الخسارة الأبدية.

5ً. تكاثر الخطايا

1865- الخطيئة تستجرُّ إلى الخطيئة، وتُولّد الرذيلة بتكرار الأفعال ذاتها. فينتج من ذلك أميالٌ أثيمة تُظلم الضمير، وتُفسد التقويم العمليّ للخير والشرّ. وهكذا تسعى الخطيئة إلى التكاثر والاستقواء، ولكنّها لا تستطيع استئصال الحسّ الأخلاقي من جذوره.

1866- يمكن تقسيم الرذائل بحسب الفضائل التي تُضادُّها، أو ربطُها **بالخطايا الرئيسة** التي ميّزتها الخبرة المسيحية في أثر القديس يوحنا كاسيان والقديس غريغوريوس الكبير. وتُدعى رئيسة لأنّها تُولّد خطايا أخرى ورذائل أخرى. وهي الكبرياء، والبخل، والحسد، والغضب، والنجاسة، والشراهة، والكسل (أو الاسيديا).

1867- يذكرُ التعليم الديني التقليديّ أيضاً أن هناك **"خطايا تصرخ إلى السماء".** فيصرخ إلى السماء: دم هابيل، وخطيئة السّدوميين، وهتاف الشعب المظلوم في مصر، وشكوى الغريب والأرملة واليتيم، وظلم الأُجراء.

1868- الخطيئة فعلٌ شخصيّ. وعلاوةً على ذلك نتحمّل مسؤولية عن خطايا الآخرين عندما **نشارك فيها:**

- بالمشاركة المباشرة والطوعيّة،
- بالأمر أو المشورة بها، أو الثّناء أو الموافقة عليها،
- بعدم الكشف عنها أو منع حدوثها، عندما يكون ذلك لزاماً علينا،
- بحماية من يصنعون الشرّ.

1869- هكذا تجعلُ الخطيئة الناس متواطئين بعضهم مع بعض، وتُسلِّطُ بينهم الشهوة والعنف والظلم، وتُحدثُ الخطايا أوضاعاً اجتماعية ومؤسّسات مخالفةٍ للجودة الإلهية.

"وهيكليات الخطيئة" هي التعبير عن الخطايا الشخصيّة ونتيجتها. إنّها تحمل ضحاياها على أن يصنعوا هم أيضاً الشرّ. وهي، على سبيل التشبيه، تُكوِّن "خطيئة اجتماعية".

بإيجاز

1870- *إنّ الله قد أغلق على الجميع في المعصية لكي يرحم الجميع، (رو11: 32)*

1871- *الخطيئة هي "كلمة أو فعلٌ أو شهوةٌ تخالف الشريعة الأزلية". إنّها إهانةٌ لله، وهي تقف في وجهه في عصيانٍ يخالف خضوع المسيح.*

1872- *الخطيئة فعل يخالف العقل، ويجرح الطبيعة البشريّة، ويسيء إلى التضامن البشريّ.*

1873- *أصل كل الخطايا هي في قلب الإنسان. وتُقاس أنواعُها وجسامتُها خصوصاً بالنسبة إلى موضوعها.*
1874- *الاختيار الصادر عن رؤية، أي عن معرفةٍ وإرادة، لشيءٍ يخالفُ مخالفةً كبيرةً شريعة الله والغاية القصوى للإنسان، هو خطيئة مميتة. وهذه تقضي فينا على المحبّة التي بدونها تكون السعادة الأبدية مستحيلة. وهي، بدون الندامة، تسبّب الموت الأبدي.*
1875- *الخطيئة العرضيّة هي انحرفٌ أخلاقيّ يمكن أن تُصلِحه المحبّة التي تُبقيها فينا تلك الخطيئة.*
1876- *تكرار الخطايا، حتى العرضيّة، يولّد الرذائل التي نميّز بينها الخطايا الرئيسة.*

الفصل الثاني
الجماعة البشرية

1877- إنّ دعوة البشرية هي في إظهار صورة الله والتحوّل للتصوّر بصورة الابن والوحيد للآب. وهذه الدعوة لها طابعٌ شخصيّ، لأنّ كلّ واحد مدعوٌّ إلى الدخول في السعادة الأبدية. وهي أيضاً ذات علاقة بالجماعة البشرية بأكملها.

المقال الأول
الشخص والمجتمع

1ً. السمة الجماعية للدعوة البشرية
1878- الناس بأجمعهم مدعوّون إلى غايةٍ واحدة هي الله نفسه. وهناك بعض الشّبه بين وحدة الأقانيم الإلهيّة والأخوّة التي يجب على الناس أن يُقيموها في ما بينهم، في الحقيقة والمحبّة. فمحبّة القريب لا تنفصل عن محبّة الله.
1879- يحتاج الشخص البشريّ إلى الحياة الاجتماعية. وهي بالنسبة إليه ليست شيئاً مضافاً، وإنّما من مقتضيات طبيعته. فالإنسان بالتواصل مع إخوته، وتبادل الخدمات والحوار، يُنمّي قواه ويلبّي هكذا دعوتَه.
1880- المجتمع هو فريقٌ من الأشخاص المرتطين عضويّاً بمبدإٍ يوحّدهم ويتجاوز كلاًّ منهم. هذه الجماعة المنظورة والروحيّة في آنٍ واحد، تدوم في الزمن، فتتقبّل الماضي وتهيّئ المستقبل. وبها يصير كلّ إنسان "وريثاً"، ويتقبّل "وزناتٍ" تُغني هويّته، ويكون مُلزماً بتنمية ثمارها. وعلى كلّ واحد بحقّ أن يبذل الذات في سبيل الجماعات التي هو عضوٌ فيها، وأن يحترم السلطات المسؤولة عن الخير العام.
1881- يحدِّد كلّ جماعةٍ هدفها، فتخضع بالتالي لقواعدَ خاصة. ولكنّ **"الشخص البشري** هو، ويجب أن يكون، مبدأ جميع المؤسّسات الاجتماعية، ومردَّها وغايتَها؟".
1882- بعض المجتمعات، من مثل الأسرة والمدينة، هي أكثر تناسباً مع الطبيعة البشريّة، فهي ضروريّة لها. ولا بدّ في سبيل تعزيز مشاركة العدد الأكبر في الحياة الاجتماعية، من التشجيع على إيجاد تجمُّعاتٍ ومؤسّسات مختارةٍ "ذات أهداف اقتصادية، وثقافيّة، واجتماعية، ورياضيّة، وتَسْلويّة، ومَهنيّة، وسياسيّة، في داخل الجماعات السياسيّة كما على الصعيد العالمي" وهذا **"التجمع"** يعبّر أيضاً عن النزعة الطبيعية التي تحمل الناس على التشارك في سبيل بلوغ أهدافٍ

تتجاوز الإمكانات الفردية. وهو ينمّي صفات الشخص، وعلى الخصوص، حسّ المبادرة والمسؤولية عنده. وهو يساعد على كفالة حقوقه.

1883- للتجمع أيضاً أخطار. فتدخّل الدولة المُفرط يمكن أن يُهدّد الحرّية والمبادرة الشخصيّتين. وقد أعدَّت الكنيسة في عقيدتها مبدأ دُعي **"بالتسلسليّة".** ومؤدّاه **"**أن ليس لمجتمع أعلى أن يتدخّلَ في الحياة الداخليّة لمجتمع أدنى بحرمانه من صلاحيّاته، بل عليه بالأحرى ان يسانده عند الضرورة وأن يساعده على تنسيق عمله مع عمل العناصر الأخرى التي تؤلف المجتمع في سبيل الخير العام".

1884- لم يشإِ الله أن يحتفظ لنفسه بممارسة كلّ السلطات. فهو يعطي كلّ خليقةٍ الوظائف التي يمكنها ان تُمارسَها بحسب إمكانات طبيعتها الخاصّة. ونَمَطُ الحكم هذا يجب أن يُقتدى به في الحياة الاجتماعية. وتصرُّفُ الله في حُكْم العالم، الذي يُظهر الكثير من المراعاة للحرّية البشريّة، يجب أن يُلهِم حكمةَ من يحكمون الجماعات البشريّة. فعليهم أن يتصرّفوا كمُعتَمدين للعناية الإلهية.

1885- يقاوم مبدأ التسلسلية كل أشكال الجماعية، ويضع حدودَ تدخُّل الدولة، قاصداً انسجام العلائق بين الأفراد والمجتمعات وساعياً إلى إقامة نظامٍ دوليّ حقيقيّ.

2ً. التوبة والمجتمع

1886- لا بدّ من المجتمع لتحقيق الدعوة البشريّة. ولبلوغ هذا الهدف لا بدّ من احترام التراتبية الصحيحة بين القيم التي **"**تُخضع الأبعاد الطبيعية والغريزيّة للأبعاد الداخليّة والروحيّة".

"يجب أن يُنظر إلى الحياة في المجتمع، قبل كل شيئ، كحقيقةٍ من نمطٍ روحيّ. فهي تبادُل مَعارفَ في ضوء الحقيقة، وممارسةُ حقوقٍ واضطلاعٌ بواجبات، وتنافسٌ في السعي إلى الخير الأخلاقيّ، ومشاركةٌ في التمتّع الكريم بالجمال في كلّ تجلّياته المشروعة، واستعدادٌ دائمٌ لايصال أفضل ما في الذات إلى الآخرين، وتوقٌ عامٌ إلى إثراء روحيّ مستمرّ. تلك هي القيم التي يجب ان تُنعش وتوجّه الحركة الثقافية، والحياة الإقتصادية، والتنظيم الاجتماعي، والحركات والأنظمة السياسية، والتشريع، وكلّ تجلّيات الحياة الاجتماعية في تطوّرها الدّائم".

1887- إنّ قلْبَ الوسائل والغايات الذي يبلغ حدّ إيلاءِ قيمة الغاية القصوى إلى ما ليس سوى وسيلة إليها، أو النظر إلى الأشخاص كوسائل فقط إلى هدف، يولّد هيكليّات ظالمة "تجعل السلوك المسيحي الموافق لوصايا المشترع الإلهي شاقّاً ومستحيلاً عمليّاً".

1888- فيجب عندئذ استنهاض الامكانات الروحيّة والأخلاقيّة للشخص، والمقتضيات الدائمة **لتوبته الداخليّة،** للحصول على تغييراتٍ اجتماعيةٍ تكون حقيقةً في خدمته. والأولويّة المعتَرفُ بها لتوبة القلب لا تُلغي إطلاقاً، بل هي على العكس تَفرِض، واجب إجراء الاصلاحات المناسبة على المؤسّسات، وعلى أوضاع الحياة، حتى تتوافق مع قواعد العدل، وتعزّز الخير عوضاً من إعاقته.

1889- بدون اللجوء إلى النعمة لا يستطيع الناس "كشف السبيل الضيق مراراً كثيرة بين الجُبْن الذي يستسلم للشرّ والعنف الذي يجعله يتفاقم وهو يظنّ أنه يقاتله". إنّه سبيل المحبّة، أي محبّة الله والقريب. فالمحبّة هي أعظم الوصايا الاجتماعية. إنّها تحترم الآخرين وحقوقهم، وتقتضي ممارسة العدل، وهي وحدها تجعلنا قادرين على ذلك. إنّها تُلهم حياةً ملؤها بذل الذات: "من طلب أنْ يخلّص نفسه يُهلكها، ومن أهلكها حفظها". (لو 17: 33).

بإيجاز

1890- *هناك بعض الشبه بين وحدة الأقانيم الإلهيّة والأخوّة التي يجبّ على الناس أن يقيموها فيما بينهم.*

1891- *يحتاج الشّخص البشريّ إلى الحياة الاجتماعية لينمو نموّاً يتوافق مع طبيعته. بعض المجتمعات، من مثل الأسرة والمدينة، هي أكثر تناسباً مع الطبيعة البشريّة.*
1892- *"الشخص البشريّ هو، ويجب أن يكون، مبدأ جميع المؤسسات الاجتماعية ومردّها وغايتها".*
1893- *يجب التشجيع على مشاركةٍ واسعةٍ في تجمّعات ومؤسسات مختارة.*
1894- *بحسب مبدإِ التسلسلية أن لا تقوم الدولة ولا أيّ مجتمع أوسع مقام مبادرة الأشخاص والتجمّعات الوسيطة ومسؤوليّتهم.*
1895- *على المجتمع أن يعزّز ممارسة الفضائل لا أن يعيقها. ويجب أن يستلهم تراتبيّة صحيحة للقيم.*
1896- *حيثُ تُفسد الخطيئةُ المناخ الاجتماعيّ، لا بدّ من اللجوء إلى توبة القلوب وإلى نعمة الله. المحبّة تحمل على إجراء إصلاحاتٍ صحيحة. وليس من حلّ للمسألة الاجتماعية خارج الإنجيل.*

المقال الثاني
المشاركة في الحياة الاجتماعية

1ً. السُّلطة
1897- "إنّ الحياة في المجتمع سينقُصُها النظام والخِصْب إن افتقدت وجود أناس يتولّون السلطة على وجه شرعيّ، ويؤمّنون حفظ المؤسسات، ويصرفون العناية، بقدرٍ كافٍ، إلى الخير العام".
تُدعى "سلطةً" الصفةُ التي تُخوّل أشخاصاً أو مؤسساتٍ إقرار شرائعَ وإعطاء أوامر للناس، وترقُّبَ الخضوع من قبلهم.
1898- كلُّ جماعة بشريّة هي في حاجة إلى سلطة تسوسها. واساس هذه السلطة موجودٌ في الطبيعة البشريّة. فهي ضروريّة لوحدة المدينة. ومهمّتها الاضطلاع قدر الإمكان بخير المجتمع العام.
1899- السلطةُ التي يقتضيها النظامُ الأخلاقيّ هي من الله: "ليخضعْ كلّ واحد للسلطات المنَصَّبة، فإنّه لا سلطان إلاّ من الله. والسلطات الكائنة إنّما رتّبها الله. فمن يقاوم السلطان إذن فإنّما يُعاند ترتيب الله، والمعاندون يجلبون الدينونة على أنفسهم" (رو3: 1-2).
1900- واجب الطاعة يفرض على الجميع أن يؤدّوا للسلطة الإكرام الواجب لها، وان يحوّطوا بالاحترام الأشخاص الذين يُمارسون مهامّها، وكذلك، حسب استحقاقهم، بالشكران والمحاسنة.
نجد بقلم بابا روما القديس إكليمنضوس، أقدم صلاة كنسيّةٍ لأجل السلطة السياسية:
"إمنحهم يا رب، الصحة والسلام والوفاق والاستقرار، حتى يُمارسوا، دون مضايقةٍ، الرئاسة التي أوليتَهم إيّاها. فأنت أيّها السيّد، ملك الأجيال السماويّ، من يعطي أبناء البشر المجد والشرف والسلطان على شؤون الارض. سدّد يا رب مشورَتهم إلى ما هو خير، وما هو مرضيٌّ لديك، حتى إذا ما مارسوا بتقوى في السلام والحلم، السلطان الذي أوليتَهم إيّاه، يُحرزون رضاك".
1901- إذا كانت السلطة تُرجع إلى نظام وضعه الله، "فتحديدُ الانظمة السياسية، وتعيينُ الحكّام، يجب أن يُتركا لإرادة المواطنين الحرّة".
تنوّع الانظمة السياسية من الوجهة الأخلاقيّة بشرط أن تؤدّي إلى الخير المشروع للجماعة التي ترتضيها. والأنظمة المخالفة بطبيعتها للشريعة الطبيعية، وللنظام العام، ولحقوق الأشخاص الأساسية، لا يمكنها أن توفّر الخيرَ العامَّ للامم التي فَرضت نفسها عليها.

1902- لا تستمدّ السلطةُ من ذاتها شرعيّتها الأخلاقية. وعليها أن لا تسلك سلوك الاستبداد، بل أن تعملَ لأجل الخير العام "كقوّةٍ معنويّةٍ مؤسسةٍ على الحرّية وحسّ المسؤوليّة".

"لا يكون للتشريع البشري سمةُ الشريعة إلاّ بنسبة موافقته للعقل السليم، ومن هنا يظهر أنه يستمدّ قوّته من الشريعة الأزليّة. وبمقدار انحرافه عن العقل يجب إعلانه جائراً لأنّه لا يحقّق مفهوم الشريعة. إنّما يصبح شكلاً من أشكال العنف".

1903- لا تكون ممارسة السلطة شرعيةٌ إلاّ إذا سعت هذه إلى الخير العامّ للمجموعة ذات العلاقة، وإلاّ إذا استعملت، في سبيل ذلك، وسائل جائرة. أمّا إذا اتّفق للقادة ان يُصدروا شرائع جائرة ويتّخذوا قراراتٍ مخالفةٍ للنظام الأخلاقيّ، فليس لهذه الإجراءات أيّ قوّة إلزاميّة بالنسبة إلى الضمير. "وفي مثل هذه الحال لا تبقى السلطة سلطةً وإنّما تتحوّل إلى تعسّف".

1904- "من الأفضل أن يوازن كلَّ سلطةٍ سلطاتٌ أخرى، وصلاحيات أخرى تُبقيها ضمن الحدود الصحيحة. وهذا هو مبدأ "دولة القانون" التي تكون فيها الرئاسة للشريعة لا لإرادات البشر العشوائيّة".

2ً. الخير العام

1905- خيرُ كلّ واحدٍ، وفقاً لطبيعة الإنسان الاجتماعية، هو بالضرورة على علاقةٍ بالخير العامّ. ولا يمكن تحديدُ الخير العامّ إلا بالنسبة إلى الشخص البشريّ:

"لا تعيشوا منعزلين، منقبضين في ذواتكم، كما لو أنّكم أصبحتم مبرّرين، ولكن تجمّعوا لتسعوا معاً إلى ما فيه الخير العامّ".

1906- بالخير العامّ يجب أن نفهم "مجموعة الأوضاع الاجتماعية التي تسمح للجماعات وللأفراد من أعضائها أن يبلغوا كمالهم بوجهٍ أتمّ وأسهل". فالخيرُ العامّ يهمّ حياة جميع الناس. وهو يقتضي الفطنة من كلّ واحدٍ، وفي الأكثر ممن يضطلعون بمهمّة السلطة. وهو يتضمّن **ثلاثة عناصر أساسيّة:**

1907- إنّه يفترض أولاً **احترام الشخص** بصفته هذه. فالسلطات العموميّة مُلزمةٌ، باسم الخير العام، باحترام حقوق الشخص البشريّ الأساسيّة والتي لا يمكن التخلّي عنها. وعلى المجتمع أن يُمكِّن كلّ عضوٍ فيه من تحقيق دعوته. والخير العامّ يقوم خصوصاً على توفير الشروط لممارسة الحرّيات الطبيعية التي لا بدّ منها لتفتّح الدعوة الإنسانية: "هكذا: حقّ التصرّف وفاقاً لقاعدة الضمير القويمة، وحقّ صيانة الحياة الخاصّة والحرّية الصحيحة الممتدّة إلى الأمور الدينية أيضاً".

1908- الخير العامّ يتطلّب ثانياً **الرفاهيّة الاجتماعية والتنميةَ** للمجموعة ذاتها.والتنمية هي خلاصة جميع الواجبات الاجتماعية. أجل، يعود إلى السلطة أن تحكُم، باسم الخير العامّ، بين المصالح الفردية المتنوّعة. ولكنّ عليها أن تُمكِّن كلّ إنسانٍ مما يحتاج إليه لكي يعيش عيشةً إنسانيّة حقيقيّة: من غذاء، ولباس، وصحّة، وعمل، وتربيةً، وثقافة، وإعلام لائق، وحق تأسيس العائلة.

1909- والخير العامّ يتضمّن أخيراً **السلام**، اي دوامَ نظامٍ عادلٍ وأمانه. فيفترض إذن قيام السلطة بتوفير **الأمان** للمجتمع ولأعضائه بوسائل قويمة. وهو أساس الحقّ في الدفاع المشروع الشخصيّ والاجتماعيّ.

1910- إذا كان لكلِّ جماعة بشريّة خيرٌ عامٌّ يمكِّنها من أن تعرف نفسها بتلك الصفة، ففي **الجماعة السياسية** تجد تحقيقه الأكمل. ويعود إلى الدولة أن تصون وتُعزّز الخير العامّ للمجتمع المدنيّ للمواطنين وللهيئات الوسيطة.

1911- إنّ العلائق البشرية تتوثّق عُراها. وهي تعمّ رويداً رويداً الأرض كلّها. ووحدة الأسرة البشرية التي تضمُّ كائنات تتمتّع بكرامةٌ إنسانيّةٍ متساوية، تنطوي على **خيرٍ عامّ شامل.** وهذا يتطلّب تنظيماً لجماعة الأمم قادراً على "توفير الأمور المختلفة التي يحتاج إليها الناس، سواء كان ذلك في نطاق الحياة الاجتماعية (من مثلا الغذاء والصحية والتربية.....) أو كان ذلك في سبيل التصدّي لأوضاع خاصّة قد تطرأ هنا وهناك (من مثل كشف الشدّة عن اللاجئين، أو مدّ يد المعونة إلى المتغرّبين وعيالهم).

1912- الخيرُ العامّ يُوجَّه دائماً نحو تقدّم الأشخاص: "فنظام الأشياء يجب أن يخضع لنظام الأشخاص، ولا يعكس ذلك". واساس هذا النظام الحقيقة، وهو يبنى في العدل، ويحيا بالمحبّة.

3ً. المسؤولية والمشاركة

1913- المشاركة في إلتزام الشخص التزاماً إراديّاً وكريماً بالتبادلات الاجتماعية. فمن الضروريّ أن يشارك الجميع، كلّ بحسب الموقع الذي هو فيه والدور الذي يقوم به، في تعزيز الخير العامّ. وهذا الواجب ملازم للطبيعة البشرية.

1914- تتمّ هذه المشاركة أوّلاً باضطلاع الإنسان بمهامّ القطاعات التي هو **مسؤول عنها شخصيّاً.** فهو باعتناقه بتربية أسرته، وبتقيّده بالضمير في عمله، يشارك في خير الآخرين والمجتمع.

1915- على المواطنين أن يشاركوا، قدر المستطاع، مشاركةً فعّالةً في **الحياة العامة.** ويمكن أن تتنوّع أساليب هذه المشاركة بتنوّع البلد والثقافات. "ونِعْمَ المَسلك الذي تسلكُه الدول التي يشترك فيها أكبر عددٍ ممكنٍ من المواطنين في شؤونها العامّة".

1916- مشاركة الجميع في قيام الخير العام تقتضي، ككل واجب أخلاقي، **اهتداء** الشركاء الاجتماعيين بوجه لا يني يتجدّد. فمن الواجب القضاءُ بقوّةٍ على الغشّ وأساليب الاحتيال الأخرى التي يستخدمها بعضهم للإفلات من قيد الشريعة وفرائض الواجب الاجتماعي، لأنّها تتنافى ومقتضيات العدل. ويجب الاهتمام بنموّ المؤسسات التي تُحسِّن أوضاع الحياة البشرية.

1917- يعود إلى من يضطلعون بالسلطة تثبيتُ القيَم التي تجتذب ثقة أعضاء المجموعة وتحضّهم على أن يكونوا في خدمة الآخرين. وتبدأ المشاركة بالتربية والثقافة: "إنه ليحقّ التفكير في أنّ مصير الانسانية هو في أيدي أولائك الذين استطاعوا أن يُقدّموا للأجيال الآتية أسباب الحياة والأمل".

بإيجاز

1918- *"لا سلطان إلاّ من الله، والسلطاتُ القائمة إنّما رتّبها الله" (لاو13: 1).*

1919- *كلّ جماعة بشريّة هي في حاجة إلى سلطةٍ لتبقى وتنمو.*

1920- *"إنّ الجماعة السيّاسية والسلطة العامّة تقومان أساساً على الطبيعة البشريّة، وهما بذلك ترجعان إلى نظامٍ من وضع الله".*

1921- *تُمارَس السلطة ممارسةً شرعية إذا لازمت السعي إلى الخير العامّ في المجتمع، ولا بد لها، كي تبلغه، من استخدام وشائل مقبولة أخلاقيّاً.*

1922- *تنوّع الأنظمة السياسية مشروع، إذا أدّت إلى خير الجماعة.*

1923- *يجب أن تُمارَس السلطة السياسية في حدود النظام الأخلاقيّ، وأن تَكفَل شروط ممارسة الحرّية.*

1924- *الخير العام ينطوي على "مجموعة الأوضاع الاجتماعية التي تسمح للجماعات والأفراد أن يبلغوا كمالهم بوجه أتمّ وأسهل"*.
1925- *الخير العام يتضمّن ثلاثة عناصر أساسية: احترام حقوق الشخص الأساسية وتعزيزها، الازدهار أو النموّ في خيور المجتمع الروحية والزمنية، السلام والأمان للمجموعة وأعضائها*.
1926- *كرامة الشخص البشريّ تقتضي السعي إلى الخير العام. وعلى كلّ واحدٍ أن يهتمّ بإنشاء مؤسساتٍ تُحسِّن أوضاعَ الحياة البشرية وبمساندها*.
1927- *يعود إلى الدولة أمر صيانة الخير العامّ في المجتمع المدنيّ وتعزيزه. والخير العام للأسرة البشرية جمعاء يتطلّب تنظيم المجتمع الدولي*ّ.

الفصل الثالث
العدالة الاجتماعيّة

1928- يؤمِّن المجتمعُ العدالة الإجتماعية عندما يوفّر الشروط التي تسمح للجماعات ولكلّ فردٍ بالحصول على ما يحقُّ لهم وفاقاً لطبيعتهم ولدعوتهم. والعدالة الاجتماعية على صلة بالخير العامّ وبممارسة السلطة.

1ً. احترام الشخص البشري

1929- لا يمكن بلوغ العدالة الاجتماعية إلاّ في احترام كرامة الإنسان السامية. فالشخص هو غاية المجتمع القصوى، وهذا إنّما هو معدٌّ له.
"صيانة كرامة الشخص البشريّ وتعزيزها قد أودعنا إياهما الخالق. والرجال والنساء هم، في كلّ ظروف التاريخ، مسؤولون ومطالبون بهما".
1930- يقتضي احترام الشخص البشريّ احترام الحقوق الناتجة من كرامته بكونه خليقة. وهذه الحقوق سابقةٌ للمجتمع ومفروضةٌ عليه. وهي الأساس الشرعي لكلّ سلطة. فإذا ازدراها المجتمع، أو أبى الاعتراف بها في تشريعه الوضعي، فهو يقوّض شرعيته الأخلاقية الخاصة. وبدون هذا الاحترام، لا تستطيع السلطة أن تستند إلاّ إلى القوّة أو العنف لتحصل على طاعة رعاياها. ويعود إلى الكنيسة أن تذكّر الناس ذوي الارادة الصالحة بهذه الحقوق، وأن تميّزها من المطالب التعسّفية أو الباطلة.
1931- يمرُّ احترام الأشخاص من خلال احترام المبدأ: "ليلتزم الإنسان باعتبار القريب، أيّاً كان في غير استثناء، "كذاتٍ أخرى له". وليحسب حساباً، قبل كلّ شيء، لوجوده وللوسائل الضرورية التي يتمكَّن معها من العيش الكريم". وليس من تشريعٍ يستطيع بذاته إزالة التخوّفات، والأحكام السابقة، ومواقف الكبرياء والأثَرة التي تُعيق انشاء مجتمعات أخوية حقّاً. ولن تتوقّف هذه التصرّفات إلاّ مع المحبّة التي تجد في كلِّ إنسان "قريباً" وأخاً.
1932- واجبُ اتّخاذ الآخر قريباً وخدمته بنشاطٍ يصبح أكثر إلحاحاً أيضاً عندما يكون هذا في عَوَز أشدّ، في أي مجال من المجالات. "أن كلّ ما صنعتموه إلى واحد من أخوتي الصغار، فإليَّ قد صنعتموه" (متى25: 40).
1933- يمتدّ هذا الواجب نفسه إلى من يختلفون عنّا فكراً وفعلاً. وتعليمُ المسيح يصل إلى حدّ اقتضاء مغفرة الإساءات. وهو يوسّع وصيّة المحبة، التي هي الوصيّة الجديدة، إلى جميع الأعداء. فالتحرُّرُ بحسب روح الإنجيل لا يتلاقى مع الحقد على العدوّ وبصفة كونه شخصاً بل مع الحقد على الشرّ الذي يصنعه بصفته عدوّاً.

2ً. المساواة والاختلافات بين البشر

1934- بما أن جميع البشر قد خُلقوا على صورة الله الأوحد، وخُصّوا بنفسٍ عاقلةٍ واحدة، فهم ذوو طبيعةٍ واحدةٍ وأصلٍ واحد. وبما انّ المسيح قد افتداهم بذبيحته، فهم مدعوّون إلى المشاركة في السعادة الإلهية نفسها: وهم يتمتّعون إذن بكرامةٍ متساوية.

1935- المساواة بين البشر تقوم، في جوهرها، على كرامتهم الشخصيّة والحقوق الناجمة عنها:

"كلّ نوعٍ من أنواع التمييز في حقوق الشخص الأساسية، سواء كان قائماً على الجنس أو العرق، أو لون البشرة، أو الوضع الاجتماعي أو اللغة أو الدين، يجب تجاوزه على أنّه مخالف لتصميم الله".

1936- لا يتمتّع الإنسان، عندما يأتي إلى العالم، بكلّ ما هو ضروريٌّ لنموّ حياته الجسدية و الروحية. إنّه بحاجة إلى الآخرين. فتظهر الاختلافات المرتبطة بالسنّ، والإمكانات الطبيعية، والإمكانات الذهنية أو الأخلاقية، والتبادلات التي قد استفاد منها كلّ واحد، وتوزيع الثروات. "فالوزنات" لم توزّع بالتساوي.

1937- هذه الاختلافات داخلةٌ في خطّة الله، الذي يريد أن يتقبّل كلُّ واحدٍ من الآخرين ما يحتاج إليه، وأن يُشارك مَنْ عندهم "وزناتٌ" خاصةٌ في فوائدها مّنْ هم في حاجة إليها. فالاختلافات تشجّع الأشخاص على الأريحيّة والمحاسنة والمشاركة وأحياناً كثيرة تُلزِمُهم بها. وهي تحفّز الثقافات على أن تغتني بعضها ببعض:

"لا أعطي كلّ الفضائل لكلّ واحد بالمساواة... فمنها جملةٌ أُوزّعها بطريقةٍ ما، حيناً على أحدهم وحيناً على الآخر... للواحد المحبة، وللآخر العدل، ولهذا التواضع، ولذلك للإيمان الحي....وأما الخيرات الزمنية، والأشياء الضرورية لحياة الإنسان، فقد وزّعتُها بأكبر لا مساواة. ولم أُرِد أن يمتلكّ كلّ واحدٍ كلّ ما هو ضروريّ له حتى يكون هكذا للناس فرصةٌ، بالضرورة، لكي يمارسوا المحبة بعضهم تجاه بعض. واردتُ أن يكونوا في حاجة بعضُهم إلى بعض، وأن يكونوا وكلائي لتوزيع النعم والحسنات التي تقبّلوها منّي".

1938- هناك أيضاً أكثر من لا مساواةٍ جائرة تُصيبُ ملايين من الرجال والنساء. وهي على تناقضٍ فاضح مع الإنجيل:

"إنّ مساواة الأشخاص في الكرامة يقتضي أن يتوصّل المجتمعُ إلى وضعٍ حياتيّ أكثر عدالةً وأكثر إنسانية. فالتفاوت الاقتصاديّ والاجتماعيّ المُفرط بين أعضاء الأسرة البشرية الواحدة أو بين شعوبها باعثٌ على العثار والشكّ. وعقبةٌ في طريق العدالة الإجتماعية، والإنصاف، وكرامة الشخص الإنسانيّ والسلام الاجتماعي والدّوليّ".

3ً. التضامن الإنسانيّ

1939- إنّ مبدأ التضامن، والذي يُدعى أحياناً باسم "الصداقة" أو "المحبّة الاجتماعية" هو من المقتضيات المباشرة للأُخوّة الانسانية والمسيحية:

هناك خطأ "واسع الانتشار اليوم، هو نسيان شريعة التضامن الإنساني والمحبّة، التي يُمليها ويَفرضها الأصل المشترك والمساواةُ في الطبيعة العاقلة بين الناس، ومهما كان الشعب الذي ينتمون إليه، كما تُمليها وتفرضها أيضاً ذبيحة الفداء، التي قدّمها يسوع المسيح على مذبح الصليب لأبيه السماوي، لأجل البشرية الخاطئة".

1940- يَظهر التضامن أوّلاً في توزيع الخيرات وأجْر العمل. وهو يفترضُ أيضاً بذل الجهد في سبيل نظام اجتماعي أكثر عدالة، يمكن فيه استيعاب التوترات بوجهٍ أفضل، وتُجدُ فيه النزاعات، بوجهٍ أسهلَ، حلاً تفاوضيّاً.

1941- لا يمكن إيجاد حلولٍ للمشاكل الاجتماعية الاقتصادية إلاّ بمساندة جميع صيغ التضامن: تضامن الفقراء فيما بينهم، والأغنياء والفقراء، والعمّال فيما بينهم، والعمّال وأصحاب العمل في المؤسسة، والتضامن بين الأمم والشعوب. والتضامن الدّولي من مقتضيات النظام الأخلاقي، لأنّ السلام في العالم يرتبطُ به جزئيّاً.

1942-إنّ فضيلة التضامن تمتدُّ إلى أبعدَ من الخيرات الماديّة. والكنيسة عندما نشرت خيور الإيمان الروحيّة، قد عزّزت بالاضافة نموّ الخيور المادية، إذ فتحت أمامها مراراً سُبُلاً جديدة. وهكذا تحقّقت على مدى القرون كلمة السيّد: "أُطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبرّه، وهذا كلّه يُزاد لكم" (متى6: 33).

"منذ ألفي سنة، تعيشُ وتستمرُّ روح الكنيسة تلك العاطفة التي دفعت وما زالت تدفع النفوس إلى بطولة المحبّة، عند الرهبان الزرّاع، ومحرّري العبيد، وشافي المرضى، ورسل الإيمان والتمدّن والعلم إلى كل الأجيال وكلّ الشعوب، حتى يوجِدوا أوضاعاً اجتماعيّة تُمكِّنُ الجميع من أن يحيوا حياة لائقة بالإنسان المسيحي."

بإيجاز

1943- *يؤمّن المجتمعُ العدالة الاجتماعية بتحقيق الشروط التي تسمح للجماعات وللأفراد بالحصول على ما هو حقٌّ لهم.*

1944- *احترام الشخص البشريّ يَعتبرُ الآخر، "كذاتٍ أخرى له" ويفترضُ احترام الحقوق الأساسية الناجمة عن الكرامة الملازمة للشخص بذاته.*

1945- *المساواة بين الناس تقوم على الكرامة الشخصيّة وعلى الحقوق الناجمة عنها.*

1946- *الاختلافات بين الأشخاص هي بتدبير من الله الذي يريد أن يحتاج بعضنا إلى بعض، وعليها ان تُشجَّع المحبّة.*

1947- *المساواة في الكرامة بين الأشخاص، الإنسانية تقتضي بذل الجهد لتقليص اللامساواة الاجتماعيّة والاقتصاديّة المُفرطة. وهي تحمل على إزالة ما هناك من لا مساواةٍ جائرة.*

1948- *التضامن فضيلة مسيحيّة بامتياز. وهو يمارس المشاركة في الخيرات الروحيّة مشاركةً تفوق أيضاً تلك التي في الخيرات المادّية.*

الفصل الثالث
خلاص الله: الشريعة والنعمة

1949- إنّ الإنسان الذي دُعي إلى السعادة وجرحته الخطيئة هو بحاجةٍ إلى خلاص الله. ويأتيه العون الإلهيّ في المسيح بالشريعة التي توجّهه وبالنعمة التي تعضده:

"إعملوا لخلاصكم في خوفٍ ورعدة، لأنّ الله هو الذي يفعل فيكم الإرادة والعمل نفسه على حسب مرضاته" (في 2: 12-13).

المقال الأول
الشريعة الأخلاقيّة

1950-الشريعة الأخلاقيّة هي من عمل الحكمة الإلهيّة. ويمكن تحديدها، بالمعنى الكتابي، بأنّها تعليمٌ أبويّ وتربيةٌ من الله. إنّها ترسم للإنسان سُبُلَ السلوك وقواعدَه التي تقود إلى السعادة الموعودة، وتحظر سُبُلَ الشرّ التي تصرف عن الله ومحبّته. إنّها في آنٍ واحد، متشدّدةٌ في أوامرها وطيبةٌ في وعودها.

1951- الشريعةُ قاعدةُ سلوكٍ تضعها السلطة الصّالحة لأجل الخير العامّ. وتفترض الشريعة الأخلاقيّة نظاماً عقليّاً قائماً بين الخلائق لأجل خيرهم، وفي سبيل غايتهم، بقدرة الخالق وحكمته وجودته. وكلُّ شريعةٍ تجد في الشريعة الأزلية حقيقتها الأولى والقصوى. والشريعة يُعلنها

ويُنشئها العقل كمشاركةٍ في عناية الله الحيّ خالق الجميع وفاديهم. "إنّ **تَوَجُّه العقل** هذا هو ما يُسمّى بالشريعة".

"يستطيع الإنسان وحده، بين جميع الكائنات الحيّة، بأنّه كان جديراً بتقبُّلِ شريعةٍ من الله. وبما أنّه اختُصَّ بالعقل، وكان قادراً على الفهم والتمييز، فهو ينظِّمُ سلوكَه مستعيناً بالحرّية والعقل، خاضعاً لمن سلّمه كلّ شيء".

1952- تتنوع التعابير عن الشريعة الأخلاقيّة، وهي كلُّها تتناسق بعضها مع بعض: الشريعة الأزليّة، هي، في الله، ومصدرُ جميع الشرائع، الشريعة الطبيعية، والشريعة المنزّلة التي تضمّ الشريعة القديمة والشريعة الجديدة أو الإنجيلية، وأخيراً الشرائع المدنيّة والكنسيّة.

1953- تجد الشريعةُ الأخلاقيّة في المسيح كمالَها ووحدَتّها. ويسوع المسيح هو بشخصه طريق الكمال. هو غاية الشريعة، لأنّه وحده يُعلِّم ويعطي برّ الله: "لأنّ غاية الناموس هي المسيح الذي يبرّر كل من يؤمن" (رو10: 4).

1ً. الشريعة الطبيعية

1954- يشاركُ الإنسانُ الخالق في حكمته وجودته. والخالقُ يمنحه التسلّط على أعماله، والقدرة على التحكّم بذاته في سبيل الحقيقة والخير. وتُعبّر الشريعةُ الطبيعية عن الحسّ الأخلاقيّ الأصليّ، الذي يسمح للإنسان أن يميّز بالعقل ما هو الخير والشرّ، والحقيقة والكذب:

"إنّ الشريعة مكتوبةٌ ومحفورةٌ في نفس كلّ الناس وكلّ إنسان، لأنّها العقل البشريّ الذي يأمر بالعمل الصالح وينهي عن الخطيئة. ولكنّ ما يرسمه العقل البشريّ لا يمكن أن تكون له قوّةُ الشريعة، ما لم يكن صوتاً وترجمةً لعقلٍ أعلى لا بدّ أن يخضع له عقلنا وحرّيتنا".

1955- إنّ الشريعة "الإلهيّة والطبيعية" تبيّن للإنسان السبيل الذي عليه أن يسلكه لممارسة الخير وبلوغ غايته. والشريعة الطبيعية تُعلن الوصايا الأولى والأساسيّة التي تهيمن على الحياة الأخلاقيّة. ومحورها التوق إلى الله والخضوع له، هو مصدر كل خير وديّانه، وكذلك الإحساس بالآخر مساوياً للذات. وهي معروضةٌ في فرائضها الأساسية في الوصايا العشر. وتُدعى هذه الشريعة طبيعية لا بالنسبة إلى الكائنات غير العاقلة، وإنّما لأنَّ العقل الذي يأمر بها هو من خصائص الطبيعة البشريّة:

"أين كُتبت هذه القواعد ما لم تكن في كتاب ذلك النور الذي نسمّيه الحقيقة؟ فكلُّ شريعةٍ عادلةٍ مكتوبةٌ هناك، وتَعبُر من هناك إلى قلب الإنسان الذي يُتمِّمُ العدل. فلا تُهاجرُ إليه، ولكن تَضعُ عليه طابعها مثل الختم الذي ينتقل من الخاتم إلى الشمع، ولكن دون أن يبارح الخاتم".

ليست الشريعة الطبيعية "سوى نور الذهن الذي وضعه الله فينا، بها نعلم ما يجب عمله وما يجب تجنّبه، والله هو الذي أعطى الخليقة هذا النور أو تلك الشريعة".

1956- إنّ الشريعة الطبيعية، بما أنّها موجودةٌ في قلب كلِّ إنسان، وقد أقامها العقل، فهي **شاملةٌ** في رسومها، وتمتدّ سلطتها إلى كلّ إنسان. إنّها تُعبّر عن كرامة الشخص وتُحدِّد القاعدة التي تقوم عليها حقوقه وواجباته الأساسيّة:

"أجل، هناك شريعةً حقّة هي العقل المستقيم، إنّها مطابقةٌ للطبيعة، منتشرةٌ عند جميع الناس، إنّها أبديّة لا تتغيّر، أوامرها تدعو إلى الواجب، ونواهيها تُحيد عن الزّلل. استبدالها بشريعة مخالفة هو تعدٍّ على القدسيّات. ممنوع تجاوز أيّ رسم من رسومها، أما إلغاؤها إلغاءً تامّاً فليس في مقدور أيّ إنسان".

1957- تطبيق الشريعة الطبيعية يتغيّر كثيراً، فقد تقتضي تفكيراً متناسباً مع تعدّد الأوضاع الحياتية، بحسب الأماكن، والظروف. ومع ذلك، تبقى الشريعة الطبيعية، في تنوّع الثقافات، قاعدة تربط بين الناس، وتفرض عليهم، في ما هو أبعد من الخلافات التي لا مناص منها، مبادئَ مشتركة.

1958- الشريعة الطبيعية **لا تتغيّر** وتستمرّ في تقلّبات التاريخ، إنّها تبقى تحت مدّ الأفكار والأخلاق وتساند تقدّمها. القواعد التي تُعبّر عنها تبقى قائمةً في جوهرها. حتى وإن أنكر الإنسان مبادئَها ذاتها، فلا يمكن تدميرها ولا إزالتها من قلب الإنسان. فهي تنبعث دوماً في حياة الأفراد والمجتمعات:

"أجل السرقة تعاقبها شريعتك، أيّها السيّد، والشريعة المكتوبة في قلب الإنسان، والتي لا يمحوها الشرّ نفسه".

1959- إن الشريعة الطبيعية، التي هي عملٌ جيدٌ جدّاً صنعه الخالق، وتوفّر الأساس الصلب، الذي يستطيع الإنسان أن يُقيم عليه بناءَ القواعد الأخلاقيّة، التي تُرشد اختياراته. وهي تضع أيضاً الأساس الأخلاقيّ الذي لا بدّ منه لبناء جماعة البشر. وهي توفّر أخيراً الأساس الضروريَّ للشريعة المدنيّة التي ترتبط بها إمّا بتفكيرٍ يستخلص النتائج من مبادئها، وإمّا بإِضافاتٍ ذات طبيعة إيجابيّة وحقوقيّة.

1960- لا يرى الجميع مبادئَ الشريعة الطبيعية بوجهٍ واضح ومباشر، وفي الوضع الحاليّ لا بدّ للإنسان الخاطئ من النعمة والوحي حتى يتمكّن من معرفة الحقائق الدينيّة والأخلاقيّة "جميع الناس بدون صعوبة، وَبِيَقينٍ راسخ لا يمازجُه خطأ". إنّ الشريعة الطبيعية توفّر للشريعة الإلهية وللنعمة قاعدة أعدّها الله متناسقةً مع عمل الروح.

2ً. الشريعة القديمة

1961- لقد اختار الله خالقُنا وفادينا لنفسه إسرائيل شعباً خاصّاً، وأوحى إليه بشريعته مُهيِّئاً هكذا مجيء المسيح. وتُعبِّر شريعة موسى عن حقائق عدّة يمكن العقل أن يبلغها بوجهٍ طبيعيّ، وهي مُعلنةٌ ومُثبّتةٌ داخل عهد الخلاص.

1962- الشريعة القديمة هي الشريعة الموحَى بها في حالتها الأولى. وفرائضها الأخلاقيّة تختصرها الوصايا العشر. إنّ أموامر الوصايا العشر تضع أساس دعوة الإنسان، الذي صُنع على صورة الله، فَتَنْهى عمّا هو مخالف لمحبّة الله والقريب، وتأمر بما هو أساسيٌّ لها. إنّ الوصايا العشر هي نورٌ مُلقًى على ضمير كلّ إنسان ليكشف له دعوة الله وطُرُقّه، وليصونه من الشرّ:

"لقد كتب الله على الواح الشريعة ما لم يكن الناس يقرأونه في قلوبهم".

1963- إنّ الشريعة، وفاقاً للتقليد المسيحيّ، مقدّسة، وروحيّة، وصالحة ولكنها ما تزال ناقصة. إنّها، كالمُربّي، تُظهر ما يجب عمله، ولكنّها لا تعطي بذاتها القوّة ولا نعمة الروح القدس لفعله. وهي تبقى بسبب الخطيئة التي لا تستطيع إزالتها، شريعة عبوديّة. ومُهمَّتُها، بحسب القديس بولس، هي على الخصوص، أن تُعلن **وتُظهر الخطيئة** التي هي "شريعة شهوة" في قلب الإنسان. ولكنَّ الشريعة تبقى المرحلة الأولى على طريق الملكوت. وهي تُهيّئ وتُعدُّ الشعب المختار وكلّ مسيحيّ للتوبة وللإيمان بالله المخلّص. وهي تمنح تعليماً يبقى أبداً، مثل كلام الله.

1964- الشريعة القديمة هي **تهيئةٌ للإنجيل**. "إنّ الشريعة هي نبوءةٌ عن الحقائق الآتية وتربيةٌ عليها". فهي إنباءٌ بعمل التحرير من الخطيئة الذي سيُتِمُّه المسيح وإيماءٌ إليه، وهي تعطي العهد الجديد الصُّور و"المُثُل" والرموز للتعبير عن الحياة بحسب الروح. وتكتمل الشريعةُ أخيراً بتعليم الكتب الحِكَميّة والأنبياء الذين يوجّهونها نحو العهد الجديد وملكوت السماوات.

"لقد كان هناك في ظلّ العهد القديم أُناسٌ يملكون المحبّة ونعمة الروح القدس، ويتوقون قبل كل شيء إلى المواعيد الروحية والأبديّة، فهم بذاك كانوا مرتبطين بالشريعة الجديدة. وبالعكس، هناك في ظلِّ العهد الجديد أناسٌ جسديّون، لا يزالون بعيدين عن كمال الشريعة الجديدة: فكان الخوفُ من العقاب، وبعضُ المواعيد الزمنيّة ضروريَّين لحثِّهم على الأعمال الصالحة حتى في ظلّ العهد الجديد. وفي كلّ حال، وإن كانت الشريعة القديمة تفرض المحبّة، فهي لم تكن لتعطيّ الروح القدس الذي به "أُفيضت المحبّة في قلوبنا" (رو5: 5).

3ً. الشريعة الجديدة أو الشريعة الإنجيلية

1965- الشريعة الجديدة أو الشريعة الإنجيلية هي على الأرض كمال الشريعة الإلهية، الطبيعية الموحّى بها. إنّها من عمل المسيح وتتبيّن على الخصوص في العظة على الجبل. وهي أيضاً عمل الروح القدس، وبه تصبح شريعة المحبّة في الداخل: "أَقطعُ مع بيت إسرائيل عهداً جديداً. أُحلّ شرائعي في بصيرتهم، وأكتبُها على قلبهم، وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً" (عب8: 8و10).

1966- الشريعة الجديدة هي **نعمة الروح القدس** المعطاة للمؤمنين، بالإيمان بالمسيح. وهي فاعلةٌ بالمحبّة، تستخدم عظة الربّ لتعلّمنا ما يجب عمله، والأسرار لتمنحنا النعمة لفعل ذلك:

"من أراد أن يتأمّل بتقوى وتبصُّر في العظة التي ألقاها على الجبل، كما نقرأها في إنجيل القديس متى، يجد فيها، بدون أيّ شكّ، المحبّة الكاملة في الحياة المسيحية. هذه العظة تتضمّن جميع الرسوم الهادية إلى الحياة المسيحيّة".

1967- الشريعة الإنجيلية "تُتمّم" وتشحذ، وتتجاوز، وتقود إلى الكمال الشريعة القديمة. وهي في التطويبات **تُتمِّمُ المواعيد** الإلهية وتسمو بها وتوجّهها نحو "ملكوت السماوات". إنّها لأولئك الذين فيهم الاستعداد لتقبّل هذا الرجاء الجديد بإيمان: الفقراء، والمتواضعين، والحزانى، والقلوب الطاهرة، والمضطهدين لأجل المسيح، فترسم هكذا السُبُل العجيبة إلى الملكوت.

1968- الشريعة الإنجيلية **تُتمِّم وصايا الشريعة**. وعظةُ الرب لا تلغي أو تُسقط من قيمة الفرائض الأخلاقية الموجودة في الشريعة القديمة، بل تستخرج إمكاناتها الخفيّة وتبعث منها مقتضيات جديدة: إنّها تُظهر كلّ حقيقتها الإلهية الإنسانية. وهي لا تزيد فرائض خارجية جديدة، ولكنّها تذهب إلى حد إصلاح أصل الأعمال، أي القلب، حيث يختار الإنسان بين ما هو طاهر وما هو دنس، وحيث يتكوّن الإيمان والرجاء والمحبّة، ومع هذه الفضائل الأخرى. ويقود الإنجيل الشريعة هكذا إلى كمالها بالاقتداء بكمال الآب السماويّ، والمغفرة للأعداء، والصلاة لأجل المضطهِدين، على مثال كرم الله.

1969- الشريعة الجديدة تمارس **أفعال الديانة** إي الإحسان، والصلاة، والصوم، موجّهةً إيّاها نحو "الآب الذي يرى في الخُفية" بخلاف الرغبة في "أن يرانا الناس". وصلاتها هي: "أبانا...".

1970- الشريعة الإنجيلية تقتضي الاختيار الحاسم بين "الطريقين" وممارسة كلام الرب، وهي تُختصَر **بالقاعدة الذهبية**: "كلّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم فافعلوه أنتم أيضاً بهم، فذلك هو الناموس والأنبياء" (متى7: 12).

الشريعة الإنجيلية كلها موجودةٌ في **وصيّة يسوع الجديدة** أن نُحبّ بعضُنا بعضاً كما أحبّنا.

1971- ينبغي أن يُضاف إلى عظة الرب **"التعليم الديني الأخلاقي في التعاليم الرسولية"**، كما في رو 12-15، 1 كو 12-13، كو 3-4، أف4-6، هذه العقيدة تنقل تعليم الرب مُوثَّقاً بسلطة الرسل، خصوصاً في عرض الفضائل الناجمة عن الإيمان بالمسيح، والتي تحييها المحبّة، موهبةُ الروح القدس الرئيسة. "لتكن المحبّة بلا رئاء. أحبّوا بعضكم بعضاً حبّاً أخويّاً، وليكن فيكم فرح الرجاء، كونوا صابرين في الضيق، مواضبين على الصلاة أبذلوا للقدّيسين في حاجاتهم، واعكفوا على ضيافة الغرباء" (رو12: 9-13). وهذا التعليم الدّيني يُلقِّننا أيضاً أن نعالج حادث الضمير في ضوء علاقتنا بالمسيح وبالكنيسة.

1972- تُدعى الشريعة الجديدة **شريعةَ محبّة** لأنّها تحمل على تفضيل التصرّف بفعل المحبَة التي يَبثُّها الروح القدس على التصرّف بالخوف، وتُدعى **شريعة نعمة** لأنّها تمنح قوّة النعمة للتصرّف بواسطة الإيمان والأسرار وتدعى **شريعة حرّية**، لأنّها تُحرّرنا ممّا في الشريعة القديمة من رسوم طقوسيّة وقانونيّة، وتميل بنا إلى التصرف تلقائيّاً بدافع المحبّة، وتجعلنا أخيراً ننتقل من حالة العبد

"الذي لا عِلْمَ له بما صنعه سيّده" إلى حالة صديق المسيح، "لأنّي أطلعتكم على كل ما سمعتُ من أبي" (يو15: 15)، أو إلى حالة الابن الوارث أيضاً.

1973- تحتوي الشريعة الجديدة، فضلاً عن فرائضها، على **المشورات الإنجيلية.** والتمييزُ التقليديّ بين وصايا الله والمشورات الإنجيلية قائمٌ بالنسبة إلى المحبّة، كمال الحياة المسيحية. فالفرائض وُضعت لإقصاء ما لا يتوافق مع المحبّة. والمشورات غايتها إقصاء ما يمكنه أن يُعيق نموّ المحبّة، وإن لم يناقضها.

1974- المشورات الإنجيلية تُظهر المحبّة الكاملة الحيّة الجازعة أبداً من أنّها لا تعطي أكثر. وهي تؤكّد اندفاعها وتستدعي تَحفُّزنا الروحيّ. كمالُ الشريعة الجديدة هو بوجهٍ أساسيّ في فريضَتَي محبّة الله ومحبّة القريب. أمّا المشوراتُ فتدلّ على سُبُلٍ أقوَم، ووسائل أسهل، ويمارسها كلّ إنسان بحسب دعوته:

"لا يريد الله من كلّ إنسان أن يعمل بكلّ المشورات، وإنّما فقط بتلك الملائمة بحسب تنوّع الأشخاص، والأوقات، والظروف، والقوى، كما تقتضي المحبّة، لأنّ هذه، بكونها مَلِكَةَ كلّ الفضائل وكلّ الوصايا، وكلّ المشورات، وبالاختصار، كل الشرائع وكلّ الأفعال المسيحية، هي التي تمنحها جميعاً المنزلة والمرتبة والوقت والقيمة".

بإيجاز

1975- ان *الشريعة، وفاقاً للكتاب، هي تعليمٌ أبويٌّ من الله يرسم للإنسان السُّبُل التي تعود إلى السعادة الموعودة وينهي عن سبل الشرّ.*

.1976- *"الشريعة هي توجيه العقل نحو الخير العام، يُصدره من هو مسؤولٌ عن الجماعة"*

1977- *المسيح هو غاية الشريعة، وهو وحده يعلّم ويمنح برّ الله.*

1978- *الشريعة الطبيعية هي مشاركة الإنسان في حكمة الله وصلاحه، الإنسان الذي صُنع على صورة خالقه. هي تُعبّر عن كرامة الشخص البشريّ، وهي قاعدة حقوقه وواجباته الأساسية.*

1979- *الشريعة الطبيعية لا تتغيّر وهي مستمرّة في التاريخ. والقواعد التي تعبّر عنها تبقى قائمة في جوهرها. وهي أساسٌ ضروريٌّ لبناء القواعد الأخلاقية والشريعة المدنيّة.*

1980- *الشريعة القديمة هي الشريعة المُوحى بها في حالتها الأولى. وفرائضها الأخلاقية تختصرها الوصايا العشر.*

1981- *تحتوي شريعة موسى على حقائق عدّة يستطيع العقل البشريّ بلوغها. وقد أعلنها الله لأنّ الناس ما كانوا يقرأونها في قلوبهم.*

1982- *الشريعة القديمة هي تهيئةٌ للإنجيل.*

1983- *الشريعة الجديدة هي نعمة الروح القدس المُعطاة بالإيمان بالمسيح والفاعلةُ بالمحبّة. وهي تتبيّن على الخصوص في عظة الربّ على الجبل، وتستخدم الأسرار لتمنحنا النعمة.*

1984- *الشريعة الإنجيلية تتمّم الشريعة القديمة، وتتجاوزها، وتقودها إلى كمالها: كمالِ مواعيدها بتطويبات ملكوت السماوات، وكمل وصاياها باصلاح أصل الأفعال أي القلب.*

1985- *الشريعة الجديدة هي شريعة محبّة، وشريعة نعمة وشريعة حرّية.*

1986- *تحتوي الشريعة الجديدة، فضلاً عن فرائضها، على المشورات الإنجيلية. "قداسة الكنيسة تُغذّي بوجهٍ خاصٍّ بالمشورات العديدة التي عرضها الربُّ على تلاميذه في الإنجيل لكي يُمارسوها"*

المقال الثاني
النعمة والتبرير

1ً. التبرير

1987- إنّ نعمة الروح القدس قادرةٌ على تبريرنا، أي غسلنا من خطايانا وإعطائنا "برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح" وبالمعموديّة:
"إن كنّا قد مُتنا مع المسيح، نؤمن أنّا سنحيا أيضاً معه، عالمين أنّ المسيح، بعدما أقيم من بين الأموات، لا يموت أيضاً. فالموت لا يسود عليه من بعد. فإنّه بموته قد مات للخطيئة إلى الأبد، وبحياته يحيا لله. فكذلك أنتم أيضاً، احسبوا انفسكم أمواتاً للخطيئة، أحياءٌ لله في المسيح يسوع" (رو6: 8-11).
1988- بقوة الروح القدس يكون لنا نصيبٌ في آلام المسيح بالموت عن الخطيئة، وفي قيامته بالولادة لحياةٍ جديدة. اننا أعضاء جسده الذي هو الكنيسة، والأغصان المطعّمة مع الكرمة التي هو إيّاها.
"إننا بالروح لنا نصيبٌ في الله، وبالمشاركة في الروح نصبح مشاركين في الطبيعة الإلهية. لذلك فأولائك الذين يسكن فيهم الروح هو مؤلّهون."
1989- إنّ أول أعمال نعمة الروح القدس **التوبةُ** التي تصنع التبرير، بحسب ما أعلنه يسوع في مطلع الإنجيل: "توبوا، فإنّ ملكوت السماوات قريب" (متى4: 17). فالإنسان، بدافع من النعمة، يتّجه نحو الله، ويحيد عن الخطيئة، متقبّلاً هكذا المغفرة والبرّ من العلاء. "فالتبرير يحتوي إذن مغفرةَ الخطايا والتقديس وتجديد الإنسان الداخليّ".
1990- التبرير **يفصل الإنسان عن الخطيئة** التي تناقض محبّة الله، ويطهّر منها قلبه. والتبرير يتبع مبادرة رحمة الله التي تقدّم المغفرة. فيُصالح الإنسان مع الله، ويُحرّر من عبوديّة الخطيئة ويشفى.
1991- التبرير هو في الوقت ذاته **تقبّل برّ الله** بالإيمان بيسوع المسيح. ويدلّ البرُّ هنا على استقامة محبّة الله. ومع التبرير يُفاض في قلوبنا الإيمان والرجاء والمحبّة، وتُمنح لنا الطاعةُ لمشيئة الله.
1992- استحقّت لنا التبرير **آلام المسيح** الذي قدّم ذاتَه على الصليب ذبيحةً حيّةً مقدّسةً مرضيّةً لله، والذي صار دمُه أداة تكفير عن خطايا جميع البشر. ويُمنَح التبريرُ بالمعموديّة، سرّ الإيمان. فيجعلنا نشابه برّ الله الذي يُبرّرنا داخليّاً بقوّة رحمته. وغايتُه مجد الله والمسيح وموهبةُ الحياة الأبدية.
"أما الآن فقد اعتلن برّ الله بمعزلٍ عن الناموس، مشهوداً له من الناموس والأنبياء، برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى جميع الذين يؤمنون، إذ ليس من فوق: فالجميع قد خطئوا فأعوزهم مجد الله. والجميع بنعمته يُبرَّرون مجاناً، بالفداء الذي بالمسيح يسوع، الذي سبق الله فأقامه أداةَ تكفير بالإيمان بدمه، لإظهار برّه، بعد إذ تغاضى عن الخطايا السالفة في عهد صبره الإلهي، لإظهار برّه، إذن، في الزمان الحاضر باعتلانه بارّاً، ومُبرّراً من آمن بيسوع" (رو3: 21-26).
1993- التبرير ينشئ **التعاون بين نعمة الله وحرّية الإنسان.** ويَظهَرُ من جهة الإنسان في القبول الإيماني لكلام الله الذي يدعوه إلى التوبة، وفي المحبّة المتعاونة مع حافز الروح القدس الذي ينبّهه ويحفظه:
"عندما يلمس اللهُ قلب الإنسان بإنارة الروح القدس، لا يكون الإنسان بلا عمل، وهو يتقبّل ذلك الوحي، الذي يستطيع في كلّ حالٍ رفضَه. وفي الوقت ذاته لا يستطيع أيضاً بدون نعمة الله أن يُقبِل بإرادته الحرّة البرِّ أمامه."

1994- ان التبرير هو **العمل الأسمى الذي تقوم به محبّة الله** المعتلنة في المسيح يسوع، والتي يهبها الروح القدس. ويرى القديس أوغسطينوس "أنّ تبرير المنافق عملٌ أعظم من خلق السماء والأرض". لأنّ "السماءَ والأرضَ تزولان بينما خلاصُ المختارين وتبريرهم يَبقيان" بل هو يرى أنّ تبرير الخطأ يفوق خلق الملائكة في البر بكونه يؤكّد رحمةً أعظم.

1995- الروح القدس هو المعلّم في الداخل. وعندما يجعل التبريرُ "الإنسان الباطنيّ" يولّد، فهو يتضمّن **تقديس** الكائن كلّه:

"فكما أنكم قد جعلتم أعضائكم عبيداً للنجاسة والإثم، للإثم، إجعلوا الآن أعضاءكم عبيداً للبرّ، للقداسة. أما الآن، وقد أُعتنقتم من الخطيئة، فصرتم عبيداً لله، فإنّكم تحوزون ثمراً للقداسة، والعاقبةُ حياةٌ أبديّة" (رو 6: 19-22).

2ً. الندامة

1996- يأتي تبريرُنا من نعمة الله. والنعمة هي **جميلٌ وعونٌ مجّانيٌّ** يعطينا الله إيّاهما لتلبية ندائه بأن نصير أبناء الله، أبناءً بالتبنّي، مشاركين في الطبيعة الإلهية، وفي الحياة الأبديّة.

1997- النعمة **مشاركةٌ في حياة الله،** تُدخلنا في صميم الحياة الثالوثيّة: فبالمعموديّة يشترك المسيحيّ في نعمة المسيح رأس جسده. وبكونه "ابناً بالتبنّي" يستطيع أن يدعو الله "أبَا" بالاتحاد مع الابن الوحيد. وهو يتقبّل حياة الروح الذي ينفخ فيه المحبّة والذي يكوّن الكنيسة.

1998- هذه الدعوة إلى الحياة الأبدية **تفوق الطبيعة**. وهي خاضعةٌ تماماً لمبادرة الله المجّانية، لأنّه وحده يستطيع إظهار ذاته وإعطاءها. وهي تسمو على ما عند البشر، بل كلِّ خليقة، من إمكانات الإدراك وقوى الإرادة.

1999- نعمة المسيح هي الموهبة المجّانية التي يمنحنا بها الله حياته، فيسكبها الروح القدس في نفسنا لشفائها من الخطيئة، ولتقديسها: إنّها النعمة **المبرّرة أو المؤلّهة،** المقبولة في المعموديّة. إنّها فينا ينبوع عمل التقديس.

"إذن إن كان أحد في المسيح، فهو خليقةٌ جديدة، فالقديم قد اضمحلّ وكلُّ شيء قد تجدّد. والكلّ من الله الذي صالحنا مع نفسه بالمسيح" (2كو 5: 17-18.

2000- النعمة المبرّرة هي موهبةٍ عاديّة، استعدادٌ ثابت وفائق الطبيعة. يكمّل النفس ذاتها ليجعلها أهلاً لتعيش مع الله وتعمل بمحبّته. وتتميّز **النعمة العاديّة،** أي الاستعداد الدائم للعيش والعمل وفاقاً لنداء الله، من **النعم الحاليّة** التي تُطلق على المداخلات الإلهية إمّا في أساس التوبة وإمّا في مجرى عمل التقديس.

2001- إعداد الإنسان لتقبّل النعمة هو أيضاً من عمل النعمة. فهذه ضرورية لكي تُنير وتُساند مساهمتنا في التبرير بالإيمان والتقديس بالمحبّة. والله يُنهي فينا ما بدأه، "فهو يبدأ بحيث يجعلنا بعمله نُريد: وينهي بالتعاون مع إرادتنا وقد تابتْ".

"أجل نعمل نحن أيضاً، ولكننا لا نقوم إلاّ بالعمل مع الله الذي يعمل. لأنّ رحمته قد سبقتنا حتى نبْرأ، ولأنّها تتبعُنا أيضاً حتى إذا ما شُفينا تَنتعِش فينا الحياة، إنّها تسبقنا لنكون مدعوّين، وهي تتبعنا لنكون ممجّدين، إنّها تسبقنا لنحيا حياة التقوى، وتتبعُنا لنحيا أبداً مع الله لأننا بدونه لا نستطيع شيئاً".

2002- مبادرة الله الحرّة تستدعي **جواب الإنسان الحرّ،** لأن الله خلق الإنسان على صورته، إذ منحه مع الحرّية القدرة على معرفة محبّته. والنفسُ لا تدخل إلاّ بحرّيتها في وحدة المحبّة. فالله يلمس مباشرةً ويحرِّك مباشرةً قلب الإنسان. لقد جعل في الإنسان توقاً إلى الحق والخير لا يشبعُه سواه. ومواعيد "الحياة الأبديّة" تستجيب لهذا التوق استجابةً لا يدانيها رجاء:

"إذا كنتَ أنتَ، في نهاية أعمالك الحسنة جدّاً، قد استرحت في اليوم السابع، فذلك لكي تسبق وتقول لنا بصوت كتابك إنّنا في نهاية أعمالنا "الحسنة جدّاً" إذ إنّك أنت من أعطانا إيّاها، ونحن أيضاً في سبت الحياة الأبديّة سنستريح فيك".

2003- النعمة هي أوّلاً واساساً موهبة الروح الذي يبرّرنا ويقدّسنا. ولكن النعمة تحتوي أيضاً على المواهب التي يمنحنا إيّاها الروح ليُشركنا في عمله، ويجعلنا قادرين على المساهمة في خلاص الآخرين، وعلى إنماء جسد المسيح أي الكنيسة. **إنّها النعمة الأسرارية**، أي المواهب الخاصة بمختلف الأسرار. إنها، فضلاً عن ذلك، **النعم الخصوصية** المسمّاة **"مواهب"** بحسب التعبير اليوناني الذي استعمله القديس بولس، والذي يعني الجميل، العطيّة المجّانية، الإنعام. و"المواهبُ" هذه، مهما تكن خصائصها أحياناً غير عاديّة، من مثل موهبة العجائب أوالتكلّم بلغات، فهي مُعَدّة للنعمة المبرِّرة، وغايتُها خيرُ الكنيسة العام. إنّها في خدمة المحبّة التي تبني الكنيسة.

2004- ينبغي أن نذكر بين النعم الخصوصية **نِعَم الحالة** التي ترافق ممارسة مسؤوليات الحياة المسيحيّة والخِدَم في الكنيسة:
"وإذ لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاةِ لنا، فمَن أوتيَ النبوّة فليتكلّم بحسب قاعدة الإيمان، ومن أوتي الخدمة فليلازم الخدمة، والمعلّم التعليم، والواعظ الوعظ، والمتصدّقُ سلامة النيّة، والمدبّر الاجتهادّ والراحم البشاشة" (رو12:6-8).
2005- بما أنّ النعمة هي فوق الطبيعة، **فلا تقع تحت الاختبار** ولا نستطيع معرفتها إلاّ بالإيمان. فلا نستطيع إذن الاعتماد على عواطفنا أو أعمالنا لنستنتج أننا مبرّرون أو مخلّصون. ومع ذلك، فبحسب كلام الرب: "من ثمارهم تعرفونهم" (متى7: 20). يعطينا تبصّر إحسانات الله في حياتنا وحياة القديسين كفالةً بأنَّ النعمة تعمل فينا، ويحفزنا على إيمانٍ يعظم دوماً وموقف مَسْكنةٍ واثقة. نجد أحد أفضل التمثيل لهذا الموقف في جواب القديسة جان دارك عن سؤال مفخّخ من قضاتها الكنسيّين: "سُئلت هل تعرف أنها في حالة نعمة الله، فأجابت: أذا لم أكن فيها أرجو من فضل الله أن يجعلني فيها. وإذا كنت فيها أرجو من فضل الله أن يحفظني فيها".

3ً. الاستحقاق

2006- "إنّك ممجّد في جماعة القديسين، فعندما تكلّل استحقاقاتهم تُكلِّل مواهبك أنت".
كلمة "إستحقاق" تعني على العموم **الجزاء الواجب** على جماعةٍ أو مجتمع لعمل أحد الأعضاء، بكونه إحسانًا أو إساءة، أهلا للمكافأة أو العقاب. والاستحقاق يرجع إلى فضيلة العدالة بحسب مبدإِ المساواة الذي يسودها.
2007- ليس من استحقاق للإنسان تجاه الربّ بمقتضى حقٍّ بالمعنى الحصريّ. فالتفاوت بينه وبيننا لا قياس له، لأنّنا قد نلنا كل شيء منه، هو خالقنا.
2008- استحقاق الانسان عند الله، في الحياة المسيحية، يتأتّى من **تدبير الله الحرّ أن يشرك الإنسان في عمل النعمة.** فعمل الله الأبويّ هو الأول بدَفْعِه، وعملُ الإنسان الحرّ هو ثانٍ بمساهمته. بحيث يجب أن تُنسب استحقاقات الأعمال الصالحة إلى نعمة الله أولاً، وإلى المؤمن بعد ذلك. ومن ناحيةٍ أخرى، يعود استحقاقُ الإنسان نفسه إلى الله، لأنّ أعماله الصالحة تصدر في المسيح عن مبادراتٍ ومساعداتٍ من الروح القدس.
2009- إنّ بنوّتنا بالتبنّي، إذ تجعلنا مشاركين بالنعمة في الطبيعة الإلهية، تستطيع أن تولينا، بحسب عدالة الله المجانيّة، **استحقاقاً حقيقيّاً.** وهذا حقٌّ بالنعمة. وملءُ حقِّ المحبّة، الذي يجعلنا "وارثين مع" المسيح، وأهلاً للحصول على "ميراث الحياة الأبدية" الموعود. انّ استحقاقات أعمالنا الصالحة هي عطايا من جودة الله. "لقد سبقت النعمة، والآن نُعيد ما يجب علينا. الاستحقاقات هي عطايا من الله".

2010- بما أنّ المبادرة في مجال النعمة، هي الله، **فليس بإمكان أحدٍ أن يستحقّ النعمة الأولى** التي في أصل التوبة والمغفرة والتبرير. ونستطيع بعد ذلك، **بدافع من الروح** القدس والمحبة، **أن نستحقّ** لأنفسنا ولغيرنا النعمَ المفيدة لتقديسنا، ولنموّ النّعمة والمحبة، وللحصول على الحياة الأبديّة. ويمكن أيضاً، بحسب حكمة الله، استحقاق الخيرات الزمنيّة ذاتها، من مثل الصحّة، والصداقة. هذه النعم وهذه الخيرات هي موضوع الصلاة المسيحية. وهذه تلبّي احتياجَنا إلى النعمة في سبيل الأفعال ذات الاستحقاق.

2011- محبة المسيح هي فينا ينبوع استحقاقاتنا جميعها أمام الله. فالنعمة، إذ تجعلنا متّحدين بالمسيح بمحبّةٍ فاعلة، تُؤمِّن لأفعالنا الصفة الفائقة الطبيعة، وبالتالي، ما لها من استحقاق أمام الله وأمام البشر. والقدّيسون كانوا دوماً يَعُون شديداً أنّ استحقاقاتهم هي نعمةٌ محض.

"عندما ينتهي زمن منفاي على الأرض، رجائي أن أذهب وأنعم بك في الوطن. ولكني لا أريد أن أكدّس الاستحقاقات للسماء، أريد أن أعمل لأجل **حبّك وحده**. في مساء هذه الحياة سأظهر أمامك صفرَ اليدين، لأنّي لا أسألك، يا رب، أن تحسُب اعمالي. فكلّ برٍّ فينا لا يخلو من العيب في عينيك، أريد إذن أن أتلبّس **برَّك** أنت الخاصّ، وأن أتقبّل من **حُبّك** امتلاكك **أنت** إلى الأبد".

4ً. القداسة المسيحية

2012- إنّ الله في كلّ شيء يسعى لخير الذين يحبّونه. لأنّ الذين سبق فعرفهم سبق أيضاً فحدّد أن يكونوا مشابهين لصورة ابنه، فيكون هكذا بكراً ما بين إخوة كثيرين. فالذين سبق فحدّدهم إياهم دعا أيضاً، والذين دعاهم إيّاهم برّر أيضاً، والذين برّرهم أياهم مجّد أيضاً" (رو8:28-30).

2013- "إنّ الدعوة إلى ملءِ الحياة المسيحية وكمال المحبّة موجّهةٌ إلى جميع المؤمنين بالمسيح إيّاً كانت رتبتُهم وحالتُهم". كلّهم مدعوّون إلى القداسة: "كونوا كاملين كما انّ أباكم السماويّ هو كامل" (متى 5: 48).

"على المؤمنين أن يسعوا بكلّ قواهم، بمقدار موهبة المسيح، للحصول على هذا الكمال، حتى إذا نفَّذوا في كل شيء مشيئة الله يقفون ذواتهم، بكلّ نفوسهم، على مجد الله وخدمة القريب".

وهكذ تتَفَتّق قداسة شعب الله عن ثمارٍ وافرة، كما يشهد بذلك بوجهٍ ساطعٍ تاريخُ الكنيسة من خلال سيرة القديسين.

2014- يسعى التقدم الروحي إلى اتّحادٍ بالمسيح يزداد أبداً أُلفة. هذا الإتّحاد يُدعى "سرّيّاً"، لأنّه يشارك في سرّ المسيح بوساطة الأسرار "الأسرار المقدّسة" وفي المسيح يُشارك في سرّ الثالوث الأقدس. فالله يدعونا جميعاً إلى هذه الوحدة الأليفة معه، وإن لم تُمنَح نعمٌ خاصّةٌ بهذه الحياة السرّية، أو علامات خارقة لها، إلاّ لبعض الناس لإظهار العطيّة الممنوحة للكل.

2015- يمرّ طريق القداسة عبر الصليب. وليس من قداسةٍ تخلو من التجرّد ومن الجهاد الروحي. والتقدّم الروحي يتضمّن الجهاد والإماتة اللذين يؤدّيا تدريجاً إلى العيش في سلام التطويبات وفرحها.

"من يصعد لا يتوقّف أبداً عن الانطلاق من بداية إلى بداية، ببدايات ليس لها نهاية. من يصعد لا يتوقّف أبداً عن التوق إلى ما يعرفه من قبل".

2016- إنّ أولاد اكنيسة المقدّسة أمّنا يرجون عن حقٍّ **نعمة الثبات الأخير، ومكافأة** الله أبيهم، عن الأعمال الصالحة التي صنعوها بنعمته، وبالاتّحاد مع يسوع. والمؤمنون إذ يحافظون على قاعدة الحياة نفسها، يشاركون في "الرجاء السعيد" أولئك الذين تجمعهم رحمة الله في "المدينة المقدّسة"، أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند الله مهيّاة كالعروس المزيّنة لعريسها" (رؤ21: 2).

بإيجاز

2017- *نعمة الروح القدس تمنحنا برّ الله. والروح، إذ يجعلنا نتّحد بالإيمان والمعمودية بآلام المسيح وقيامته، ويجعلنا نشترك في حياته.*

2018- *التبرير كالتوبة له وجهان. فبدافع من النعمة يتوجّه الإنسان نحو الله ويحيد عن الخطيئة، فيتقبّل هكذا المغفرة والبرّ من العلاء.*

2919- *التبرير ينطوي على مغفرة الخطايا، وعلى التقديس، وعلى تجديد الإنسان الباطن.*

2020- *آلام المسيح استحقّت لنا التبرير. وقد مُنح لنا عبر المعمودية. وهو يصوّرنا على صورة برّ الله الذي يجعلنا أبراراً. غايته مجد الله والمسيح، وعطيّة الحياة الأبدية. إنّه أسمى أفعال رحمة الله.*

2021- *النعمة هي المساعدة التي يمنحها الله إيّاها للاستجابة لدعوتنا أي أن نصير أبناءه بالتبنّي. إنّها تدخل في مُؤالفة الحياة الثالوثية.*

2022- *المبادرة الإلهية في عمل النعمة تسبق وتهيّئ جواب الإنسان الحرّ. والنعمة تستجيب لتَوْق الحرّية البشرية العميق. وتدعوها للتعاون معها وتكمّلها.*

2023- *النعمة المبرّرة هي حياة الله التي يمنحنا إياها بعطيّة مجّانيّة، ويبثّها الروح القدس في نفسنا ليُبرئها من الخطيئة ويقدّسها.*

2024- *النعمة المبرّرة تجعلنا "مرضيّين لدى الله". "والمواهب" التي هي نعمٌ خصوصيّةٌ من الروح القدس، مُعَدَّةٌ للنعمة المُبرّرة، وغايتها خير الكنيسة العام. ويعمل الله أيضاً بالنعم الحاليّة المتعدّدة المميّزة من النعم العاديّة الدائمة فينا.*

2025- *ليس لنا من استحقاق أمام الله إلا بقصد الله الحرّ ان يُشرك الإنسان في عمل نعمته. والاستحقاق يعود أوّلاً إلى نعمة الله، وثانياً إلى تعاون الإنسان. إنّ استحقاق الإنسان يعود إلى الله.*

2026- *تستطيع نعمة الروح القدس، بفعل بنوّتنا بالتبنّي، أن تولينا استحقاقاً حقيقيّاً وفاقاً لعدالة الله المجانيّة. والمحبّة هي فينا الينبوع الرئيس للإستحقاق أمام الله.*

2027- *ليس بإمكان أحد أن يستحقّ النعمة الأولى التي هي في أصل التوبة. ونستطيع، بدافع من الروح القدسي، ان نستحقّ لأنفسنا ولغيرنا جميع النعم المفيدة لبلوغ الحياة الأبدية، وكذلك الخيرات الزمنية الضرورية.*

2028- *"إنّ الدعوة إلى ملء الحياة المسيحية وكمال المحبّة موجّهةٌ إلى جميع المؤمنين بالمسيح". "والكمال المسيحيّ ليس له سوى حدٍّ واحد وهو أن لا يكون له حدّ".*

2029- *"من أراد أن يتبعني، فليكفر بنفسه، وليحمل صليبه، ويتبعني"(متى 16: 24).*

المقال الثالث

الكنيسة أمٌّ ومعلّمة

2030- المسيحي إنّما يحقّق دعوته في الكنيسة، بالاتّحاد مع جميع المعمّدين. فمن الكنيسة يتقبّل كلام الله الذي يحوي تعاليم "شريعة الله". ومن الكنيسة يتقبّل نعمة الأسرار التي تحفظه في "الطريق". من الكنيسة يتعلّم **مثل القداسة**، فيعرف وجهها ومصدرها في العذراء مريم الكاملة القداسة، ويتبيّنها في من يعيشها بشهادة أصيلة، ويكتشفها في التقليد الروحي، وفي التاريخ الطويل لمن سبقه من القدّيسين الذين تحتفل بهم الليترجيا في إيقاعها اليومي.

2031- الحياة الأخلاقيّة هي عبادةٌ روحيّة. إذ "نقرّب أجسادنا ذبيحةً حيّة، مقدسةً، مرضيّةً لله"، ضمن جسد المسيح الذي نؤلّفه، وبالاتّحاد بتقدمة الافخارستيّا. ففي الليترجيا والاحتفال بالأسرار، تمتزج الصلاة والتعليم بنعمة المسيح لإنارة السلوك المسيحيّ وتغذيته. وتجد الحياة الأخلاقية، مِثل مجموع الحياة المسيحية، مصدرها وذروتها في ذبيحة الافخارستيّا.

1. الحياة الأخلاقية وسلطة الكنيسة التعليميّة

2032- إنّ الكنيسة التي هي "عمود الحقّ وقاعدته" (1تي3: 15) "قد تسلّمت من الرسل وصيّة المسيح الرسميّة بنشر حقيقة الخلاص". يعود إلى الكنيسة، في كلّ زمانْ ومكان، حتى فيما يتعلّق بالنظام الاجتماعي، أن تُعلن مبادئ الأخلاق، وتُدليّ برأيها في شتّى الأمور البشرية بقدر ما تقتضي ذلك حقوق الشخص الأساسيّة وخلاص النفوس".

2033- إنّ سلطة رعاة الكنيسة التعليميّة في المجال الأخلاقيّ تمارس عادةً في التعليم الديني والوعظ، بمساعدة مؤلّفات اللاهوتيين والكتّاب الروحيّين. وهكذا نُقلت من جيل إلى جيل، بإشراف الرعاة وعنايتهم، "وديعة" الأخلاق المسيحية، المؤلّفة من مجموعةٍ متميّزةٍ من القواعد والوصايا والفضائل، المتأتّية من الإيمان بالمسيح، والحيّة بالمحبّة. واتّخذ هذا التعليم الدينيّ أساساً تقليديّاً له، مع قانون الإيمان والصلاة الربيّة، الوصايا العشر التي تُعلن مبادئ الحياة الأخلاقية الصالحة لجميع الناس.

2034- الحبر الروماني والأساقفة، هم "المعلمون الأصليون الذين قُلِّدوا سلطةَ المسيح، يُعلنون للشعب الذي ائتُمِنوا عليه الإيمان الذي يجب أن ينظِّم تفكيره ومسلكه". إنّ **سلطان** البابا والأساقفة المتّحدين به، **التعليميّ العاديّ** يلقِّن المؤمنين الحقيقة التي يجب الإيمان بها، والمحبّة التي تجب ممارستها، والسعادة التي يجب ترجّيها.

2035- الدرجة العليا في المشاركة في سلطة المسيح تؤمّنها موهبة **العصمة.** وهذه تمتدُّ امتدادَ وديعة الوحي الإلهيّ. وتمتدُّ أيضاً إلى جميع عناصر العقيدة، ومنها الأخلاقية، التي بدونها لا يمكن حقائق الإيمان الخلاصيّة أن تُصان أو تُعْرّض أو تُحفظ.

2036- تمتدُّ السلطة التعليميّة كذلك إلى الفرائض الخاصّة **بالشريعة الطبيعية،** لأنَّ حِفظها الذي يطلبه الخالق ضروريٌّ للخلاص. والكنيسة إذ تذكّر بسلطانها التعليميّ بفرائض الشريعة الطبيعية، تُمارس قسطاً أساسيّاً من وظيفتها النبويّة، بأن تُعلن للناس ما هي حقيقتهم، وتذكّرهم بما يجب أن يكونوا أمام الله.

2037- ان الكنيسة التي أودعها الله شريعته تُعلّمها للمؤمنين طريقاً للحياة وللحقيقة. لذلك كان للمؤمنين **الحق** في أن يُعلِّموا الفرائض الإلهية الخلاصيّة التي تنقّي الحُكم، وتشفي، مع النعمة، العقل البشري الجريح. وعليهم **الواجب** أن يحفظوا القوانين والرسوم الصادرة عن سلطة الكنيسة الشرعيّة. وهذه الرسوم، وإن كانت تنظيميّة، تقتضي الانقياد بالمحبة.

2038- تحتاج الكنيسة، في عمل التعليم وتطبيق الأخلاق المسيحيّة، إلى بذل الذات عند الرعاة، وإلى علم اللاهوتيّين، ومساهمة جميع المسيحيّين وذوي الإرادة الصالحة من الناس. يوفّر الإيمان وممارسة الإنجيل لكلّ واحدٍ خبرة الحياة "في المسيح" التي تنيره وتجعله قادراً على تقويم الحقائق الإلهية والإنسانية بحسب روح الله. وهكذا يستطيع الروح القدس أن يستخدم الأوضع من الناس ليُنير العلماء والأعلى مرتبة.

2039- لابدّ من تأدية الخِدَم بروح الخدمة الأخويّة والبذل في سبيل الكنيسة باسم الربّ. وفي الوقت عينه، لا بدّ لضمير كلّ واحدٍ من أن يتجنّب، في حُكمه الأخلاقي على أفعاله الشخصية، التقيّد باعتبارات شخصيّة. وعليه أن يسعى جهده إلى الانفتاح على اعتبار خير الجميع كما يبدو

في الشريعة الأخلاقيّة، الطبيعيّة الموحى بها، وبالتالي في شريعة الكنيسة وفي تعليم السلطة الرسميّ عن المسائل الأخلاقية. لا ينبغي أن يكون هناك تعارضٌ بين الضمير الشخصيّ والعقل من جهة، والشريعة الأخلاقيّة أو السلطة التعليميّة من جهة أخرى.

2040- هكذا يمكن أن تنمو بين المسحيّين **روحٌ نبويّة حقيقيّة تجاه الكنيسة.** إنّها التفتُّق الطبيعيّ لنعمة المعمودية التي وَلَدتْنا في حضن الكنيسة، وصيّرتنا أعضاء جسد المسيح. والكنيسة تمنحنا، في عناية الأم، رحمة الله التي تتغلّب على جميع خطايانا، وتكون فاعلةً بوجهٍ خاص في سرّ المصالحة. وهي توفّر لنا أيضاً في ليترجيّاها، يوماً بعد يوم، غذاء كلام الربّ وإفخارستيّاه.

2ً. وصايا الكنيسة

2041- تقع وصايا الكنيسة في هذا السياق من الحياة الأخلاقية المرتبطة بالحياة الليترجيّة المتغذّية بها. والصفة الإلزامية لهذه الشرائع الوضعية الصادرة عن السلطات الرعائيّة غايتها أن تكفل للمؤمنين الحدّ الأدنى الذي لا بدّ منه في روح الصلاة، وفي الجهد الأخلاقي، وفي نموّ محبة الله والقريب.

2042- الوصيّة الأولى ("احضر القداس أيام الآحاد وسائر الأعياد المأمور بها، وامتنع عن الأعمال المأجورة") تطلب من المؤمنين أن يُقدّسوا يوم تذكار قيامة الربّ وأهم الأعياد الليترجية التي تكرّم أسرار الربّ والعذراء الطوباوية والقدّيسين، وذلك بالمشاركة أولاً في الاحتفال الإفخارستيّ الذي تجتمع فيه الجماعة المسيحية، وتطلب منهم أيضاً الامتناع عن الأشغال والأعمال التجارية التي يمكنها ان تمنعهم من تقديس تلك الأيام.

الوصية الثانية ("اعترف بخطاياك كلّها على الأقل مرّة في السنة") تؤمّن الاستعداد للإفارستيا بتقبّل سر المصالحة، الذي يتابع عمل المعمودية في التوبة والمغفرة.

الوصية الثالثة ("تناول سرّ الإفارستيا على الأقل في الفصح") تكفل الحدّ الأدنى لتناول جسد الرب ودمه على صلة بالأعياد الفصحية أصل الليتريا المسيحية وقلبها.

2043- الوصية الرابعة ("انقطع عن أكل اللحم وصُم الصوم في الأيام التي تقرُّها الكنيسة") تؤمّن أوقات الجهاد والتوبة التي تُهيّئنا للأعياد الليتُرجيّة، وتُمكّننا من التسلّط على غرائزنا من حريّة القلب.

الوصيّة الخامسة ("ساعد الكنيسة في احتياجاتها") تذكّر المؤمنين بواجب تأمين احتياجات الكنيسة الماديّة، كلّ بحسب إمكاناته.

3ً. الحياة الخلقيّة والشهادة الإرسالية

2044- أمانة المعمّدين شرط أوّليٌّ لإعلان الإنجيل **ولرسالة الكنيسة في العالم.** ولا بدّ لرسالة الخلاص من أن تثبّتها شهادة حياة المسيحيين لتُظهر للناس قوةَ حقيقتها وإشعائها. "إنّ شهادة الحياة المسيحية والأعمال التي تُعمّل بروحٍ فائق الطبيعة، لها قدرةٌ على اجتذاب الناس إلى الإيمان وإلى الله".

2045- بما أن المسيحيين هم أعضاء الجسد الذي رأسه المسيح، فهُم يساهمون بصمود عقيدتهم وأخلاقهم في **بناء الكنيسة.** فالكنيسة تكبر، وتنمو وتتطوّر بقداسة مؤمنيها، إلى ان يتكوّن الإنسان البالغ، إلى ملء اكتمال المسيح (أف4: 13).

2046- يعجّل المسيحيون، بحياتهم حسب المسيح، **مجيء ملكوت الله،** "ملكوت العدالة والحقيقة والسلام". وهم لا يتخلّون في سبيل ذلك عن مهامّهم الأرضية، بل تحملُهم أمانتهُم للمعلّم على تأديتها باستقامةٍ وصبرٍ ومحبة.

بإيجاز

2047- *الحياة الأخلاقية هي عبادة روحيّة. والتصرّف المسيحيّ يجد غذاءَه في الليترجيا وإقامة الأسرار.*
2048- *وصايا الكنيسة تتعلّق بالحياة الأخلاقية والمسيحية المتّحدة بالليترجيا والمتغذّية بها.*
2049- *سلطة رعاة الكنيسة التعليميّة في المجال الأخلاقي تُمارَس عادةً في التعليم الدينيّ الوعظ، على قاعدة الوصايا العشر، التي تُعلن مبادئ الحياة الأخلاقية الصالحة لجميع الناس.*
2050- *الحبر الروماني والأساقفة، وهم المعلّمون الأصيلون، يعلنون لشعب الله الإيمان الذي يجب اعتقاده والسلوك بموجبه. ولهم أيضاً أن يبدوا الرأي في المسائل الأخلاقية المتّصلة بالشريعة الطبيعيّة وبالعقل.*
2051- عصمة سلطة الرعاة التعليميّة تمتدّ إلى جميع عناصر العقيدة، ومنها الأخلاقيّة، التي بدونها لا يمكن حقائق الإيمان الخلاصيّة أن تُصان أو تُعرض أو تُحفظ.

الوصايا العشر

خروج 20: 2-17	تثنية الاشتراع 5: 6-21	الصيغة التعليمية
"أنا الرب إلهك، الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية.	"أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية	1- أنا الربّ إلهُك
لا يكن لك آلهةٌ أخرى تجاهي. لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في المياة من تحت الأرض. لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ لأنّي أنا الربّ إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في البنين إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ. وأصنع رحمة إلى ألوفٍ من محبّيَّ وحافظي وصاياي.	لا يكن لك آلهةٌ أخرى تُجاهي	لا يكن لك إلهٌ غيري
لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يزكّي من يحلف باسمه باطلاً.	لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً	2- لا تحلف باسم الله بالباطل
اذكر يوم السبت لتقدّسه. في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك، واليوم السابع سبت للربّ إلهك. لا تصنع فيه عملاً لك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك.	احفظ يوم السبت وقدّسه	3- احفظ يوم الرب

لأن الرب في ستّة أيام خلق السماوات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه.

أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض. التي يعطيك الرب إلهك.

4- أكرم أباك وأمّك

أكرم أباك وأمك

لا تقتلْ.

لا تقتلْ

5- لا تقتلْ

لا تزنِ.

لا تزنِ

6- لا تزنِ

لا تسرقْ.

لا تسرقْ

7- لا تسرقْ

لا تشهد على قريبك شهادة زور.

لا تشهد على صاحبك شهادة زور

8- لا تشهد بالزور

لا تشتهِ بيت قريبك ولا تشته امرأة قريبك.

لا تشتهِ امرأة قريبك

9- لا تشته امرأة قريبك.

ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك.

لا تشتهِ شيئاً مما لصاحبك

10- لا تشته مقتنى غيرك

القسم الثاني
الوصايا العشر

"يا معلم ماذا عليّ أن أفعل..؟"

2052- "يا معلّم، ماذا عليّ أن أفعل من الصلاح لأحرز الحياة الأبديّة؟" أجاب يسوع الشابَّ الذي طرح عليه هذا السؤال، أوّلاً بالتذكير بضرورة الاعتراف بالله أنّه "الصالح وحده"، أنّه الخير الأسمى، وينبوع كلّ خير. ثم قال له يسوع: "إن شئتَ أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا". وذكر لمُحدِّثه الوصايا المتعلّقة بمحبة القريب. "لا تقتل،لاتزن، لا تسرق،لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك"، واخيراً لخّص يسوع تلك الوصايا على نحو إيجابي: "أحبب قريبك كنفسك"(متى19: 16-19).

2053- إلى هذا الجواب الأول أضاف جواباً ثانياً: "إن شئت ان تكون كاملاً، فاذهب وبعْ ما لك، واعطه للمعوزين، فيكون لك كنزٌ في السماوات، ثم تعالَ اتبعني" (متى19: 21). وهو لايُلغي الجواب الأول. فاتّباع يسوع المسيح يقتضي حفظَ الوصايا. والشريعة لم تُبطل، ولكنّ الإنسان مدعوٌّ إلى أن يجدها في شخص معلّمه الذي هو تحقيقُها الكامل. في الأناجيل الثلاثة الإزائية، تُقارب دعوة يسوع الشابَّ الغنيّ إلى اتّباعه في طاعة التلميذ وحفظ الفرائض، الدعوة إلى الفقر والطهارة. فالمشورات الانجيلية لا تنفصل عن الوصايا.

2054- لقد أعاد يسوع الوصايا العشر، ولكنّه أظهر قوّةَ الروح القدس العامِلة في حّرْفها. لقد كرز بالبرّ الذي يزيد على ما للكتبة والفريسين وما للوثنيّين. وبسط كلّ ما تقتضيه الوصايا: "سمعتم أنّه قيل للأقدمين: لا تقتل.... أما أنا فأقول لكم: إنّ كلّ من غضب على أخيه يستوجب المحاكمة" (متى5: 21-22).

2055- عندما يُطرح عليه السؤال: "ما أعظم الوصايا في الناموس؟" (متى22: 36)، يجيب يسوع: "أحبب الربّ إلهك بكلِّ قلبك، وكلّ نفسك، وكلّ ذهنك، هذه هي الوصيّة الكبرى والأولى. والثانية تشبهها: أحبب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيّتين يتعلّق الناموس كلّه والأنبياء" (متى22: 37-40). فالوصايا العشر يجب أن تُشرح في ضوء هذه الوصيّة المزدوجة الواحدة، وصية المحبة، كمال الشريعة:

"إن هذه الوصايا: "لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تشته"، وكلّ وصية أخرى تُلخّص في هذه الكلمة: "أحبب قريبك كنفسك". ان المحبّة لا تصنع بالقريب شرّاً، فالمحبّة إذن هي تمام الناموس" (رو13: 9-10).

الوصايا العشر في الكتاب المقدس

2056- تعني كلمة "الوصايا العشر" حرفيّاً "كلمات عشر" (خروج34: 28)، (تثنية4: 13، 10:4). هذه الكلمات العشر أوحى بها الله إلى شعبه في الجبل المقدس. لقد كتبها "بإصبعه" بخلاف الفرائض الأخرى التي كتبها موسى. إنّها كلمات الله بوجهٍ ممتاز، نُقلت إلينا في سفر الخروج، وفي سفر تثنية الاشتراع. والكتب المقدّسة منذ العهد القديم تُرجع إلى "الكلمات العشر"، ولكنّ معناها الكامل إنّما كُشف عنه في العهد الجديد بيسوع المسيح.

2057- تُفهَم الوصايا العشر أوّلاً في قرينة الخروج، الذي هو حَدثُ الله التحريريُّ الكبير وسط العهد القديم. وسواءٌ اتّخذت صيغة فرائض سلبيّةٍ ناهية، أو صيغة وصايا ايجابيّة (مثل: "أكرم أباك وأمك"), "فالكلمات العشر" تبيّن شروطَ حياةٍ مُحرَّرةٍ من عبودية الخطيئة. الوصايا العشر هي طريقُ حياة:

"إنْ أحببت إلهك، وسرتَ في طُرقه، وحفظتَ وصاياه ورسومه وأحكامه، تحيا وتكثر" (تث5: 15).

قوّة الوصايا العشر التحريريّة هذه تَظهر مثلاً في وصيّة راحة السبت الموجّهة أيضاً إلى الغرباء والعبيد:

"أُذكر أنّك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الربُّ إلهكَ من هناك بيدٍ قديرةٍ وذراعٍ مبسوطة" (تث5: 15).

2058- "الكلمات العشر" تختصر وتُعلن شريعة الله: "هذه الكلمات كلّم الربُّ بها جماعتكم كلّها في الجبل من وسّط النار والغمام والدَّجن بصوتٍ عظيم، ولم يَزد، وكتبها على لوحي الحجر ودفعهما إليَّ" (تث5: 22). فهي تحوي بنود العهد الذي أُقيم بين الله والشعب. و"ألواح الشهادة" هذه (خرو31: 18، 32: 15، 34: 29) يجب أن تودَعَ في "التابوت" (خرو25: 16، 40: 1-2).

2059- نطق الله "بالكلمات العشر" وسط ظهورٍ إلهيّ ("في الجبل، من وسط النار، كلّمكم الربُّ وجهاً لوجه": تث 5: 4). إنّها تخصّ ما كشفه الله عن ذاته وعن مجده. فعطيّة الوصايا هي عطيّة اللهِ نفسه ومشيئتِه القدّوسة. والله يكشف عن نفسه لشعبه عندما يعرّف مشيئاته.

2060- عطيّة الوصايا العشر جزءٌ من العهد الذي قطعه الله مع شعبه. وبحسب سفر الخروج، فإنّ الكشف عن "الكلمات العشر" تمَّ بين عَرْض العهد وبتّه، بعد أن التزم الشعب "بفعل" كلّ ما تكلّم به الربّ و"الائتمار" به. ولم تُنقَل الوصايا العشر أبداً إلاّ بعد التذكير بالعهد ("إنّ الربّ إلهنا قد بتّ معنا عهداً في حوريب" تث5: 2).

2061- تتّخذ الوصايا كامل معانيها في صميم العهد. فبحسب الكتاب، يتّخذ تصرّف الإنسان الأخلاقي كاملَ معناه في العهد وبه. والأوّل بين "الكلمات العشر" تذكّر بحبّ الله الأول لشعبه:

"بما أنه كان هناك لمعاقبة الخطيئة مرورٌ من فردوس الحرّية إلى عبودية هذا العالم، لذلك أوّلُ عبارة من الوصايا العشر، أوّل كلمةٍ من وصايا الله، تتناول الحرّية: "أنا الربّ إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من دار العبوديّة" (خروج20: 2، تث5: 6).

2062- الوصايا بالمعنى الدقيق تأتي في المرتبة الثانية. وتعبّر عن مقتضيات انتمائنا الذي أقامه العهد إلى الله. والوجود الأخلاقي هو **جوابٌ** عن مبادرة الرب المُحِبّة. إنّها حمدٌ وإجلال لله، وعبادة ُشكر، إنّها مساهمة في ما لله من تدبيرٍ في التاريخ.

2063- يُثبت أيضاً العهد والحوارَ بين الله والإنسان كونُ جميع الواجبات معلَنةً بصيغة المتكلّم "أنا الربّ..." موجّهةً إلى شخص آخر "أنت". في جميع وصايا الله يُعيّن ضميرٌ **مُفرد** مَن تُوجّه إليه. فالله يعلم بإرادته في آنٍ واحدٍ جميع الشعب وكلّ واحدٍ خصوصاً:

"لقد فرض الربُّ المحبّة تجاه الله، وعلّم العدلَ تجاه القريب، حتى لا يكون الإنسانُ ظالماً أو غير أهل لله. وهكذا كان الله بالوصايا العشر يهيّئ الإنسان ليصير صديقه، ولكي يكون له مع القريب قلبٌ واحد. وكلمات الوصايا العشر باقيةٌ كذلك عندنا (نحن المسيحيين). وهي ليس فقط لم تُبطل بل إنّها كبُرت ونمت من جراء مجيء الربّ في الجسد".

الوصايا العشر في تقليد الكنيسة

2064- إنّ تقليد الكنيسة الأمين للكتاب والمُتَّبع مثَل يسوع قد اعترف للوصايا العشر بأهميةٍ ومدلولٍ أساسيّين.

2065- فمنذ القديس أوغسطينوس كان "للوصايا العشر" مكانةٌ راجحة في التعليم الدينيّ الذي يُلقى على من سيُعمّد وعلى المؤمنين. في القرن الخامس عشر درج الناس على التعبير عن فرائض الوصايا العشر بصيغ مسجّعة، سهلة الحفظ وإيجابيّة. ولا تزال قيد الاستعمال اليوم. وكُتُب التعليم الدينيّ في الكنيسة كثيراً ما بسطت الأخلاقيّة المسيحية بحسب ترتيب "الوصايا العشر".

2066- تقسيم الوصايا وترقيمها تغيّر في خلال التاريخ. وكتاب التعليم الديني هذا يتّبع تقسيم الوصايا التي وضعه القديس أوغسطينوس، واصبح تقليديّاً في الكنيسة الكاثوليكية. وهو نفسه قائم في الجماعات اللوثرية. وقد جرى الآباء اليونانيّون تقسيماً يختلف بعض الاختلاف، وهو قائم في الكنائس الأرثوذكسيّة وجماعات الاصلاح.

2067- تعلِن الوصايا العشر مطالب محبّة الله والقريب. الثلاث الأولى أكثر تعلّقاً بمحبة الله، والسبع الأخرى بمحبّة القريب.

"بما أنّ المحبّة تتضمّن فريضتين يتعلّق بهما الناموس كلّه والأنبياء، فهكذا تُقسّم الفرائض العشر نفسها إلى لوحين، كُتبت ثلاثٌ على الواحد وسبعٌ على ألاخر".

2068- يعلّم المجمع التريدنتيني أنّ الوصايا العشر تُلزم المسيحين وأنّ الإنسان المُبَرَّر مُلزمٌ بحفظها. ويؤكّد المجمع الفاتيكاني الثاني: "انّ الأساقفة خلفاء الرسل تسلّموا من الرب الرسالة بأن يُعلّموا جميع الأمم، ويبشّروا بالإنجيل كلَّ خليقة، لكي ينال جميعُ الناس، بالإيمان والمعموديّة والعمل بالوصايا، خلاصَهم".

وحدة الوصايا العشر

2069- تؤلّف الوصايا العشر كلاّ لا يتحزّأ. وكلُّ "كلمة" تُرجع إلى كلّ واحدةٍ أخرى وإليها جميعاً، وهي مترابطةٌ بعضها ببعض. واللوحان يُنيرُ أحدهما الآخر، وهما يؤلّفان وحدةً عضوية. ومخالفةُ أيّ وصيّة مخالفةٌ لها كلّها. فلا يمكن إكرام الآخرين دون مباركة الله خالقهم. ولا تمكن عبادةُ الله دون محبّة جميع الناس خلائقه. ان الوصايا العشر توحّد حياة الإنسان اللاهوتيّة وحياته الاجتماعية.

الوصايا العشر والشريعة الطبيعيّة

2070- الوصايا العشر هي من وحي الله. وهي تعلّمنا، في الوقت ذاته، إنسانيّة الإنسان الحقيقيّة. إنّها توضح الواجبات الأساسيّة، وبالتالي، بوجه غير مباشر، الحقوق الأساسيّة المتّصلة بطبيعة الشخص البشريّ. فالوصايا العشر تحوي تعبيراً مميّزا عن "الشريعة الطبيعية":

"وكان الله منذ البدء قد غرس في قلب البشر فرائض الشريعة الطبيعية. واكتفى بادئ الأمر بتذكيرهم بها. فكانت الوصايا العشر – التي إن لم يعمل بها الإنسان لا ينال الخلاص -، ولم يطلب شيء آخر منهم".

2071- الوصايا العشر، وإن كانت في متناول العقل، قد أوحى الله بها، فالبشريّة الخاطئة كانت بحاجة إلى هذا الوحي لتبليغ معرفةً كاملةً وأكيدةً لمقتضيات الشريعة الطبيعيّة:

"إنّ شرحاً وافياً للوصايا العشر كان قد أضحى ضروريّاً في حالة الخطيئة، بسبب إظلام نور العقل وانحراف الإرادة.

نعرف وصايا الله بالوحي الإلهيّ الذي تعرضه علينا الكنيسة، وبصوت الضمير الأخلاقيّ.

إلزام الوصايا العشر

2072- لانّ الوصايا العشر تعبّر عن واجبات الإنسان الأساسيّة تجاه الله وتجاه قريبه، فهي تبيّن في مضمونها الأوّليّ واجبات **خطيرة.** إنّها في جوهرها لا تقبل التغيير، وإلزامُها ثابتٌ أبداً وفي كلّ مكان. ليس في استطاعة احدٍ أن يعفي منها. لقد حفر الله الوصايا العشر في قلب كلّ كائنٍ بشريّ.

2973- الطاعة للواصايا تتضمّن أيضاً واجباتٍ مادّتُها في ذاتها خفيفة. فالشتيمة بالكلام مثلاً تنهي عنها الوصيّة الخامسة، ولكنّها لن تصبح خطيئة جسيمة إلاّ بالنظر إلى الظروف أو نيّة من يتلفّظ بها.

"بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً"

2074- قال يسوع: أنا الكرمة وانتم الأغصان، من يثبت فيّ وأنا فيه، فهو يأتي بثمر كثير، فإنّكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً" (يو15: 5). والثمر المذكور في هذا الكلام هو قداسة الحياة التي يُخصبها الاتحاد بالمسيح، فعندما نؤمن بيسوع المسيح، ونشترك في أسراره ونحفظ وصاياه، يأتي المخلّص بذاته ليحبّ فينا أباه واخوته، وأبانا واخوتنا. ويصبح شخصه، بفضل الروح القدس، القاعدة الحيّة والداخليّة لعملنا. "هذه وصيّتي: أن يحبَّ بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا" (يو15:12).

بإيجاز

2075- "ماذا عليّ أن أعمل من الصلاح لأحرز الحياة الأبديّة؟ -إن شئت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا" (متى19: 16-17).

2076- *لقد أثبت يسوع، بسلوكه ووعظه، دوام الوصايا العشر.*

2077- *تمنح عطيّة الوصايا العشر في صميم العهد الذي قطعه الله مع شعبه. وتتّخذ وصايا الله معناها الحقيقيّ في هذا العهد وبه.*

2078- *إنّ تقليد الكنيسة، الأمين للكتاب، المتّبع مَثَل يسوع، قد اعترف للوصايا العشر بأهّميةٍ ومدلولٍ أساسيّين.*

2079- *تؤلّف الوصايا العشر وحدةً عضويّة، تُرجع فيها كلُّ "كلمة"، أو "وصيّة" إلى مجموعها. ومخالفة أيّ وصيّةٍ مخالفةٌ لها كلّها.*
2080- *الوصايا العشر تحوي تعبيراً مميّزاً عن "الشريعة الطبيعية". ونحن نعرفها بالوحي الإلهيّ والعقل البشري.*
2081- *تُعلنُ الوصايا العشر، في مضمونها الأساسيّ، واجباتٍ خطيرة. بيد أنّ إطاعة هذه الفرائض تتضمن أيضاً واجباتٍ مادّتُها في ذاتها خفيفة.*
2082- *ما يأمر به الربُّ يجعله بنعمته مُمكِناً.*

----- الفصل الأول -----
"أحبِب الربَّ إلهك بكلِّ قلبك وكلِّ نفسك وكلِّ ذهنكَ"

2083- لقد اختصر يسوع واجبات الإنسان تجاه الله بهذا الكلام: "أحبب الربَّ إلهك بكلّ قلبك وكلّ نفسك وكلّ ذهنِك" (متى22: 37). وهذا الكلام صدًى مباشرٌ للدعوة العظيمة: "إسمع يا إسرائيل: إنّ الربّ إلهنا ربٌّ واحد" (تث6: 4).
الله أحبّ أوّلاً. ومحبّة الله الواحد تذكّر بها أولى "الكلمات العشرة". والوصايا تشرح في ما بعد جواب المحبّة المطلوب من الإنسان تأديتُه لإلهه.

المقال الأول
الوصيّة الأولى

"أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من دار العبوديّة. لا يكُن لك آلهة أخرى تجاهي. لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيءٍ مما في السماء من فوق ولا مّما في الأرض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الأرض. لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ" (خروج20: 2-5).
"إنه مكتوب للربّ إلهك تسجد. وإيّاه وحده تعبُد" (متى4: 10).

1ُ. "للربِّ إلهكَ تسجُد وإيّاه تعبُد"

2084- يُعرّف الله ذاته بالتّذكير بفعله القدير والعطوف والمحرِّر في تاريخ مّنْ يتوجّه إليه: "لقد أخرجتك من أرض مصر، من دار العبوديّة" (تث5: 6). والكلمة الأولى تتضمّن أولى وصايا الشريعة: "للربّ إلهك تسجد، وإيّاه تعبد... لا تسيروا وراء آلهة أخرى" (تث6: 13-14). فدعوة الله الأولى ومَطْلبُه العادل هو أن يتقبّله الإنسان ويعبده.
2085- لقد كشف الله الواحد والحقيقيّ عن مجده لإسرائيل. والكشفُ عن دعوة الإنسان وحقيقته مرتبطٌ بالكشف عن الله. فدعوة الإنسان هي لأن يُظهر الله بسلوكه سلوكاً يتوافق مع خَلْقه "على صورة الله كمثاله" (تك1: 26).
"لن يكون هناك أبداً إلهٌ آخر، يا تريفون، ولم يكن آخر، منذ قرون سوى من صَنع ونسّق الكوْن. لا نُفكّر بأنّ إلهنا يختلف عن إلهكم. إنه هو هو الذي أخرج آباءكم من مصر "بيده القديرة وذراعه المبسوطة". نحن لا ننوط بغيره رجاءَنا، وليس هناك غيره، بل بإلهكم نفسه، إله ابراهيم واسحق ويعقوب".
2086- "الوصيّة الأولى تتناول الإيمان والرجاء والمحبّة. فمن يتكلّم على الله يتكلّم على كائن دائم، لا يتغيّر، هو هو دائماً، أمين، كامل العدالة. وينتج من ذلك أنّ علينا بالضرورة قبول كلامه.

ووضعَ إيمانٍ وثقةٍ كاملين فيه. ومَن يستطيع أن لا يعلّق عليه كل آماله؟ ومن يستطيع أن لا يُحبّه عندما يشاهد كنوز الجودة والحنان التي أفاضها علينا؟ من هنا العبارة التي يستعملها الله في الكتاب المقدّس، إمّا في بدء وصاياه وإمّا في ختامها: "أنا الربّ".

الإيمان

2087- تجد حياتُنا الأخلاقيّة ينبوعها في الإيمان بالله الذي يكشف لنا محبّته. ويتكلّم القدّيس بولس عن "طاعة الإيمان" كالواجب الأوّل. ويبيّن أنّ "عدم معرفة الله" هو مبدأ كلّ الانحرافات الأخلاقية وشرحُها.إنّ واجبنا تجاه الربّ هو أن نؤمن به وأن نشهد له.

2088- تتطلّب منّا الوصية الأولى أن نُغذّي إيماننا ونحفظه بفطنةٍ وعناية، وأن نُقصيَ كلّ ما يعارضه. هناك طرائقُ متنوّعة لارتكاب خطايا مخالفةٍ للإيمان:

الشكّ الإراديّ في الإيمان يُهمل أو يرفض الاعتقاد بحقيقة ما أوحى به الله وتعرضُه الكنيسة لنؤمن به. **الشكّ غير الإرادي** يعني التردّد في الاعتقاد، وصعوبة التغلّب على الاعتراضات على الإيمان، أو أيضاً الجزع المتأتّي من غموضه. وإذا غُذّي الشكّ عن عمدٍ فهو قادر على أن يقود إلى عمى البصيرة.

2089- عدم الإيمان هو إهمال الحقيقة الموحى بها أو الرفضُ عمداً القبول بها. **"البدعة** **(الهرطقة)** هي الانكار باصرار، بعد قبول المعمودية، لحقيقةٍ يجب الإيمان بها إيمانًا إلهيّا وكاثوليكيّاً، أو هي الشك بإصرار بتلك الحقيقة. **(والجحود** أو **أنكار الإيمان)** هو الرفض الكامل للإيمان المسيحي. **والانشقاق** هو رفض الخضوع للحبر الأعظم أو الشركة مع أعضاء الكنيسة الخاضعين له"

الرجاء

2090- عندما يكشف الله عن ذاته ويدعو الإنسان، لا يستطيع هذا الاستجابة استجابةً كاملة لمحبّة الله بقواه الذاتيّة. وعليه أن يرجو الله منحه القدرة على محبّته بالمقابل، وعلى السلوك بحسب وصايا المحبّة. والرجاء هو الترقّب الواثق للبركة الإلهية ولرؤية الله السعيدة. وهو أيضاً خشية إهانةِ محبّة الله، ونيل العقاب.

2091- والوصية الأولى تقصد أيضاً الخطايا المخالفة للرجاء وهي اليأس والاعتداد المفرط بالنفس:

باليأس ينقطع الإنسان عن أن يترجّى من الله خلاصه الشخصيّ، والعون لبلوغه، أو المغفرة لخطاياه. واليأس يتعارض مع جودة الله وعدالته- لأن الله أمينٌ لعهوده - ورحمته.

2092- وهناك نوعان من **الاعتداد المفرط بالنفس:** فإمّا أن يعتدّ الإنسان بإمكاناته (آملاً أن يستطيع الخلاص بدون العون من العلاء)، أو يعتدّ بقدرة الله ورحمته (آملاً الحصول على مغفرة بدون توبة، وعلى المجد بدون استحقاق).

المحبّة

2093- الإيمان بمحبّة الله يتضمّن الدعوة إلى الاستجابة للمحبّة الإلهية بمحبّة صادقة، ووجوب ذلك. فالوصية الأولى تأمرنا بأن نحبّ الله أكثر من كلّ شيء، والخلائق جميعاً لأجله وبسببه.

2094- مخالفة محبّة الله ممكنةٌ بخطايا متنوّعة: **اللامبالاة** تهمل أو ترفض تبصّر المحبّة الإلهيّة، وتتجاهل مبادرّتها وتنكر قوّتها.**نكران الجميل** يُهمل أو يرفض الاعتراف بالمحبّة الإلهيّة ومبادلة المحبة بالمحبّة. **الفتور** هو تردّدٌ أو إهمالٌ في الاستجابة للمحبّة الإلهيّة، وقد يتضمّن رفض

مسايرة حركة المحبّة. **السأم** (أسيديا) أو الكسل الروحيّ يبلغ به الأمر إلى حدّ رفض الفرح الآتي من الله، وكراهيّة الخير الإلهيّ. **الحقد على الله** ينتجُ من الكبرياء. إنّه يعارض محبّة الله وينكر جودته ويدّعي إلحاق اللعنة به، لكونه يحرّم الخطايا ويُنزل العقوبات.

2ُ. "إيّاه وحده تعبد"

2095- إنّ فضائل الإيمان والرجاء والمحبّة الإلهية تولي الفضائل الأدبية صورتها وحياتها. وهكذا فالمحبّة تحملنا على أن نعيد إلى الله ما له علينا بكل عدالة، بصفة كوننا خلائق. **وفضيلة التديّن** تُهيّئنا لهذا الموقف.

2096- العبادة هي العمل الأول من أعمال فضيلة التديّن. وعبادة الله هي الاعتراف به إلهاً، وخالقاً، ومخلّصاً، وربّاً وسيّداً لكلّ ما هو موجود، ومحبّةً لا متناهيةً ورحيمة. "للربّ إلهك تسجُد، وإياه وحده تعبُد " (لو4: 8). هذا ما قاله يسوع مستشهداً بتثنية الاشتراع (تث6: 13).

2097- التعبّد لله هو الاعتراف، في احترامٍ وخضوعٍ مطلقين، "بعدم الخليقة" التي لا وجود لها إلاّ بالله. التعبّد لله يقوم، على مثالِ مريم في نشيدها، بتسبيحه وتعظيمه، والاتّضاع أمامه، مع الاعتراف الشكور بأنّه صنع عظائم وأنّ اسمه قدّوس. والتعبّد لله الواحد يحرّر الإنسان من الانطواء على ذاته، ومن عبوديّة الخطيئة، وعبادة العالم الصنميّة.

الصلاة

2098- أفعال الإيمان والرجاء والمحبّة التي تأمر بها الوصيّة الأولى تَتِمُّ في الصلاة. ورفعُ الروح إلى الله هو تعبيرٌ عن عبادتنا لله بصلاة التسبيح والشكر والاستشفاع والطلب. والصلاة شرط لا بدّ منه للتمكّن من طاعة وصايا الله. "ينبغي ان نصلّي في كلّ حين ولا نملّ" (لو18: 1).

الذبيحة

2099- إنّه لَحقّ أن نقدّم لله ذبائح تعبراً عن العبادة والشكر والطلب والشركة: "كلّ فعلٍ يُعمل للالتصاق بالله في الشركة المقدّسة، وللتمكّن من السعادة إنّما هو ذبيحة حقيقيّة".

2100- لا بدّ للذبيحة الخارجيّة، كي تكون صادقة، من أن تكون تعبيراً عن الذبيحة الروحيّة: "إنّما الذبيحة لله روحٌ منسحق" (مز51: 19). لقد عاب مراراً أنبياءُ العهد القديم الذبائح التي تُصنع دون مشاركةٍ داخليّة، أو دون علاقةٍ بمحبّة القريب. يسوع ذكّر بكلام النبي هوشع: "أريد الرحمة لا الذبيحة" (متى9: 13، 12: 7)، الذبيحة الوحيدة الكاملة هي تلك التي قدّمها المسيح على الصليب، تقدمةً كليّةً لمحبّة الآب ولخلاصنا. ونستطيع باتّحادنا بذبيحته أن نصنع من حياتنا ذبيحة لله.

وعود ونذور

2101- المسيحيّ مدعوّ في ظروفٍ عدّة إلى أن يَعِد الله **وعوداً**، تتضمّنها دائماً المعموديّة والمسح بالميرون، والزواجُ، والرسامةُ الكهنوتيّة. ويستطيع المسيحيّ، بداعي العبادة الشخصيّة، ان يَعِد الله بعملٍ ما، أو صلاةٍ، أو صدقةٍ أو حجّ..... والأمانة لما نعِدُ به الله هي إبانةٌ للاحترام والواجب للعزّة الإلهيّة، والمحبّة لله الأمين.

2102- "النذر"، أي الوعد المعقود لله عن قصد واختيار بأمرٍ ممكن، وأصلّحَ، يجب أن يُقضى على أنّه من موجبات الدين". فالنذر عمل **عبادةٍ** به يُقدِّم المسيحي ذاته لله أو يَعِده بعملٍ صالح.

وهو بإتمامه النذورَ يُعيد إلى الله إذن ما وعده به وكرّسه له. وأعمال الرسل تبيّن لنا أن القديس بولس كان حريصاً على إتمام نذوره.

2103- تعترف الكنيسة بقيمةٍ مثاليّة للنذور القائمة على ممارسة **المشورات الإنجيليّة.**

"تغتبط الكنيسة أمُّنا بأن يوجد في حضنها عددٌ كبيرٌ من الرجال والنساء ممّن يريدون أن يقتفوا عن كثَب آثار المخلّص في تلاشيه، ويُعلنوا هذا التلاشي بجلاء أوفى، باعتناقهم، في حرّية أبناء الله، سُنّة الفقر، وتخلّيهم عن إرادتهم الذاتية: أي أنّهم، رجالاً ونساء، يخضعون لمخلوقٍ بشريّ، من أجل الله، في شؤون الكمال إلى أبعد ممّا تقتضيه الوصيّة، ليكونوا أكثر تشبّهاً بالمسيح الطائع.

في بعض الأحوال تستطيع الكنيسة لأسباب وافية الاعفاء من النذور والوعود.

واجب التديّن الأجتماعي، والحقّ في الحرّية الدينية

2104- "على جميع الناس ان يطلبوا الحقيقة، ولا سيّما في ما يتعلّق بالله وكنيسته، حتى إذا ما عرفوها اعتنقوها وكانوا عليها محافظين". هذا الواجب ناتج من "طبيعة البشر نفسها". وهو لا يناقض "احتراماً صادقاً" للديانات المتنوّعة التي "تحمل غير مرّةٍ قبساً من شعاء الحقيقة التي تُنير جميع الناس". ولا مقتضى المحبّة التي تحضّ المسيحيين على "التحلّي بالمحبّة والفطنة والصبر في معاملة البشر الذين يعمهون في الضلال، أو في جهل الحقيقة الإيمانية".

2105- واجب تأدية عبادةٍ حقيقيّةٍ لله يُلزم الإنسان فرداً وجماعةً. "هذا هو التعليم الكاثوليكي التقليديّ في موضوع ما يقع على الأفراد والجماعات من واجب أدبيّ تجاه الديانة الحقيقيّة وكنيسة المسيح الواحدة". والكنيسة، بتبشيرها البشر دون انقطاع، تعمل على أن يتمكّنوا من "تلقيح الذهنيّة والأخلاقيّة والتشريع وبُنى الجماعة التي يعيش فيها المرء، بلقاح الروح المسيحيّ.

وواجب المسيحيين الاجتماعيّ هو أن يحترموا في كلّ إنسانٍ ويوقظوا فيه محبّة الحقيقة والخير. وهو يتطلّب منهم أن يُعرّفوا عبادة الدين الحقيقيّ الوحيد القائم في الكنيسة الكاثوليكية الرسوليّة. المسيحيّون مدعوّون إلى أن يكونوا نور العالم. وهكذا تُظهر الكنيسة
مَلَكيّة المسيح على كل الخليقة وخصوصا على المجتمعات البشريّة.

2106 "في أمور الدين لا يجوز لأحدٍ أن يُكرَه على عمل يخالف ضميره، ولا أن يُنمَع من العمل، في نطاق المعقول، وفاقاً لضميره، سواءٌ كان عمله في السرّ أو في العلانية، وسواءٌ كان فرديّاً أو جماعيّاً". هذا الحقّ أساسه طبيعةُ الشخص البشريّ نفسُها، إذ تحمله كرامته على أن يعتنق بحرّيةٍ الحقيقةَ الإلهية التي تسمو على النظام الزمنيّ.

لذلك "فهو باقٍ حتى عند أولائك الذين لا يقومون بواجبِ تطلّب الحقيقةِ واعتناقها".

2107- "إذا قضت أحوالُ بعض الشعوب الخاصة بأن يُعترَف، في النظام التشريعيّ المدنيّ، بإحدى الجماعات الدينية، اعترافاً مدنيّاً خاصّاً، فلا بدّ إذ ذاك من الاعتراف أيضاً لجميع المواطنين وجميع الجماعات الدينية بالحقّ والحرّية الدينية واحترام ذلك الحقّ".

2108- الحقّ في الحرّية الدينية ليس الإباحة الأدبية باعتناق الضلال، ولا الحقّ المفتَرض في الضلال، وإنّما هو حقٌّ طبيعيٌّ للشخص البشريّ في الحرّية المدنيّة، أي الحصانة من الإكراه الخارجيّ، ضمن حدودٍ صحيحة، في الموضوع الدينيّ، من قِبَل السُّلطة السياسيّة. ويجب أن يُعترَف بهذا الحقّ الطبيعيّ في النظام القانونيّ للمجتمع بحيث يكوّن حقّاً مدنيّاً.

2019- الحقّ في الحرّية الدينية لا يمكن أن يكون في ذاته بلا حدود، ولا محدوداً فقط "بنظام عام" ذي مفهوم وضعيّ أو طبيعيّ. و "الحدود الصحيحة" الملازمة له يجب أن تحدّدها في كلّ وضعٍ اجتماعيّ الفطنةُ السياسيةَ بحسب مقتضيات الخير العام، وأن تُثبّتها السُّلطة المدنية "على سُنَن القواعد القانونيّةَ الموفقة للنظام الأدبيّ الموضوعيّ".

3ً. "لا يكُنْ لكَ آلهةٌ أخرى تجاهي"

2110- الوصيّة الأولى تمنع إكرامَ آلهةٍ أخرى غير الربّ الواحد الذي أظهر ذاته لشعبه. وهي تُحرّم الخرافات وإنكار الدين. والخرافةُ تكوّن نوعاً من المغالاة الخبيثة في الدين، وإنكارُ الدين عيبٌ يتعارض وفضيلةَ الدين بانتقاصها.

الخرافة

2111- الخرافة هي انحرافُ العاطفة الدينية والممارسات التي تفرضُها. وقد تصيب أيضاً العبادةَ التي نؤدّيها للإله الحقيقيّ مثلاً عندما تُعلَّق أهميةٌ تكاد تكون سحريّةً على بعض الممارسات التي هي، من جهة أخرى، شرعيّة أو ضروريّة. فنحن نقع في الخرافة عندما نعلّق الفاعليّة على الوجه المادّي في الصلاة أو في العلاقات الأسراريّة، دون الاستعدادات الداخليّة التي تقتضيها.

عبادة الأوثان

2112- الوصيّة الأول تحرّم **تعدد الآلهة.** وهي تقتضي من الإنسان أن لا يؤمن بآلهةٍ أخرى غير الله، وأن لا يُكرم آلهةً غير الإله الأوحد. يذكّر الكتاب المقدّس دائماً بنبذ "الأوثان من ذهب وفضّة، صُنع أيدي الناس"، هي التي "لها أفواه ولا تتكلّم ولها عيونٌ ولا تُبصر...." هذه الأوثان الباطلة تؤدّي إلى البطلان: "مثلها ليكن صانعوها، وجميع المتّكلين عليها" (مز115: 4-5، 8). أمّا الله فهو على العكس "الإله الحيّ" (يش3: 10) والذي يُحيي ويتدخّل في التاريخ.

2113- عبادة الأوثان ليست مرتبطةً فقط بالعبادات الوثنيّة الكاذبة. بل هي تبقى تجربةً دائمةً للإيمان. وتقوم على تأليه ما ليس بإله. فهناك عبادةُ أوثانٍ عندما يُكرم الإنسان ويُجلُّ خليقةً عوضاً من الله، سواءٌ تعلّق الأمر بالآلهة أو بالشياطين (مثل عبادة الشياطين)، بالسلطة أو باللذة، أو بالعِرْق، أو بالأجداد، أو بالدولة، أو بالمال،..... قال يسوع: "لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال" (متى6: 24). وهناك شهداء كثيرون ماتوا لكي لا يعبدوا "الوحش"، ورفضوا حتى التظاهر بعبادته. فعبادة الوثن تأبى سيادة الربّ الوحيدة، فهي إذن تتنافى والإتّحاد بالله.

2114- تتوحّد الحياة البشريّة في عبادة الله الأوحد. ووصيّة عبادة الربّ وحده تبسّط الإنسان وتخلّصه من تشتّتٍ لا حدود له. عبادة الوثن إفسادٌ للحسّ الدينيّ الموجود في الإنسان. عابد الوثن هو من "يُرجع إلى أيّ شيء، سوى الله، ما هو متأصّل فيه من مفهوم الله".

العرافة والسّحر

2115- يستطيع الله أن يكشف المستقبل لأنبيائه أو لغيرهم من القدّيسين. إلاّ أنّ الموقف المسيحيّ الصحيح يقوم على تسليم الذات بثقةٍ بين يدي العناية الإلهية في ما يتعلّق بالمستقبل، وتركِ كلّ فضولٍ فاسدٍ من هذا القبيل. وعدم التبصّر قد يكوّن عدَماً للمسؤوليّة.

2116- يجب نَبْـُذ جميع أنواع **العِرافة:** اللجوء إلى الشيطان أو الأبالسة، استحضار الأموات أو الممارسات الأخرى المفتّرض خطأً أنّها "تكشف" عن المستقبل. استشارة مستطلعي الأبراج والمنجّمين وقارئي الكفّ، وشارحي الفأل أو الشؤم أو الحظّ، وظاهراتُ الرائين واللجوء إلى الوسطاء، أُمورٌ تختبيءُ إرادة التسلّط على الوقت، وعلى التاريخ وأخيراً على البشر، وفي الوقت عينه الرغبةَ في استرضاء القوى الخفيّة.إنّها على تناقضٍ مع ما لله وحده علينا من واجب الإكرام والاحترام الممزوج بالخشية والمُحِبّة.

2117- جميع ممارسات **السِّحر أو العِرافة** التي يزعمون بها ترويضَ القوى الخفيّة لجعلها في خدمة الإنسان، والحصول على سلطةٍ فائقة الطبيعة على القريب- حتى وإن قُصد بها توفيرُ الصحة له- إنّما هي مخالِفةٌ مخالفةً جسيمةً لفضيلة الدين. ويكون الحكمُ أقسى على هذه الممارسات عندما تصحبها نيّة إيذاء الآخرين، أو تلجأ إلى مداخلاتٍ شيطانيّة. وحمْلُ التعاويذ هو أيضاً مُلام. ومناجاةُ الأرواح تنطوي مراراً على ممارسات عِرافةٍ أو سحر. ولذا تُنبّه الكنيسةُ المؤمنين إلى تجنّبها. واللجوءُ إلى أنواع الطبّ المدعوّة تقليديّةً لا يسوغ استدعاء القوى الشرّيرة ولا استثمارَ ما عند الآخرين من سرعة تصديق.

مخالفة الدين

2118- تنبذ وصيّة الله الأولى الخطايا الرئيسة المخالفة للدين، من تجربة الله بالكلام والأفعال، وانتهاك القدسيّات والسيمونيّة.

2119- القيام **بتجربة الله** يكون بأن توضَع موضع الامتحان، بالقول أو الفعل، جودتُه وقدرتُه. هكذا أراد الشيطان أن يجعل يسوع يُلقي بنفسه من الهيكل، وان يُرغم الله، بهذا الفعل، على أن يعمل. وقد جابهه يسوع بكلام الله: "لا تجرّب الربّ إلهك" (تث6: 16). إنّ التحدّي الذي تنطوي عليه تجربة الله هذه يُسيء إلى ما لخالِقنا وربّنا علينا من الاحترام والثقة. وهو يتضمّن دوماً شكّاً في محبّته وعنايته وقدرته.

2120- يكون **انتهاك القدسيات** بأن يُدنّس الإنسانُ أو يُسيء استعمال الأسرار، والأفعال الليترجية الأخرى، والأشخاص والأشياء والأماكن المكرّسة لله. وهذا الانتهاك خطيئةٌ جسيمةٌ خصوصاً إذا أصاب الافخارستيا، بما أنّ جسد المسيح نفسه في هذا السرّ يصبح حاضراً لنا بجوهره.

2121- تُحدَّد **السيمونية** بأنّها بمثابة شراء الأمور وبيعها. ولقد أجاب القديس بطرس سيمون الساحر الذي أراد شراء القدرة الروحيّة التي رآها تعمل في الرسل: "لتصِر فضّتُكَ معك إلى الهلاك، لأنّك توهّمت أنّ موهبة الله تُقتنى بالنقود" (أع8: 20) وكان يمتثل هكذا لكلام يسوع: "مجّاناً أخذتم، مجّاناً أعطوا" (متى10: 8). فمن المستحيل تملّك الخيرات الروحيّة والتصرّف بها كما يتصرّف المالك أو السيّد، لأنّ مَصدرّها هو في الله. فلا يمكن إلاّ قبولها منه مجّاناً.

2122- "لا يُطلب الخادم شيئاً للاحتفال بالأسرار، ممّا لم تحدّده السلطة ذات الصلاحيّة، وعليه أن يسهر على أن لا يُحرَم المعوزون من عون الأسرار بسبب فقرهم". وتحدّد السلطة ذات الصلاحيّة هذه التقادم استناداً إلى هذا المبدإ: أنّ الشعب المسيحي عليه أن يؤمّن إعالة خدّام الكنيسة. "فالفاعل يستحقّ طعامه" (متى10: 10.

الإلحاد

2123- "الكثيرون من معاصرينا لا يُعيرون الاتّحادَ الحميم والحيويّ بالله أيّ انتباهٍ بل إنّهم يرفضونه رفضاً صريحاً، بحيث إنّ الإلحاد يُعَدُّ من أخطر ظاهرات هذ ايام".

2124- واسم الإلحاد يُطلق على ظاهراتٍ كثيرة التنوّع. هناك صيغةٌ شائعةٌ هي المادّية العمليّة التي تَقصُر حاجاتها وطموحاتها على المكان والزمان. والنزعة الإنسانية الملحدة تَعتَبر، وهي على ضلال، أنّ الإنسان "غاية في نفسه ولنفسه، وهو صانعُ تاريخه الأوحد وبطَلُه". وصيغةٌ أخرى من الالحاد المعاصر تتوقّع تحرير الانسان من تحرير اقتصاديّ واجتماعيّ "يُظَنُّ أنّ الدين يقف بطبيعته عقبةً في طريقه، بمقدار ما يُقيمُ رجاءَ الإنسان على سراب حياةٍ آتية، فيُحوّل اهتمامه عن بناء المدينة الأرضيّة".

2125- الالحاد خطيئةٌ مخالفةٌ لفضيلة الدين بكونه ينبذ أو يرفض وجود الله. والمسؤولية عن ها الذنب يمكن أن تتضاءَل كثيراً بسبب النيّات والظروف. وفي نشوء الإلحاد وانتشاره، "قد يكون للمؤمنين يدٌ كبيرةٌ من حيث تهاملهم في التنشئة الإيمانية، أو من حيث العرضُ المضلّل للعقيدة، أو من حيث الضعف في حياتهم الدينية والأخلاقية والاجتماعية، حتى ليصحُّ القول فيهم: إنهم يحجّبون الوجهَ الأصيل لله والديانة أكثر ممّا يُعلنونهُ.

2126- يستند الإلحاد مراراً كثيرةً إلى مفهومٍ خاطئٍ للاستقلال الذاتيّ عند الإنسان، يصل إلى حد رفض إيّ ارتباط بالله. ولكنّ "الاعتراف بالله لا يباين كرامة الإنسان، في شيء، إذا إنّ الكرامة تجد في الله ما يؤسّسها وما يتمّمها". والكنيسة تَعْلم "أنّ رسالتها تتّفق وأعمق رغبات القلب البشريّ".

الأادريّة

2127- للأادريّة أشكال كثيرة. ففي بعض الأحوال، يأبى الأادريّ إنكار الله. بل على العكس يُعلن وجود كائن سام لا يستطيع الكشف عن ذاته ولا يستطيع أحدٌ أن يقول عنه شيئاً. وفي أحوالٍ أخرى، لا يُبدي اللاأدريّ رأياً في وجود الله، ويقول إنّه من المستحيل البرهان عليه بل تأكيده أو نفيه.

2128- قد تنطوي الأادريّة أحياناً على شيءٍ من تطلّب الله، وقد يكون أيضاً من اللامبالات أو هروباً من السؤال القصيّ عن الوجود، أو كسلاً من الضمير الأخلاقي. وكثيراً ما تتساوى الأادريّة والإلحاد العمليّ.

4ً. "لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء"

2129- كان الأمر الإلهيّ يحرّم تمثيل الله من صنع يد الإنسان. ويشرح سفر تثنية الاشتراع ذلك قائلاً: "انّكم لم تروا صورةً في يوم خطاب الربّ لكم في حوريب من وسط النار، لئلا تفسُدوا وتعملوا لكم تمثالاً منحوتاً على شكل صورةٍ ما....." (تثنية الاشتراع4: 15-16). فالله الذي تجلّى لإسرائيل هو الله المطلق السموّ. "هو كلّ شيء"، ولكنّه في الوقت ذاته "العظيمُ فوق جميع مصنوعاته" (سي43: 29-30). وهو "أصل كل جمال" (حك13: 3).

2130- ولكن الله أمر، منذ العهد القديم، بصنع صورة تقود رمزيّاً إلى الخلاص بالكلمة المتجسّد، أو أذن في ذلك: هكذا الحال مع حيّة النُّحاس، وتابوت العهد، والشروبيم.

2131- بالاستناد إلى سرّ الكلمة المتجسّد، سوّغ المجمع المسكوني السابع في نيقيّة (سنة787)، مقاوماً محاربي الايقونات، إكرامَ الايقونات: إيقونات المسيح، وكذلك أيقونات والدة الإله، والملائكة وجميع القديسين. فابن الله بتجسّده قد بدأ "تدبيراً" جديداً للصور.

2132- الإكرام المسيحيّ المؤدّي للصُور لا يخالف الوصيّة الأولى التي تحرّم الأوثان. "فالإكرام المؤدّي لصورةٍ ما إنّما يبلغ إلى مثالها الأصليّ". و "كلّ من يُكرم صورةً يُكرم فيها الشخص المرسوم". والإكرام المؤدّي إلى الصور المقدّسة هو "إجلالٌ واحترامٌ" وليس عبادةً، لأنّ هذه لا تليق إلاّ بالله وحده:

"الإكرام الديني لا يتوجّه إلى الصور في ذاتها كإلى أمور حقيقية، إنّما يراها في وجهها الخاصّ صوراً تقودنا إلى الله المتجسّد. والتوجّه إلى الصورة على هذا النمط لا يتوقّف عندها، بل يسعى إلى الحقيقة التي هي صورتها".

بإيجاز

2133- *"أحبب الربّ إلهك من كلّ قلبك وكلّ نفسك وكلّ قدرتك" (تث6: 5).*
2134- *الوصيّة الأولى تدعو الإنسان إلى الإيمان بالله، ورجائه، ومحبّته فوق كل شيء.*
2135- *"للربّ إلهك تسجد" (متى4: 10). فالسجود لله، وتأدية العبادة التي تحقّ له، وتتميم الوعود والنذور المقطوعة له، هي أفعالٌ من فضيلة الدين مرتبطةٌ بطاعة الوصية الأولى.*
2136- *واجب تأدية عبادةٍ حقيقيةٍ لله يُلزم الإنسان فرداً وجماعة.*
2137- *"يجب ان يستطيع الإنسان الاعتراف بالدين بحريّةٍ سواءٌ كان عمله في السرّ أو في العلانيّة".*
2138- *الخرافة هي انحرافٌ في العبادة التي نؤدّيها لله الحقيقيّ. وهي تظهر في عبادة الوثن وفي أشكالٍ مختلفةٍ من العِرافة والسحر.*
2139- *القيام بتجريب الله قولاً وعملاً، وانتهاك القدسيّات، والسيمونيّة هي خطايا تخالف الدين وتنهي عنها الوصيّة الأولى.*
2140- *الإلحاد خطيئةٌ تخالف الوصيّة الأولى عندما يُنبَذ أو يُرفَض وجود الله.*
2141- *إكرام الصور المقدّسة يستند إلى سرّ تجسّد كلمة الله. وليس هو مخالفاً للوصيّة الأولى.*

نعتذر عن الأخطاء الإملائية دون قصد وشكرا